

مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية

الأساطير في الكتب المدرسية الإيرانية

إعداد

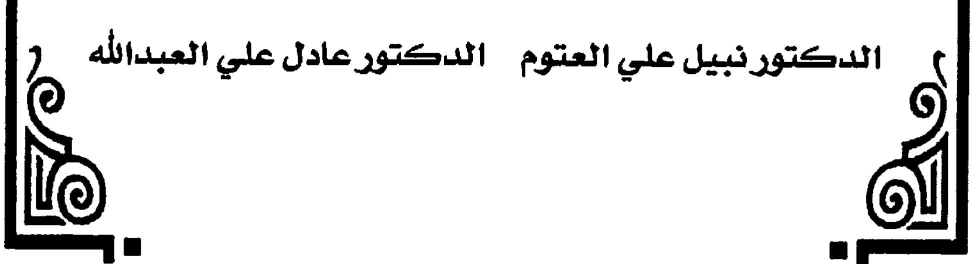
د/ نبيل علي العتوم   د/ عادل علي العبدالله


العصر
مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية

الأساطير

في الكتب المدرسية الإيرانية

إعداد



الدكتور نبيل علي العتوم   الدكتور عادل علي العبدالله







مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية - لندن

الموقع الإلكتروني: www.alasersfs.com

Email: alaser1427@gmail.com

المجموعة الاستشارية العالمية

٦٦ شارع خاتم المرسلين - الهرم - الجيزة

هاتف: ٣٥٦٣٧٦٤٩ (٠٢) - فاكس: ٣٥٦٣٧٦٤٩ (٠٢)

جوال: ٠١٢٢٢٣٠٥٥٥٢ - ٠١٠٠١٥٢٠٠٩٦

Email: GCGegypt@gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.GCG-CO.net

دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - بطحاء قريش

ص.ب: ١٤٧٠٠ - الرمز البريدي: ٢١٩٥٥

هاتف: ٠٥٣٥٥٥٦٦-٢-٩٦٦+ - فاكس: ٠٥٣٥٥٥٧٧-٢-٩٦٦+

Email: alaser1427@gmail.com

الموقع الكتروني : www.gcg-ssc.com

رقم الإيداع: ٢٣٢٣٢ / ٢٠١٣

الترقيم الدولي I.S.B.N : 7 - 32 - 5220 - 977 - 978


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.........

إيران بلد لها طبيعتها الخاصة أعطت للإنسان شخصيته المتميزة، حيث يدرك الدارس لتاريخ إيران وحضارتها منذ أقدم العصور، وحتى يومنا هذا أن الشخصية الإيرانية شخصية تعددت عوامل عديدة لإنضاجها وبلورة خصائصها ومقوماتها خلال تاريخها الطويل، سواء ما كان حقيقياً منها أم ما تم نسبته إليها من عهود طويلة، لا تؤكد وجودها سوى الخرافات التي يؤمن بها شعب إيران، ويمكن من خلال قراءة علمية في تاريخ إيران أن ندرك أن مربع الإنسان، التاريخ، البيئة، والمذهب هو الأساس القوي الذي بنيت عليه الشخصية الإيرانية وتكونت منه مقوماتها، إن الإنسان الإيراني بما له من صفات الشخصية والبيئة بمكوناتها الطبيعية والعقيدة التي صاحبت هذا الإنسان منذ عصره الموغل في التاريخ هي المحاور الرئيسة التي تدور حولها الشخصية الإيرانية، وحتى يمكن فهم هذه الشخصية وتحديد ملامحها لا بد من فهم وتحليل هذه المحاور ودراستها وبيان ما فيها من خصائص، من خلال كيفية انعكاسها من خلال الكتب المدرسية التي يتم تدريسها في الكتب المدرسية الإيرانية، لنرى كيفية غرس الأساطير وتكوين الخرافات، بحيث أصبحت موجهةً للطالب الإيراني ودافعةً إياه، وهو ما ساعد على بقاء إيران حاضرةً بتاريخها وخرافتها في عقل الإيراني ووجدانه.

الأسطورة عبارة عن حكاية ذات أحداث عجيبة خارقة للعادة أو وقائع تاريخية قامت الذاكرة الجماعية بتغييرها وتحويلها وتزيينها. وهي حكايات الناس

وأساطيرهم التي تنتقل شفاهةً من جيل إلى آخر وتُحفظ من الضياع بقوة ذاكرة الذين يتوارثونها طبقة بعد طبقة وهى تخدم غرضين أساسيين، فهي من ناحية تحدثنا بتاريخ الشعوب، ومن ناحيةٍ أخرى فهي ثقافة تصويرية تحدد مكانة صاحبها في المجتمع الذي يعيش فيه.

الأسطورة هي القصة المقدسة التي كان أصحاب الحضارات السابقة يؤمنون بها على أنها كتبهم المقدسة. نوعاً ما تتميز الأسطورة بعمقها الفلسفي الذي يميزها عن الحكاية الشعبية. كانت الأسطورة سابقاً كما العلم الآن... أمراً مسلماً بمحتوياته.

في معظم الأحيان تكون شخوص الأسطورة من الآلهة أو أنصاف الآلهة ووجود الإنسان فيها يكون عنصراً مكملاً لا أكثر.

فالإنسان البدائي لم يكن يَشْغَل عقله بتفسير الظواهر الطبيعية وكان يعتبر من منظورِه أن الشمسَ والقمرَ والرياحَ والبحرَ والنهرَ بشرٌ مثله لهذا ظهرت أساطير الأولين لدي البابليين والفراعنة والرومان والإغريق والمايا.

ومن هنا فإن الأسطورة هي نتاج التفسير الساذج للشعوب البدائية لظواهر الطبيعة المختلفة التي كانت تصادفهم في حياتهم اليومية، بحيث كانوا يضعون لكل ظاهرةٍ بل ولكل نشاطٍ يقومون به إلهاً خاصاً وكانوا ينسجون حوله قصصاً خياليةً خارقة.

ويمكن تعريف الأسطورة أيضا بأنها مُرَكَّبٌ من القصص... البعض منها حقائق والآخر خيال. والتي يعتبرها الناس لأسباب مختلفة: مظاهر للمعنى الداخلي لحياة البشرية مازال يرغب في توكيد صفة الأسطورة بوصفها لغةً خيالية.

تحكي الأسطورة قصصاً مقدسةً تفسر ظواهر الطبيعة مثلاً أو نشوء الكون أو خلق الإنسان وغيره من المواضيع التي تتناولها الفلسفة خصوصاً والعلوم الإنسانية عموماً.

الأساطير متنوعة في مواضيعها، فهناك من يرى أن أنواعها خمسة وهي: **الأسطورة الطقوسية**: وهي تمثل الجانب الكلامي لطقوس الأفعال التي من شأنها أن تحفظ للمجتمع رخاءه.

أسطورة التكوين: وهي التي تُصَوِّرُ لنا عملية خلق الكون.

الأسطورة التعليلية: وهي التي يحاول الإنسان البدائي عن طريقها، أن يعلل ظاهرةً تستدعي نظره، ولكنه لا يجد لها تفسيراً، ومن ثم فهو يخلق حكايةً أسطوريةً، تشرح سر وجود هذه الظاهرة.

الأسطورة الرمزية: وهى التى تتضمن رموزاً تتطلب التفسير.

إلا أن تنوع الأساطير دون شكٍ يؤدي حتماً إلى تنوع تعاريفها، لأن كلَّ تعريف يتأثر بنوع الأسطورة، أو بنوعين أو ثلاثة أنواع، ولذا يبقى التعريف قاصراً عن أن يكون جامعاً مانعاً.

إن تنوع الأساطير أدى إلى تنوع المناهج التي تتناول الأساطير بالدراسة، لذا فقد ظهرت المناهج التالية:

المنهج اليوهيمري: الذي يعد من أقدم تلك المناهج، ويرى الأسطورة قصةً لأمجادِ أبطالٍ وفضلاء غابرين.

المنهج الطبيعي: الذي يعتبر أبطال الأساطير ظواهر طبيعية، ثم تشخيصها في أسطورة، اعتبرت بعد ذلك قصةً لشخصياتٍ مقدسة.

المنهج المجازي: بمعنى أن الأسطورة قصةٌ مجازيةٌ، تخفي أعمق معاني الثقافة.

المنهج الرمزي: بمعنى أن الأسطورة قصةٌ رمزيةٌ، تعبر عن فلسفة كاملة لعصرها، لذلك يجب دراسة العصور نفسها لفك رموز الأسطورة.

المنهج العقلي: الذي يذهب إلى نشوء الأسطورة نتيجةَ سوءِ فهمٍ ارتكبه أفرادٌ في تفسيرهم، أو قراءتهم أو سردهم لروايةٍ أو حادث.

منهج التحليل النفسي: الذي يحتسب الأسطورة رموزاً لرغبات غريزية وانفعالات نفسية.

وإن علم الميثولوجيا، حتى الآن، لم يصل إلى مرحلة النضج التي تؤهل مدارسه المتنافرة، المتعارضة للاندماج.

من هنا فإن للأسطورة جوانب متعددة ومتنوعة، فهي إن صح التعبير - كما وصفها البعض: متاهة عظمى، فلذا نجد الكثير ينطلق في تعريفه متأثراً بجانب أو عدة جوانب منها فتبدو التعريفات قاصرة، وقد نجد العكس حيث يلجأ البعض إلى تعابير فضفاضة تمتاز بالتعمية والمطاطية إلى حدٍ يُفقدها الدقة والتشخيص والتمييز.

وللأسطورة خاصية الشعر الذي يكاد يظل عصيّاً على أي وصفٍ محددٍ، ولعل صعوبة الحد والتعريف كامنةٌ في المنطق الذي تنزع إليه الأسطورة أو الذي ينزع إليه الإنسان من خلال الأسطورة، كما قد يكمن في كونها على حد تعبير بعضهم نظاماً رمزياً، وفي أن المنهج أو المنظور الذي يتعين النظر إليه منها لا ينبغي أن يكون جزئياً انتقائياً حيال هذه الحقيقة الثقافية المعقدة. ناهيك عن أننا لم نمر بتجربة الأسطورة مروراً مباشراً، عدا بعضٍ منها، وهو بعضٌ مشوَّشُ الأصل، متلوّن الشكل، غامض المعنى، والظاهر أنها على الرغم من امتناعها على

التفسير العقلاني، فإنها تستدعي البحث العقلاني الذي تُعزى إليه شتى التفسيرات المتضاربة، والتي ليس فيها، على كل حال، ما يستطيع تفسير الأسطورة تفسيراً شافياً.

إن القدماء أنفسهم لم يعملوا على تمييز النص الأسطوري عن غيره، ولأنهم دعَوْهُ باسمٍ خاصٍ يساعدنا على تمييزه بوضوح بين ركام ما تركوه لنا من حكايات وأناشيد وصلوات وما إليها. ففي بيوت الألواح السومرية والبابلية، نجد أن النصوص الأسطورية مبعثرة بين البقية. ثم إن عنوان الأسطورة غالباً ما كان يُتخذ من سطره الافتتاحي الأول، شأنه في ذلك شأن بقية النصوص الطقسية أو الملحمية أو الأدبية البحتة. وهذا ما حدث في التراث الإغريقي كذلك. اشتراك جنسٍ مع أجناسٍ أدبيةٍ أخرى مع الأسطورة في بعض عناصرها، مثل الخرافة، اللامنطق، اللامعقول، اللازمان في بعض الأحيان، لذا أرى أنه من الضرورة بمكان، أن نحاول التوصل إلى إيجاد معايير، يمكن أن نفرق بها بين الأسطورة وتلك الأجناس، قبل الشروع في محاولة لصياغة تعريفاتٍ تختص بالأسطورة دون غيرها.

أما الأُسطورة في كلام العرب فهي واحدةُ الأساطير، كما قالوا أُحدوثةٌ وأحاديث، قال الليث: يقال سطَّر فلانٌ علينا تسطيراً: إذا جاء بأحاديث تشبهُ الباطل، يقال هو يسْطُرُ ما لا أصل له، وقال ابن بُزُرْج: يقولون للرجل إذا أخطأ فكنوا عن خطئه: أَسْطَرَ فلانٌ اليوم، وهو الإسطار بمعنى الأخطاء، وفى تاج اللغة: الأساطير الأباطيل. والأساطير هي الأحاديث التي تفتقر إلى النظام، وهي جمع الجمع للسطر الذي كتبه الأولون من الأباطيل والأحاديث العجيبة، وسطَّر تسطيراً تعني أنه ألَّف وأتى بالأساطير.

وَاستخدمت كلمة الأساطير في القرآن الكريم لتعني الأحاديث المتعلقة بالقدماء: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:٣١] أي مما سطروا من أعاجيب الأحاديث وكذبها، أيضا ذُكرت كلمة الأساطير في موضع آخر بالقرآن الكريم، ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان:٥].

الأسطورة تتحول إلى منهجٍ دراسي تعتمده دولةٌ في القرن الحادي والعشرين لتنشئة أبنائها وبناء أجيالها..... إنه الأمر الدافع بالدرجة الأولى لتأليف هذا الكتاب عن الأساطير والخرافات في الكتب المدرسية الإيرانية... هدمٌ منظَّمٌ للحقائق.. مصادمة صريحةٌ للعقل... محوٌ للمعايير... تغييبٌ متعمدٌ للوعي... مصادرةٌ للفكر الآخر... إنها جريمةٌ واسعة تمارس على أجيالٍ من الناشئة تزرع الخوف من الآخر وتؤسس لتمجيد الذات، وتقود إلى الغيبوبة الكاملة عن حقائق الدين وروح الشريعة... كل ذلك في أجواءٍ من الحقد المستمر والكراهية المتنامية... إنها ظاهرةٌ معاصرةٌ خطيرةٌ جداً... ظاهرة فوق العادة... شذّت بقوّةٍ عن كل قوانين العصر وأحكام الزمان، ومما يزيدها خطورةً وقوعُها في دولةٍ لها وزنها وموقعها الإقليمي وتأثيرها الدولي، تتميز بتاريخٍ خاص ومذهبٍ مغاير يسوّغ لها الاعتداء والتدخل، ويزيّن لها التآمر والتوسُّع حقاً ثابتاً لا يحتمل المراء ولا يقبل الجدل.

الأساطير في الكتب المدرسية الإيرانية

* أسطورة المظلومية البكاء والحزن الجماعي في الكتب المدرسية الإيرانية:

المحطات القديمة:

مصطلح دائم التكرار ودائم "التوريث" من جيل الى آخر لدى كل الشيعة وهو مصطلح يبدأ في العقل الشيعي بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وحتى يومنا هذا، وقد صار يمثل ويجسد هذه الحالة الدائمة والمتجددة من المظلومية والشهادة.

لقد كانت أقدم إشارة في التاريخ إلى الحزن الجماعي المنظم - كما يبدو- هي تلك التي ترد في ملحمة جلجامش التي يرجع زمنها " إلى نهاية العهد المسمى في تاريخ حضارة وادي الرافدين باسم جمده نصر في حدود ٣٢٠٠ق م. وإلى أوائل العصر الحضاري المسمى بعصر فجر السلالات في حدود بداية الألف الثالث (ق. م) وذلك في مخاطبة كلكامش للآلهة عشتار لما رضيت عليه بالزواج:" من أجل تموز حبيب صباك قد قضيت بالبكاء سنة بعد سنة". حيث بدون تموز لا يتم أي إخصاب بمختلف أشكاله سواء في الطبيعة أم لدى الإنسان، وهذا يعني القحط والجفاف والموت في الحياة مما دفعها للهبوط إلى عالم الموت للبحث عنه وتحمل المآسي والصعوبات التي رافقت رحلتها. وتعبيرا عن ضرورة الخصب في الكون مارس شعب وادي الرافدين الحزن الجماعي على تموز البابلي ومشاركة الآلهة، فإن الآلهة عشتار في النسخة البابلية هي التي هبطت من جديد لإنقاذه ويعد هذا إنقاذاً لحياة الكائنات والطبيعة.

وإذا كان سكان بلاد ما بين النهرين يحتفلون في شهر نيسان من كل عام. (وهو نفس تاريخ ٢١ آذار حسب التاريخ العراقي القديم، أي يوم المنقلب الربيعي، وقد اقتبسه الإيرانيون باسم يوم نيروز). حين تزدهي الأرض خضرة وربيعاً، بانبعاث إله الرعي وربّ الماشية والنبات (دموزي) وزواجه من آلهة الخصب (عينانا)، فإنهم في الصيف، أوائل شهر (تموز)/يوليو، ووجه الأرض مجدب كالح تلفحه ريح السموم وتصليه الشمس المحرقة، يقيمون مجالس التذكّر والبكاء، ويسيّرون مواكب العزاء، ويتلُون المناحات في حزن جماعيّ على وفاة دموزي[1].

وقد شرح أ. طه باقر بقوله:" يشير هذا إلى العادة القديمة الخاصة بالندب والبكاء على تموز إله الخضار والربيع، حيث اعتقدوا فيه أنه كان ينزل إلى العالم الأسفل في كل خريف ويعود إلى الحياة مع بشائر الربيع"[2]. لذا فقد كان لزوجَي آلهة الخصب والحب السومرية إنّانا– دموزي، وبعدهما عشتار– تموز في بابل، أثرٌ ومكانةٌ خاصان في أساطير السومريين والبابليين والآشوريين والحضارات الأخرى اللاحقة وملاحمها وطقوسها، وذلك نتيجة للتأثير المتبادل بين الحضارات التي تكاملت في المنطقة حتى بلغت ذروتها الحضارية.

من هذا المنطلق نفهم الأهمية القصوى لمشاركة إنسان مابين النهرين في هذه الطقوس والمناحات الدينية الخاصة بآلهة الخصب في المعبد لدرجة التطهير من كل أدران الآثام كما هو الحال بالنسبة إلى أهمية التعزية الحسينية عند الشيعة.

---

(١) عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، ص٢٣.

(٢) باقر، ملحمة جلجامش، ص١٧.

※ التقديس من خلال تقديم القرابين:

إن وضوح أثر التقديس وتقديم القرابين عند الفرس، يظهر ذلك جلياً من خلال قصة الخليقة كما جاءت في كتاب الأبستاق المقدس عند الفرس القدماء. "ظل زروان الإله الأقدم يقدم القرابين زهاء ألف سنة لكي يكون له ولد يسميه أهورا مزدا، ولكنه في آخر الأمر أخذ يشك في فائدة ما قدم من قرابين، وحينئذ ظهر ولدان في بطنه(أو في بطن زوجته خوشيرك) أحدهما أهورا مزدا لأنه قدم القرابين، والثاني أهريمان لأنه شك فيما يفعل، فوعد زروان من يبدأ بالمثول أمامه منهما بملك الدنيا، فشق أهريمان بطن أبيه ومثل له، فسأله زروان: من أنت؟.

فأجابه أهريمان: أنا ولدك.

فقال زروان: أن ولدي ذكى الرائحة نوراني، وأما أنت فظلماني عفن. وفى تلك اللحظة مثل أهورا مزدا منوراً ذكي الرائحة، فعرف زروان أنه ولده. وقال له:إنى كنت أقدم القرابين حتى الآن من أجلك، فمنذ اليوم تُقدمها أنت من أجلى".

إن طقوس القربان والحزن لم تنته ولم تزل من عقولهم ووجدانهم رغم انتشار الإسلام بين ظهرانيهم، فبقيت خالدة في عقلهم الباطن، تبحث عن متنفس تثور من خلاله من جديد. فكانت كربلاء وعاشوراء.

تعود أقدم المؤشرات التاريخية على نشوء مراسيم عاشوراء إلى ما كان يقوم به المناصرون لأهل البيت بالذهاب إلى كربلاء والتجمع حول قبر الحسين؛ وخاصة يوم العاشر من محرم من كل عام لإظهار الندم وطلب المغفرة لتقاعسهم عن نصرة الإمام الحسين في واقعة كربلاء ضد جيش يزيد بن معاوية. وبحسب

المصادر التاريخية، فإن المختار بن يوسف الثقفي الذي قاد حركة التوابين، كان أول من رفع شعار "يا لثارات الحسين"[1].

كان ارتباط الشيعة بآل البيت عاطفيا، وقد دعتهم العواطف إلى تعظيمهم، وتحولت العواطف إلى نظرية الاستشفاع بهم، بعدما أسبغوا عليهم من صفات وقدرات خارقة للعادة. لذا أقاموا لهم الأضرحة، التي تحولت إلى مزارات، ومن ذلك مشهد الحسين في كربلاء، ومشهد علي بن أبي طالب في النجف. لم يكتف الشيعة بذلك، بل وترغيبا لأتباعهم من أبناء المذهب، أوردوا أقوالا نسبوها لأئمة الشيعة في فضل زيارة قبر علي بن أبي طالب، كالذي رووه عن جعفر الصادق أنه قال:" من زار أمير المؤمنين عارفا بحقه، غير متجبر ولا متكبر، كتب الله له أجر مائة شهيد، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ". وكذلك:" أتى رجل إلى الإمام جعفر الصادق وأخبره أنه لم يزر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال: بئس ما صنعت، لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك"[2].

إن إعلان الحزن على موت الحسين لم يظهر فجأة وبصيغة مشابهة لما عهدناه لدى السومريين والبابليين، وإنما لبس ثوبا إسلاميًا يلائم مفاهيم العقيدة الإسلامية، وهو ما حدا بهذه الجماعات إلى تبني الندب والبكاء على فقدان العدالة، وبخاصة بعد أن حدث نوع من الانتعاش السياسي لهذه الأفكار في عهد البويهيين.

وفي أيام البويهيين تأسس مركز من أهم مراكز الشيعة على الإطلاق، ونعني به النجف الذي ورث الكوفة، فقد بنيت حول مشهد علي بن أبي طالب الذي

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩١؛ النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص٣٣٤.

(٢) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج٤، ص١٢٣.

أظهره وبناه عضد الدولة البويهي(ت٣٩٢هـ) على خلاف في حقيقة كونه المرقد الحقيقي لعلي بن أبي طالب(١).

(١) وقد فصل ابن كثير في ذلك عند ذكر الأقوال في مكان دفن علي بن أبي طالب: "والمقصودُ أن عليا رضي اللهُ عنه لما مات صلى عليه ابنُهُ الحسنُ، فكبر عليه تسع تكبيراتٍ، ودفن بدار الإمارة بالكوفة؛ خوفا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته، هذا هو المشهور. ومن قال: إنهُ حُمل على راحلته، فذهبت به فلا يُدرى أين ذهبت، فقد أخطأ وتكلف ما لا علم لهُ به، ولا يسيغهُ عقل ولا شرع، وما يعتقدهُ كثير من جهلة الروافض من أن قبرهُ بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقالُ: إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة حكاه الخطيب البغداديُ عن أبي نعيم الحافظ، عن أبي بكر الطلحي، عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ، هو مطين، أنه قال: "لو علمت الشيعةُ قبر من هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموهُ بالحجارة، هذا قبرُ المغيرة بن شعبة". وقد قيل: إن عليا دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة. قالهُ الواقدي. والمشهورُ أنهُ بدار الإمارة. وقيل: بحائط جامع الكوفة. وقد حكى الخطيبُ البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حولاه فنقلاهُ إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة أمهما. وقيل: إنهم لما حملوهُ على البعير ضل منهم، فأخذته طيئ يظنونه مالا، فلما رأوا أن الذي في الصندوق ميت، ولم يعرفوا من هو دفنوا الصندوق بما فيه، فلا يعلمُ أحد أين قبره. حكاه الخطيبُ أيضا، وروى الحافظُ ابنُ عساكر، عن الحسن بن علي قال: [[دفنتُ عليا في حجرةٍ من دور آل جعدة]].

وسُئل شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في " سؤالا اخترتُ منه ما يهم مسألتنا والجواب عنها نصهُ: هل صحّ عند أحدٍ من أهل العلم والحديث أو من يُقتدى به في دين الإسلام أنّ أمير المُؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ رضي اللهُ عنهُ قال: [[إذا أنا مُتّ فأركبُوني فوق ناقتي وسيّبُوني فأينما بركت ادفنُوني]]. فسارت ولم يعلم أحد قبرهُ؟ فهل صحّ ذلك أم لا؟ وهل عرف أحد من أهل العلم أين دُفن أم لا؟ وما كان سببُ قتله؟ وفي أيّ وقتٍ كان؟ ومن قتلهُ؟

فأجاب:... وقد تنازع العُلماءُ في موضع قبره، والمعرُوفُ عند أهل العلم أنّهُ دُفن بقصر الإمارة بالكُوفة؛ وأنّهُ أُخفي قبرُهُ لئلّا ينبُشهُ الخوارجُ الّذين كانُوا يُكفّرُونهُ ويستحلُّون قتلهُ؛ فإنّ الّذي قتلهُ واحد من الخوارج وهُو عبدُ الرّحمن بنُ مُلجمٍ المرادي وكان قد تعاهد هُو وآخران على قتل عليٍّ، وقتل مُعاوية، وقتل عمرو بن العاص؛ فإنّهُم يُكفّرُون هؤُلاء كُلّهُم وكُلّ من لا يُوافقُهُم على أهوائهم... وأمّا المشهدُ الّذي بالنّجف فأهلُ المعرفة مُتّفقُون على أنّهُ ليس بقبر عليٍّ بل قيل: =

ونشأت إمارة شيعية اثنا عشرية في النواحي المحيطة بالحلة، وكانت ولاية شيعية كاملة. ثم بُنيت الحلة سنة ٤٩٥هـ وصارت مركزا رئيسا من مراكز الشيعة أيام التتار خاصة[١].

وكان البويهيون باعتناقهم التشيع الاثنى عشري يحاولون أن يستقلوا عن الزيديين أولا وأن تكون لهم عصبة من العراقيين تحميهم وتثبت ملكهم. ومن هنا التزموا جانب التشيع الاثنى عشري، وبالغوا في تلوينه بألوان صارخة. ولهذا لم يكتفوا بإحياء المناسبات الشيعية، وإنما زادوا على ذلك بالمبالغة في اختراع مراسيم جديدة للاحتفال بذكرى مقتل الحسين لم يفطن لها من قبل الفاطميين، ولم يعهدها الزيديون[٢].

بدأت في سنة ٣٥٢هـ مواكب العزاء في لونه الجديد الذي وردت نظائره في التاريخ القديم وخصوصا في العراق. فقد أمر في عاشوراء من ذلك العام بأن يغلق الناس متاجرهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، وأن تخرج النساء منشورات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يدرن في البلد بالنوائح على الحسين[٣]. وقد تطورت فيما بعد حتى اتخذت لها طابعا مسرحياً في أيام الصفويين.

إنَّهُ قبرُ المُغيرة بن شُعبة، ولم يكُن أحد يذكُرُ أنّ هذا قبرُ عليٍّ ولا يقصدُهُ أحد أكثر من ثلاثمائة سنةٍ؛ مع كثرة المُسلمين من أهل البيت والشّيعة وغيرهم وحُكمهم بالكُوفة.

وقال أيضا: وأمّا مشهدُ عليٍّ فعامّةُ العُلماء على أنّهُ ليس قبرهُ؛ بل قد قيل: إنّهُ قبرُ المُغيرة بن شُعبة.

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٤.

(٢) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج٢، ص٣٩.. للمزيد، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٥٤٧-٥٤٩؛ ابن تيمية، الفتاوى"، ج٤، ٤٩٨ – ٥٢٦، ج٢٧، ص٤٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٤٥.

*** أسطورة عاشوراء وتراجيديا كربلاء.**

نموذجاً للحزن الجماعي:

حصر الإسلام الأعياد في عيدين هما: عيد الفطر وعيد الأضحى فإن الإيرانيين احتفلوا وما زالوا يحتفلون بمناسبات أخرى متصلة بجانب مرتبط بخصوصية المذهب الشيعي، حيث جعلوا منه أعياداً ووضعت لهذه الأعياد مع مرور السنين والقرون طقوس وتقاليد اجتماعية للتعبير عن تعظيم الحدث المرتبط بهذه المناسبة:

ومن أبرز هذه الأعياد وهذه المناسبات عند الإيرانيين الشيعة:

أولا: تعظيم عاشوراء

ثانيا: تعظيم غدير خم

ثالثا: تقزيم المولد النبوي

رابعا: تعظيم ولادة " إمام الزمان "المهدي

والاحتفالات المذهبية التي تقام لآل البيت في إيران- من خلال معايشتنا للواقع الإيراني - على مدار العام كثيرة ولكل واحد من رموز آل البيت وبخاصة الأئمة الاثنى عشر احتفالاتٌ بميلاده وبموته أو شهادته، وبذكرى الأربعين.

*** تعظيم عاشوراء:**

إن مراسيم العزاء الحسيني التي ظهرت أيام البويهيين كانت لها سابقة إسلامية نهض بها أبو مسلم الخراساني. ويبدو أن الحزن الجماعي لم يكن تقليداً عربياً خالصاً بقدر ما كان عراقياً محلياً كامناً ينتظر أن تدب فيه الحياة من جديد بفعل الظروف المناسبة(١).

---

(١) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج٢، ص٣٩.

عاشوراء (العاشر من شهر محرم ذكرى مقتل الحسين بن علي ثالث أئمة الشيعة) من أبرز المناسبات المذهبية عند الشيعة وهي من المناسبات الحزينة وقصة قتل الحسين معروفة وخلاصتها أنه لما تولى يزيد بن معاوية خلافة المسلمين خرج الحسين بن على عليه واشتد الخلاف بينهما وانتهى الأمر بقتل الحسين في صحراء كربلاء وكان قتله- كما يقول أحمد أمين – فاتحة شر كبير على الإسلام فقد قسَّم المسلمين: شيعة يلتهبون عاطفة لآل البيت وسنة يرونهم خارجين على سياستهم يستحقون عليها التأديب والقتل. وكان ذلك في يوم العاشر من المحرم من عام ٦١ هـ(١٠ اكتوبر ٦٨٠م) ولهذا سمى هذا اليوم بيوم عاشوراء. وجدير بالذكر أن أيام تاسوعاء وعاشوراء والأربعين (الحسيني) عطلة رسمية في إيران وهذا يوضح أهمية هذه المناسبة، حيث يتم إعلان الحداد رسمياً وشعبياً. ويقول على شريعتي المفكر الشيعي - الذى يعده البعض منظراً ومعلماً للثورة الإسلامية – عن الحسين وعن سبب استشهاده:" والآن أعلن الحسين حضوره في كل العصور وفي مواجهة كل الأجيال في كل الحروب وفي كل أنواع الجهاد وفي كل ساحات الأرض والعصر.... لقد مات في كربلاء من أجل أن يُبعث في كل الأجيال والعصور".

أصبح يوم عاشوراء حدثاً بارزا في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وأصبح هذا اليوم يوم حزن شامل عند الشيعة بصفة خاصة وتمادى الشيعة في إبراز أحزانهم بأساليب عديدة تحولت مع الزمن إلى تقاليد موروثة ارتبطت بيوم عاشوراء وأصبح اسم عاشوراء عند الشيعة مرادفاً للحزن الممزوج بالغضب والرغبة في الثأر وأصبحت هذه التقاليد جزءًا من العقيدة الشيعية.

ومن هذه التقاليد: مجالس العزام التى تقام فى كل مكان، ويتجمع بها النسوة والرجال والأطفال على حد سواء، في عموم إيران، ويقوم في هذه المجالس متكلم

بليغ حسن الأداء يقص مأساة الحسين وينشد المراثي بشكل حزين، فيغلب البكاء على الحضور، ويسمى هذا الرجل: روضة خوان " أي: قارئ التعزية... فإذا كان اليوم العاشر خرجت هذه الجموع وسارت في الشوارع: بعضهم يضرب الصدور فيسمون سينه زدن وبعضهم يضرب الظهور العارية بالسلاسل ويسمون زنجير زدن. ويسألون الله المغفرة، ويتقدم هذه الفرق جماعات ينشدون عبارات محزنة، ويسمون نوحه خوانان أي: النائحون.

أما مجلس العزاء الرسمي فيتم تحت رعاية مرشد الثورة، وتُلقى فيه الكلمات عن دور الحسين في الحفاظ على الإسلام كما تقام فيه مراسم ضرب الصدور والنواح.

أما الشكل الشائع لعاشوراء على النحو المعروف لنا في الوقت الحاضر -أي رواية سيرة الحسين في محافل شعبية- فتعود جذوره -على الأرجح- إلى القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد، عندما اعتلى الصفويون سدة الحكم في إيران، واتخذوا من التشيع عقيدة رسمية لدولتهم، فاتخذ الاحتفال بذكرى استشهاد الحسين صفة رسمية(١). وإلى جانب مواكب العزاء أقيمت مجالس العزاء في بيوت الوجهاء من الناس، حيث يقوم بقراءة قصة قصص واقعة كربلاء، ويستميل الخطيب معلوماتية عن الواقعة من كتاب مشهور عندهم يدعى (روضة الشهداء). وهو أول كتاب مشهور عندهم، من تأليف حسن واعظ كاشفي المتوفى سنة ٩١٠هـ. ثم أخذت المجالس بالتطور والانتشار حتى أقيمت الحسينيات لذلك. وخلال المائتي سنة الأخيرة نمت الاحتفالات بعاشوراء وتوسعت، وأخذت أبعادا شعائرية وطقوساً، وتحولت المواكب بالتدريج إلى

---

(١) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص١٣٨..

مسرحيات دينية شيعية، حتى عد مسرح عاشوراء بداية المسرح الشعبي في إيران[1].

لم تحظ ذكرى عاشوراء وواقعة كربلاء بإحياءٍ واهتمامٍ حيوي في أي مكان كما حظيت به في إيران، فمنذ أن ظهرت الدولة الصفوية واتخذت التشيع مذهبًا رسميًا لها، أضحت عاشوراء وواقعة كربلاء الحادثة التاريخية العظيمة طقساً مذهبياً دينياً وطابعاً شيعياً في صدر اهتمامات الدولة، وقد أفرطت الدولة في ذلك الاهتمام والاعتناء بالذكرى والواقعة واستغلالها لإرساء قواعد سيطرتها على الشعب، وربما كان من نتائج ذلك: الإفراط في تشديد الخلافات بين أهل السنة والشيعة في المجتمع الإيراني.

وكذلك حرص الشاه إسماعيل الصفوي بعد أن سيطر على بغداد على التوجه إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين. فأمر بتهذيب الضريح، وقدم له اثني عشرة قنديلاً من الذهب، وأمر بصنع صندوق للقبر من الفضة وقد اعتكف الشاه إسماعيل في حضرة الحسين ليلة، ثم توجه إلى زيارة قبر علي بن أبي طالب في النجف[2].

وقد تطورت هذه المراسيم في العراق نفسه فوُجِّه هذا البكاء عند البابليين إلى الإله مردوك في اليوم السابع من نيسان، وذلك أثناء احتفالاتهم بأعياد رأس السنة التي كانت تستغرق اثنى عشر يوما تبدأ بأول نيسان. وكانت هذه الاحتفالات في هذا اليوم تتمثل في " دراما محزنة لموت الإله مردوك وصعوده إلى السماء"، فالإله يجرح في مثل هذا اليوم ويموت ويبحث الناس عنه في كل مكان

(١) المرجع نفسه.

(٢) العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٣، ص٣١٦.

مولولين وناحبين[١]. لكن عندما تأتي عربة مردوك تأتي للجماهير فارغة دليلاً على موت الإله تموز أو (مردوك) فيتعالى صوت النواح والبكاء في مواساة الربة عشتار على فقد حبيبها.. في اليوم العاشر[٢].

وتحول الحسين في الوجدان الشيعي إلى رمز للثورة على الظلم والانحراف ومكافحة الحكام الطغاة والشيعة يرون أن كل ثورة وانتفاضة هي على طريق الحسين ونهجه وصار الحزن على الحسين فريضة واجبة ومظهرا من مظاهر التقوى والإيمان وصار البكاء عليه في ذكرى استشهاده عادة واجبة وأصبح هذا البكاء –من ناحية أخرى- تنفيساً عن كل الأحزان المكبوتة في صدور الشيعة.

ولا يخلو أي مجلس مذهبي في إيران من ذكر اسم الحسين وكل الطرق تؤدي إلى كربلاء حتى راج في اللغة الفارسية مثل يقول: الفرار إلى صحراء كربلاء.

والإيرانيون يستحضرون أحداث يوم عاشوراء في كل مناسبة ويتمثلونها في كل موقف وقد راجت لديهم مقولة: كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء. وكل شهر محرم، ولكل زمان ظالم كيزيد.

وقد أدرك الخميني أهمية مجالس العزاء فاستفاد منها ومن جموعها الغفيرة وأضفى عليها طابعا سياسيا. وربط بين خروج الحسين ضد يزيد بن معاوية وبين خروج الشعب الإيراني ضد الشاة.

---

(١) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج٢، ص٣٩. نقلا عن أكيتو أو أعياد رأس السنة البابلية لمحمود الأمين.

(٢) وكذلك يفعل الشيعة حينما يأتي (جواد) الحسين خاليا من فارسه ملطخا هامته بدمه فيهيج الشيعة مواساة لزينب وهي ترى هذا المشهد الأليم.

وقد أكد الخميني غير مرة على أن الثورة الإسلامية في إيران قبس من نور ثورة عاشوراء، وكان يعد ثورته استمرارا لثورة كربلاء واقتداء بها، وكان يؤمن بأنه يجب استمرار هذه الثورة في كل يوم وفي كل زمان. وهم يربطون في إيران الآن بين ثورة الخميني وعاشوراء فالثورة الإسلامية باقية طالما أن عاشوراء باقية".

والإيرانيون يتحدثون عن التماثل والتناظر بين ثورة الحسين بن علي وثورة الخميني ويرون أن الدم قد انتصر على السيف في الثورتين.

وهم في إيران يؤمنون بأن هوية الثورة الإسلامية وماهيتها نابعة من ثورة عاشوراء وبأن هذه الثورة تعد استمراراً لانتفاضة عاشوراء وبأن بقاء هذه الثورة وترسيخ أهدافها مرهون ببقاء روح عاشوراء حيةً في إيران.

*** أسطورة تقديس كربلاء المكان:**

لم يتوقف الأمر على ذلك، بل تعداه إلى أن جعلوا كربلاء في باب المفاضلة بين المدن أقدس وأفضل من مكة. "إن أرض الكعبة قالت من مثلي وقد بُني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه. فأوحى الله إليها أن كفي وقري ما فَضْلُ ما فُضِّلْتِ به فيما أَعطيتُ كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر ولولا تربة كربلاء ما فضلتك ولولا من تضمُّه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم"[1].

---

(١) كامل الزيارات ص ٢٧٠، بحار الأنوار، ج١٠١، ص١٠٩.

إن كربلاء وما أنتج حولها من قصص وحكايات كثيرة أنتجها خيال وفكر منسوب زوراً لآل البيت يستند للأباطيل والأكاذيب والخرافات. الغرض منه هو استنزاف عاطفة الشعور الجمعي، وتوظيفه في أجندة تخدم أيديولوجية خاصة، يهدفون في كل سنة إلى ترسيخ مبدأ الانتقام في الذهنيَّة الشيعية، وتعميق هوة التشرذم، وتجديد الأحقاد، وصناعة الكراهية.

ولكن على الرغم من اختلاف هذه المناسبات إلا أن الخطاب فيهن واحد، وهو قائم على سبِّ السنة وتكفير ولعن الصحابة بدعوى سكوتهم على مقتل أئمة الشيعة على يد الخلفاء الأمويين والعباسيين. وقد نشأت جراء هذا الخطاب أجيال شيعية متشنجة ومعادية لأبرز الصحابة والخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين. وهذا العداء منشؤه النصوص والمناهج الثقافية التي وضعها الصفويون مستغلين حادثة كربلاء واحدةً من أشد الحوادث سوداويَّةً في تاريخ الأمة لإذكاء روح الفتنة وزرع الأحقاد بين المسلمين.

*** أسطورة الثأر وقدسية الانتقام:**

لقد أُفهم الشيعي أن أهل السنة معادون لآل البيت، وأن للحسين ثأراً عند السنة، والشيعة هم أصحاب الثأر، ولهذا فإننا كثيرًا ما نسمع ونشاهد رفع الشيعة شعار 'يا لثارات الحسين'، وهي كلمة تردد باستمرار على ألسنة خطباء المجالس الحسينية، وتكتب على اليافطات السوداء، ويحملها الصبية والشبان الشيعة المغفلون وهم يسيرون بها في المواكب ومسيرات اللطم ومهرجانات شق الرؤوس وضرب الصدور " مراسم سينه زدن " خصوصًا في مثل هذه الأيام دون أن يعرفوا أبعاد هذه الشعارات وما هي مقاصد واضعيها. فإذا نقرأ في سيرة الحسين رضى الله عنه أنه كان يبكي يوم كربلاء حزناً على قاتليه الذين سوف يدخلون النار بسببه، وهذا قمة الخُلُق والإنسانية. إذن فما دام الحسين كان

يتعامل هكذا مع خصومه فلماذا يجعل مدعيّ حب الحسين ذكرى مقتله وسيلة لنشر البغضاء والعداوة بين المسلمين المحبين للحسين؟!.

أخذت هذه الأساطير والقصص تغذي العقل الشيعي بكراهية قاتل الحسين، وظل الوجدان الشيعي يتغذى بالانتقام والكراهية كلما مر به طيف صور الحسين وهو صريع في أرض كربلاء مقطوع الرأس. ويظهر أن الجوهر الحقيقي في مسيرات اللطم أو العزاء تكريس منظم، ومدروس بعناية لصناعة العدو (السني) الناصبي الظالم الشرير والخائن اللعين، يهدف من كل ذلك إلى إلهاب مشاعر الشيعة حزناً على الحسين البطل الضحية الذي ضحى بنفسه لأجلهم.

إن ضرب الصدور والنحيب واحدةٌ من الخرافات التي يُدعي أنها إحد وسائل القربى إلى الله؛ حيث يقومون بضرب الصدور والقامات باليد المجردة وباستعمال السيوف والخناجر لسكب الدماء وجرح الجسم، وفي مناطق أخرى بالسلاسل وما يصاحب ذلك من قصائد الحزن وكلمات الرثاء لآل البيت وسب آل أمية وسب الصحابة، البكاء والعويل والنحيب رجالاً ونساء، وهم ينسبون إلى الأئمة قولهم: "من بكى أو تباكى على الحسين وجبت له الجنة". والكل يريد الجنة ويسعى لها؛ ولذلك كلٌ يسعى لزيادة البكاء وإظهار الحزن، كل ذلك لكي يرضوا الله -كما زعموا؟.

* المحطات الحديثة: استمرار أسطورة "مظلومية الشيعة":

بعد أن دخل الأمير سعود المدينة المنورة قادما من كربلاء في - رمضان ١٣٤٤هـ قام بعض الأشخاص في ٨ شوال ١٣٤٤هـ بهدم قبة ومرقد أئمة الشيعة الأربعة الذين كانوا يرقدون في البقيع ليتحول هذا الحدث إلى حدث كاشف

للطبيعة المقدسة لمنطقة البقيع في العقل الشيعي عامةً وفي العقل الشيعي الإيراني خاصة.

فما حدث في الثامن من شوال عام ١٣٤٤هـقد كشف لنا عن مكانة كانت قائمة بالفعل في داخل العقل الشيعي بشأن منطقة البقيع التي يسود اعتقاد عام بشأنها بين المسلمين مفاده أنها بقعة طاهرة نظرا لأنها تضم أجساد الكثير من صحابة النبي الكريم صلى الله علية وسلم وكذلك أنصاره لكن أن يكون لهذه المنطقة قدسيه خاصة لدى الشيعة فهذا هو ما كشفت عنه حادثة الثامن من شوال ١٣٤٤هـ.

وبالتالي فهي مقدسة لدى كل المسلمين لكن ما حدث في ذلك اليوم أعطى لها قدسية خاصة لدى الشيعة وأضاف ثنائية جديدة للعقل الشيعي ليصبح أمام رؤوس مثلث من نوع الثنائيات:التحكيم والنجف وعاشوراء وكربلاء ثم شوال والبقيع.

وبقدرٍ فنستطيع القول أيضاً بأن ما أفرزته حادثة "التحكيم" من تداعيات ونتائج لا زلنا نعيش آثارها ونتائجها حتى اليوم، وبقدر ما تحقق ذلك أيضاً بسبب عاشوراء فنستطيع القول أيضاً بأن حادثة "الثامن من شوال" قد أفرزت عدداً مماثلاً متكاملاً من النتائج الماثلة. لكن هذه النتائج لم يكتب لها أن تتعاظم على النحو الذي حدث بسبب "التحكيم" و"عاشوراء".

*** تجسيد فكرة المظلومية في الكتب المدرسية الإيرانية:**

تركز الكتب المدرسية في سن مبكرة على مظلومية الحسين، من خلال التركيز على سيرته الذاتية " النضالية "، والاحتفال بولادته من كل عام في شهر محرم، وتركز الكتب على تصوير مكانة الحسين عند الرسول "ص"، ومسيرته في محاربة الظلم، وتستعرض الكتب هذا الاحتفال من حيث طقوسه، لباسه،

الرايات التي ترفع، سلوك المحتفلين، وتضع في نهاية الدرس عبارة " عندما يذكر اسم الحسين، يذكر معه شهر محرم "[1].

وتركز الكتب المدرسية على مراسم عزاء الإمام الحسين، وقدسية المشاركة في هذه المراسم، فتظهر في درس ياد أو " ذكراه " طقوس المراسم: القميص الأسود، العصابة الحمراء المكتوب عليها (يا حسين)، شال العزاء على الرقبة، العلم الأخضر، أخذ الإذن والرخصة من الأم للمشاركة في المراسم.

فعاليات المراسم: السير طويلا، متزامنا مع أصوات الطبل والضرب بالسلاسل على الصدور. وفي طريق العودة بعد إكمال المراسم العودة إلى المنزل وشفتاك يعلوهما النواح. وتحاول الكتب المدرسية التعظيم من شأن الحسين إلى درجة كبيرة.

نشاط: الطلب من الطالب في النهاية، كتابة موضوع إنشاء، على شكل قصة حول هذا الموضوع [2].

وقد صورت الكتب المدرسية الإيرانية صور أل البيت ففي إحدى الدروس" عابر السبيل العطوف " تظهر صورة الحسين بن علي بن أبي طالب، وجسدتها من خلال شخص يلبس لباسا عربيا، يضع على رأسه عقالا من اللون الأخضر، وزنارا على وسطه من القماش الأخضر، وعباءة، ومن سماته الخلقية، له لحيه شقراء، وينظر إلى جهة اليسار، حيث لم يرى من وجهه الشريف سوى لحيته،

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، دوم دبستان، جاب هشتم، ١٣٨٨، ص٤٢-٤٣.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، سوم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٨، ص٤٠-٤١، ٤٢.

وجهة من وجهه، أنفه، وفمه، الشمس تبتسم له، والطيور وأشجار النخيل حوله، نفس هذه الصورة يتم تجسيدها للرسول الأكرم في الكتب المدرسية الإيرانية(١)

ونرى كتب الأدب تحاول تخليد الحسين بن علي شعرا من خلال قصيدة " ياد حسين " " ذكرى الحسين " واستشهاده، بصورة حزينة معبرة من ولادته حتى استشهاده(٢).

*** تجسيد فكرة تقزيم المولد النبوي:**

الذكرى خارج إطار الزمان المعاصر:

خصته الكتب المدرسية الإيرانية بقليل من الاهتمام، " ففي درس "جشن تولد""احتفال المولد" حيث يتم فيه الذهاب إلى بيت الجد، وتدعى العائلة، بعد الضحك واللعب والفرح، يجمع الجد الصغار، يجلسون حوله، ليقول لهم عن سبب جمعهم لأنه اليوم الذى يصادف عيد المولد، بعدها يقول لهم قصة عن سيرة حياة الرسول(٣)، ونجد الحديث عن عيد المولد من خلال الحديث عن قصة الرسول الأكرم، ونزول الدعوة عليه من الله تعالى بواسطة جبريل في درس سحركاه با شكوه الفجر مفعما بالمجد، حيث تطلب من الطالب نشاطاً صفياً بإرسال كارت تهنئة إلى صديق بمناسبة عيد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم(٤).
وسلم(٤). وهذا الموضوع سنبحثه مفصلا في ثنايا الدراسة بشكل مفصل .

---

(١) المرجع السابق، ص، ٣٩، ٤١.

(٢) فارسی، سال دوم دوره ی راهنمایی تحصیلی، جاب سوم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهای درسی ایران، ١٣٨٩، ص ٢٤.

(٣) كتاب هديه های آسمان، تعليم وتربيت اسلامی، دوم دبستان، جاب هشتم، ١٣٨٨، ص٢٢-٢٣.

(٤) كتاب هديه های آسمان، تعليم وتربيت اسلامی، جهارم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٩، ٥٠.

*** أسطورة مكة المشرفة والنجف الأشرف"تقديس المكان والزمان":**

صار النجف مركزاً رئيساً للمرجعية الدينية والحوزة العلمية عند الشيعة في منتصف القرن الخامس للهجرة.

وفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي كان الشاه إسماعيل الصفوي أول من وجه الاهتمام إلى النجف عند زيارته لها في محاولة لإعادة الاعتبار لها، فأمر بإصلاح قناة المدينة التي كانت ترفدها بالماء. كما قام الشاه طهماسب الذي زار النجف في عام (١٥٢٧هـ) بشق قناة أخرى إليها(١).

وينقل الحيدري عن المستشرق الألماني مايسنر بأنه يوجد بين الحلة وكربلاء مسجدٌ يدعى مسجد الشمس وأن بعض الأساطير تتحدث عن إحدى معجزات الرسول ﷺ، الذي جعل الشمس تقف عن الدوران حتى يتمكن الإمام علي من أداء الصلاة في وقتها المحدد. وقد أضاف مستشرق ألماني آخر إلى ذلك، بأنه في زمن البابليين كان يوجد في ذلك المكان بالذات معبد لتقديس الإله شماس(٢).

إن الاحتفالات التي كانت تجري في شارع الموكب في بابل من أجل تموز تلقي بحسب ايردفس ضوءًا يساعدنا على مقارنتها بما كان يجري في إيران في القرن التاسع عشر أيام عاشوراء من بكاء وتراتيل. ومن رموز الاحتفالات بعاشوراء "كف العباس" التي ترفع في مواكب العزاء، والتي تدل على تشابه واضح مع طقوس بابلية، حيث يرمز الكف إلى الخصوبة، مثلما ترمز إلى الوعي بعودة تموز ثانية، وبالرغم من موته في ربيع العام القادم(٣).

(١) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٢٤٢.

(٢) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٣٢٤.

(٣) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص٣٢٢.

أدخل الصفوية في الذكرى أمورًا لم تكن فيها من قبل فقاموا بوضع الأناشيد والأشعار العزائية والمراثي[1]. وإنما وقع هذا موقع القبول وسط الشعب الإيراني؛ لأن هذا الشعب -كبقية الشعوب- يحتاج إلى أبطال وعمالقة شعبيين يتخذهم أسوة وقدوة في القيام ضد الظلم والدفاع عن الحق وحماية المظلوم، ففي الثقافة الشعبية الإيرانية، وكذلك التاريخ الحضاري والأدبي الإيراني نجد أبطالا ورموزًا تتأسى بهم الشعوب في الكرم والشجاعة والدفاع عن المظلوم. و"الشاهنامة" (شاهنامة فردوسي) أوضح وأكبر مجموعة لتاريخ هؤلاء الأبطال وأعمالهم. وواقعة عاشوراء (كربلاء) وشخصية الإمام الحسين وأصحابه حلت محل هؤلاء الأبطال وأعمالهم؛ وذلك لكونها متعلقة بالإسلام وأهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد دخول الإسلام في إيران، وبعد انتشار المذهب الشيعي فيها[2].

نخلص إلى القول بأن (احتفالية التعزية أو عاشوراء) ما هي إلا مرآة عاكسة للاشعور عند الشيعة والذي من خلاله نرى بشكل واضح الجذر الدرامي في موضوع ممنوع.. فالشيعة ترى في هذا الأخير أداة أيديولوجية تستطيع من خلالها أن تنفذ إلى الأفق السياسي أي أنها تريد أن تخلق شرخاً في قلب النظام المعارض ديناً لعقيدتها.

*** أسطورة مكة المشرفة والنجف الأشرف في الكتب المدرسية الإيرانية:**

نجد الكتب المدرسية الإيرانية تكثر من إبراز صورة مرقد الإمام علي في

(١) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص١٣٨-١٣٩.

(٢) حول ذلك انظر: الحيدري، تراجيديا كربلاء.

النجف الذي تصفه بالأشرف، حيث ترد من خلال تطور الأحداث التاريخية خلال خلافة علي بن أبي طالب [1].

*** تمثيل الزيارة كأنك بالكعبة، وإعطاؤها هالةً روحية:**

ونلاحظ تصويرا للأماكن المذهبية الشيعية خاصة النجف " الأشرف "عن طريق وضع صور، يعقبها تمرين يقول " انظر وقل ما هي هذه الصور، حيث تظهر الصور مراقد الشيعة في إيران [2].

ونجد أيضا التركيز على البعد المذهبي من خلال درس " إيران ما " إيراننا "، فعند الحديث عن مناطق إيران نجد البعد المذهبي حاضرا من خلال صور المواقع المذهبية في إيران مثل صورة: مرقد الإمام الرضا؛ وهي أول صورة [3]، أما صورة مكة فيظهر عند الحديث عن بعثة النبي محمد، ويصور الدرس صورة مكة من خلال صورة الجمل، والخيام، والصحراء القاحلة التي لا يوجد بها سوى الشوك [4].

---

(١) كتاب تاريخ، سوم راهنمايي تحصيلي، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، ١٣٨٩، ص٢٢.

تعليمات اجتماعى، سال اول دوره ى راهنمايي تحصيلي، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايي درسى ايران، ١٣٨٩، ص ٧. تعليمات اجتماعى، جهارم دبستان، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايي درسى ايران، ١٣٨٧، ص ١٠٧جغرافيا، سال دوم، دورهء راهنمايي تحصيلي، وزارت آموزش، جاب دوازدهم، ١٣٨٩، صورة الغلاف الصفحة الأولى.

(٢) فارسى بخوانيم، دوم دبستان، جاب يزدهم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص ١٠٠.

(٣) فارسى بخوانيم، دوم دبستان، جاب يزدهم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص ١٠٨.

(٤) آموزش قرآن، دوم دبستان، جاب هشتم، ١٣٨٨، ص ٣٣. درس " ظهور الاسلام " ظهور الاسلام "، تعليمات اجتماعى، بنجم دبستان، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايي درسى ايران، =

ونجد بالمقابل صورة الكعبة التي وصفتها الكتب المدرسية " بالمشرفة "مرفوعا عنها لوسطها البرد الذي تتزين به، حيث يظهر بناؤها الحقيقي، وتتكرر هذه الصورة مرارا وتكرارا في عدد من الكتب المدرسية [1].

وتبرز الكوفة من خلال الكتب المدرسية الإيرانية من خلال علاقة صداقة تربط بين طالب إيراني يدعى مصطفى وطالب فلسطيني يدعى خالد" اسم خالد في المذهب الشيعي"، حيث يتبادلان الرسائل في درس " مساجد مسلمانان " "مساجد المسلمين "، حيث يحاول الطالب الإيراني مصطفى أن يستعرض أهم المساجد الإسلامية بعد تصنيفها من حيث أهميتها، اعتمادا على كتاب قام بقراته، فيذكرها حسب أهميتها بناء على الترتيب التالي: المسجد الحرام في مكة والكعبة، ومسجد الكوفة "يذكره قبل المسجد الأقصى "، ثم يذكر المسجد الأقصى، أما الطالب الفلسطيني فيرد برسالته، وكأنه موافقا على هذا الترتيب للمساجد الذي عرضه الطالب الإيراني، مستعرضا سيرة المسجد الأقصى، وعمليات التخريب التي تعرض لها على يد الصهاينة. ثم يطلب الدرس من

١٣٨٨، ص ٧٦-٧٨.

(١)كتاب تاريخ، سال اول راهنمايى تحصيلى، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، ١٣٨٩، صورة الغلاف.

كتاب تاريخ، دوم راهنمايى تحصيلى، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، ١٣٨٩، صورة الغلاف.

ونجد صورة الكعبة مستورة الرداء. كتاب تاريخ، سوم راهنمايى تحصيلى، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، ١٣٨٩، ص ١١درس " امت اسلام " الأمة الإسلامية " تعليمات اجتماعى، جهارم دبستان، ناشر شركت جاب ونشر كتابهاى درسى ايران، ١٣٨٧، ص١٣١.

الطلاب نشاطا حول ماذا كتب مصطفى للطالب الفلسطيني[1]؟

تسعى الكتب المدرسية الإيرانية من خلال النصوص المتكررة إلى إضفاء الشرعية التاريخية والدينية للقيم القومية والمذهبية، فعادة ما تظهر مراقد الشيعة وأضرحتهم، خاصة النجف "الأشرف "، إلى جانب الكعبة المشرفة، قبة الصخرة...

تسعى الكتب المدرسية ـ من خلال النصوص والصور المتكررة حول الأضرحة ـ إلى إضفاء الشرعية التاريخية والدينية المذهبية، فيطلب من الطلاب عقد مقارنة بين قدسية مدينة القدس، قبة الصخرة، الكعبة المشرفة، في الإسلام، مقابل قدسية النجف الأشرف ومفاضلته، إضافة إلى كربلاء، مرقد الإمام الرضا في خراسان، مرقد المعصومة في قم... ".

ونجد اهتمام الإيرانيين في موضوع النجف، فمن خلال معايشتنا للواقع الإيراني كنا نلاحظ ذلك من خلال مفهوم الحج ليس لبيت الله الحرام بل يهتم الإيرانيون بتأدية فريضة الحج، لكن إلى أين؟ يحج الإيرانيون إلى قبر علي بن أبي طالب في النجف، وإلى قبر الحسين بن على في كربلاء، وإلى قبر الإمام الثامن على الرضا في مشهد وإلى ضريح السيدة فاطمة أخت الإمام على الرضا في قم (جنوبي طهران). وتنتشر في إيران الأضرحة والمزارات التي تنسب لبعض الأئمة وغيرهم من زعماء الشيعة وكان الإيرانيون قد أولو المساجد ومراقد الأولياء من آل البيت عناية كبيرة، وأقاموا أبنية مبالغ فيها لدرجة أنك تجد نفسك في قصر مزخرف، وذلك لإبراز القدسية والاحترام الذي يحظى به أئمة آل البيت

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، جهارم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٩، ص١٨-١٩.

وأبناؤهم، وحتى اللاحقون خصوا بذلك، ومن أبرزهم مرقد الخميني الذي لا يقل قدسية عن غيره. وبعد الحج إلى مشهد يلقب الحاج بلقب: الكربلائي، القمي، المشهدي، والنجفي و......

* أسطورة اصطناع وتعظيم الفرح، التفاؤل:

الغدير نموذجاً:

إذا كان التفاؤل والتشاؤم موجودين لدى جميع الأمم والشعوب فإن للإيرانيين نصيباً وافراً منهما، فلديهم ما يسمى بالتفاؤل بالشكل والجسم والهيئة.

ولديهم التفاؤل بالمكان، ومن ضمن ذلك ظاهرة غدير خم التي غيرت مجرى التاريخ، فقد عرف "غدير خم" لدى الشيعة بأنه من الأماكن التي تحمل مفاهيم البشرى والوعد بالدور التاريخي للشيعة، وهذا المكان بالتالي هو جغرافيا مفرحة تبعث على البهجة والسرور. فمكانة هذا "الغدير" تختلف في طبيعتها داخل نفس كل شيعي وبخاصةٍ الشيعةُ الإيرانيون، وهو لا يقل عن مكانة عدة أماكن أخرى مثل النجف وكربلاء على سبيل المثال. فالنجف وكربلاء منطقتان ارتبطتا في العقل الشيعي بوصفهما أماكن غم وغدر وخيانة، ينبغي أن تدفع باتجاه التعبئة للثأر من الآخر الذي كان سببا في وصول إلى حرمان الشيعة من القيادة والزعامة.

عيد "غدير خم"، هو مكان يرتبط داخل العقل الشيعي بالبشرى السارة، ولهذا نجد الاحتفال به "بغدير خم" يرتبط بالسعادة والسرور، وتوزيع الطعام وشراء "الحلوى"، لأن الحدث صار يمثل " عهدا، وعدا، وعيداً مذهبيا مقدساً.

وهكذا يصبح يوم الغدير أي التاسع عشر من ذي الحجة من كل عام يوماً للتأكيد الشيعي على أحقية الإمام علي بن أبي طالب بالولاية بعد الرسول.

السعي بكل السبل والطرق لإثبات "صدق" الحدث، والتأكيد على مفهوم "الولاية الدينية" على النحو الذي يرسخ لدى عامة الشيعة مدى أهمية استمرار العمل بـ "ولاية الفقيه".

ففي الثامن عشر من ذي الحجة في العام العاشر الهجري كان الرسول صلى الله عليه وسلم عائداً من حجة الوداع، وكان الوقت يقترب من صلاة الظهر، فنزل الأمين جبريل على الرسول الكريم حاملاً معه الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٧]. عندها أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن تتوقف قوافل الحجاج وكان قد وصل لتوه إلى "غدير خم" فلما توقف الحجيج قال الرسول: " هل تسمعوننى؟" فأجابوا: نعم. فقال الرسول" يا أيها الناس تركت فيكم ما إن تمسكتم يهما لن تضلوا بعدى أبداً". فسأله رجل وما هما يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم:" الأول هو "كتاب الله" فاحفظوه جيداً واعملوا بأوامره. ولا تستبدلوه بشيء أبداً حتى لا تضلوا. أما الشيء الثاني فهو عترتى وأهل بيتي وقد أخبرني الله ألا تفصلوا بين هذين الشيئين وأن من يتمسك بهذا فإن الله سيكون في عونه وسوف يضل الله من يفرق بينهما".

ثم أمسك الرسول الكريم بيد على بن أبى طالب وقال:" يا أيها الناس هل أخبرتكم بشيءٍ كذب من قبل ". فأجابوا بالنفي. فقال صلوات الله عليه وسلامه " اللَّهُمَّ هذا علىَ يده بيدي. أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى. اللَّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه. " بعد ذلك نزل جبريل الأمين ثانية حاملاً معه آخر آية قرآنية وهي الآية الرابعة من سورة المائدة والتي يقول الله عز وجل فيها: " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً".

عندها كبّر الرسول الأكرم وقال: " الحمد لله على إتمام النعمة وإكمال الدين وسعادة الله ورضاه على رسالتي وولاية على.

هكذا يروى الشيعة الحدث ومن هنا جعلوه عيداً. فهو عيد " الولاية" أي عيد تولى الإمام علي "الولاية" بنص كلام رسول الله. ومن هنا تأتى طبيعة هذا اليوم وهذا المكان وهذا الحدث.

لقد وصل الأمر بهم إلى إقامة احتفالية أطلقوا عليها "أسبوع الولاية". فقد جعلوا للولاية أسبوعاً يبدأ من الثامن عشر وحتى الخامس والعشرين من ذي الحجة رصدوا فيه كل ما وقع من أحداث ترتبط بعلي بن أبي طالب، وتجد شوارع العاصمة طهران والمحافظات الإيرانية مزدانةً احتفالاً بهذه المناسبة.

ولأن يوم " غدير خم " يعتبر عيداً لدى الشيعة فقد أقاموا له مراسم خاصة به وأطلقوا عليها اسم "المستحبات العشرين في يوم الغدير" وهى كالتالي:

١) الصوم، قال فقهاء الشيعة: إن الصوم في يوم الغدير أمر مستحب وهو أفضل من عبادة ستين عاماً وهو أيضاً كفارة لذنوب ستين عاماً.

٢) الإكثار من الصلاة، شكراً لله على نعمة النبوة والولاية.

٣) ارتداء الملابس الجديدة ابتهاجاً بالعيد.

٤) الاحتفال والفرحة بأن أهدى الله نبيه لهذا الأمر ولاية علي.

٥) العفو عن الآخرين ونبذ الحقد والكراهية.

٦) أن يقوم كل فرد بتهنئة الآخرين بالعيد.

٧) إطعام الفقراء والمساكين والأهل والأقارب.

٨) التعطر، فمن المهم استخدام عطور طيبة الرائحة في هذا اليوم.

٩) زيارة العلماء والمؤمنين وصلة الأرحام.

١٠) إفشاء السلام والمصافحة لكل فرد يقابله الإنسان.

١١) شكر الله مائة مرة بتكرار العبارة التالية:" الحمد لله الذي جعل كمال دينه وتمام نعمته بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب".

١٢) تدعيم أواصر الإخاء بين المسلمين مثلما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم الغدير عندما أعلن عن أخوته مع علي بن أبي طالب".

١٣) دعاء الندبة.

١٤) زيارة قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

١٥) أداء ركعتين قرب حلول وقت الظهر وشكر الله في كل سجدة على الولاية مائة مرة.

١٦) تلاوة وقراءة الأدعية المأثورة في هذا الصدد.

١٧) قضاء حاجة المؤمنين.

١٨) إدخال الفرحة والبهجة والتسامح على أهل المنزل وتوفير الراحة لهم.

١٩) الإكثار من العبادة والدعاء في نهار وليل يوم عيد " الغدير".

٢٠) إفطار الصائمين في هذا اليوم [١].

---

(١) انظر الزاوية الاجتماعية: شعب إيران والغدير، مختارات إيرانية العدد ٥٧، إبريل ٢٠٠٥، ص٨١-٨٢.

*** الغدير في الكتب المدرسية الإيرانية:**

كيف كانت الحكومة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

تقول الكتب المدرسية الإيرانية "في عهد رسول الله كانت قيادة المجتمع في عهدته، كان الرسول يطبق القوانين الاجتماعية والسياسية الإسلامية وكان يدير المجتمع، كان يصدر أوامر الجهاد والدفاع، ويعين قادة الجيش، وكان هو القائد الأعلى للجيش، كذلك كانت تتم أحكام القضاء والتحكيم تحت اشرافه، كان يدرب القضاة ويرسلهم إلى القرى والمدن القريبة والبعيدة، ليحكموا بين الناس ويحلوا مشاكلهم طبق القواعد والمعايير الإسلامية وينفذوا حدود الله، وكذلك كان بيت المال وتوزيع غنائم الحرب بعهدة رسول الله، كان بيده جميع أبعاد الحكومة.

بالإضافة إلى ما ذكر، كان لرسول الله اتصال خاص مع الله، كانت يتلقى القوانين والبرامج الإلهية عن طريق الوحي ويبلغها للناس، ولكن في النهاية انتهى عمر رسول الله وانتقل إلى العالم الآخر[1].

تضيف الكتب المدرسية الإيرانية "من يجب أن يحافظ على أحكام وقوانين الدين بعد وفاة رسول الله؟ هل يحتاج العالم الإسلامي بعد وفاة الرسول إلى قائد ورئيس حكومة؟ هل يمكن أن يترك الرسول المجتمع والشباب المسلمين بدون مرشد وقائد وأمام وبعد كل الاهتمام الذي أولاه الرسول للمحافظة على الإسلام وإدارة أمور المجتمع الإسلامي، عرف الرسول الدين الإسلامي بالدين الخالد

---

(١) فرهنك اسلامى وتعليمات دينى، سال دوم، دوره، راهنمايى تحصيلى، شركت جاب ونشر كتاب هايى درسى، ١٣٨٩، ص ٧١.

وأحكامه وقوانينه ستبقى خالدة، إذن كيف لم يعين حارساً لحفظ أحكام هذا الدين الدائم؟ هو لم يرسل أبدا جنداً بدون قائد، وحتى أنه كان يعين عدة أشخاص بالترتيب لقيادة الجند من باب الاحتياط، ليكون في حالة استشهاد القائد الأول يتولى الآخر إدارة الجند. كيف يمكن أن يترك المجتمع وشرع الإسلام من دون ولي وقائد وزعيم؟ حتى لو أنه كان يريد السفر لعدة أيام كان يعين شخصاً لإدارة أمور المسلمين أثناء غيابه.

تضيف الكتب المدرسية الإيرانية "كان الرسول ينظر إلى المستقبل باهتمام كبير وإلى إدارة شئون المسلمين الاجتماعية والسياسية للأمة، هل نستطيع أن نقول إنه تجاهل ضرورة وجود إمام وقائد؟ الرسول كان يعلم أكثر من أي شخص آخر ضرورة وجود إمام لاستمرار الخط الأصيل للإسلام، الرسول يعلم جيداً إلى أي حد يلزم وجود قائد يعرف أحكام وقوانين الإسلام لحفظ وحماية المجتمع الإسلامي، وهو يعلم أيضاً من الشخص الجدير للقيام واستمرار مهمات الرسول(١).

تضيف الكتب المدرسية الإيرانية "نحن نعتقد وبحق أن الرسول لم يهمل هذا الأمر المهم والحساس، بل إنه أكد وفي عدة مواقع وفي الكثير من المواقع المهمة والحساسة أكد على هذا الأمر المهم، هذا الموضوع كان من وجهة نظر الرسول أساسي ومهم، وفي أول مرة أعلن فيها دعوته لأقاربه في منزله أشار وأكد بشكل واضح إلى موضوع خلافة علي بن أبي طالب، الرسول ولآخر لحظات حياته في هذه الدنيا وفي الأوقات المناسبة كان يذكر علي بن أبي طالب على أنه خليفته

(١) فرهنك اسلامى وتعليمات دينى، سال دوم، دوره‌ء راهنمايى تحصيلى، شركت جاب ونشر كتاب هاى درسى، ١٣٨٩، ص ٧٢-٧١.

وولي وقائد المجتمع الإسلامي، وبالنهاية أيضا وفي غدير خم أعلن الأمر الإلهي وأوصى بشكل كامل أمام ألاف المسلمين الذين كانوا عائدين من الحج بوصايته وإمامته.

أيضا على بن أبي طالب وبناءً على أمر الرسول الكريم أعلن ابنه حسناً إماماً من بعده، وكذلك كان كل إمام يعرف الإمام من بعده، حتى وصل الدور إلى الإمام الثاني عشر، ولكن ولي العصر وإمام المسلمين ما زال حياً حتى الآن ولكنه الآن في حالة غياب (١).

تقول الكتب المدرسية الإيرانية "ينقسم المسلمون إلى فئتين رئيستين: الشيعة والسنة.

الخلاف بين الشيعة والسنة بعد وفاة الرسول كان خلافاً في وجهات النظر حول موضوع الخلافة وبعض المواضيع الفقهية الأخرى ولكن الطرفين مسلمان، لهم دين واحد ورسول واحد، ويصلون باتجاه قبلة واحدة وكتابهم الديني القرآن، متحدين وإخوة ويتعاونون معاً من أجل ازدهار الإسلام وانتصار الإسلام على الكفر (٢).

تضيف الكتب المدرسية أن أهل السنة يعرفون أن أبا بكر هو خليفة الرسول ويعتقدون أن الرسول لم يعين خليفة له، ولكن المجتمع الإسلامي يحتاج إلى قائد ليكون خليفة للرسول؛ حتى لا يختل النظام، لهذا وبعد وفاة

---

(١) فرهنك اسلامى وتعليمات دينى، المرجع السابق، ص ٧٢.

(٢) فرهنك اسلامى وتعليمات اجتماعى، سال سوم، شركت جاب كتاب هاى درسى ايران، ١٣٨٩، ص٩٨.

الرسول اجتمع عدة أشخاص في السقيفة وعينوا أبا بكرٍ خليفة وبايعوه، يعتقد أهل السنة أن أبا بكر عند وفاته عين عمر بن الخطاب خليفة له، وعين عمر بن الخطاب عند وفاته مجلساً مكوناً من ستة أشخاص مسؤوليته اختيار شخص من بينهم ليكون الخليفة، وفي هذه الأحداث أُنتخب عثمان بن عفان، بعد ذلك بايع الناس وبإصرار منهم علي بن أبي طالب، الفريق الذي كان يؤمن بهذه العقيدة اشتهر فيما بعد بأهل السنة[1].

ما هو رأي أهل الشيعة حول خليفة الرسول؟

الفريق الآخر من المسلمين يعتقدون أن الرسول لن يترك أمته بدون زعيم ومرشد، وباعتقادهم أن خلافة الرسول، وقيادة المسلمين ليست بالأمر الذي يمكن أن يتدخل فيه الناس بل هذا الموضوع حساس ومهم ولا يحيد عن مسير الرسول.

باعتقاد هذا الفريق أن الرسول ومنذ الأيام الأولى لإعلان دعوته عين علي بن أبي طالب خليفة له وقال إمامكم وقائدكم من بعدي على بن أبي طالب، وكذلك عندما دعا عشيرته المقربين في غدير خم فانه ذكر للناس الكثير من صفات وجدارة وعلم وتقوى علي[2].

حقيقة الغدير:

نقول: يرى الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالإمامة. وأهم ما ترجع إليه الشيعة في ذلك ما يروى من نزول

(١) فرهنك اسلامى وتعليمات اجتماعى، المرجع السابق، ص٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٨-٩٩.

النبي صلى الله عليه وسلم غدير خم بعد حجة الوداع. فقد أجمعت مصادر الشيعة على رواية حديث الغدير وأنه دليل على إمامة علي بن أبي طالب.

لم تنكر مصادر أهل السنة حديث الغدير فقد ذكرته وعدته في جملة فضائل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم بينت أهميته وأنه يفيد معنى المحبة، فالباقلاني (ت٤٠٣هـ) يعتبر حديث الغدير من أحاديث الآحاد، وقد فسر: من كنت مولاه بقوله: "إنه يحتمل أمرين أحدهما من كنت ناصره على هذا السبيل، ويحتمل أن يكون من كنت محبوبا عنده ووليا على ظاهري وباطني، فعلي مولاه، أي من أن ولاءه ومحبته ظاهرة واجبة، كما أن ولائي ومحبتي على هذا السبيل"[1].

ثم نقول، لو كان حديث الغدير يفيد الوصية بالإمامة لعلي بن أبي طالب، فلماذا يدور مثل هذا النقاش بين علي بن أبي طالب وعمه العباس رضى الله عنهما عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم على فراش الموت. أورد الزهري أن علي بن أبي طالب خرج من عند الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء مرضه الأخير، فأخذ العباس بيده، وقال له: انطلق بنا إلى رسول الله، فإن كان الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا الناس. فقال له علي: إني والله لا أفعل، والله لئن منعناه لا يؤتينها أحد بعده، فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم"[2].

(١) الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة، ص١٧٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٨٩.

تحليل النص:

القول الفصل في معتقد الإمامة لدى الشيعة:

إن القضية الأساسية التي ركز عليها الشيعة الإمامية هي قضية الإمامة، ومن ثم حاولوا أن يثبتوا إمامة علي ﷺ وخلافته عن الرسول عليه الصلاة والسلام. وأنه مستحق لهذه الخلافة لا عن طريق الكفاية وحدها كما يقول بقية المسلمين، ولا عن طريق ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام، من أوصاف لا تنطبق إلا عليه كما يقول الزبدية، بل عن طريق النص عليه بالاسم والتعيين المباشر، وذهبوا إلى أن النبي صلوات الله وسلامه عليه عين علياً للإمامة، وهو بدوره يعين من بعده بوصيته من النبي ﷺ، ويسمون بالأوصياء. ثم أرادوا أن الأئمة يعين كل واحد منهم من بعده بوصيته من النبي ﷺ، ويسمون بالأوصياء. ثم رأوا أن الأئمة هم علي وأبناؤه من فاطمة على التعيين واحداً بعد واحد في نهاية السلسلة التي أشرنا إليها من قبل، وأن معرفة الإمام أصل من أصول الإيمان، واحتجوا لذلك بأنه ليس في الإسلام أمر أهم من تعيين الإمام ولم يكن للنبي أن يفارق الدنيا قبل أن يحسم هذا الأمر بأنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق أمته ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأياً، ويسلك كل واحد منهم طريقاً لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به، والمعوَّل عليه، وقد عيّن علياً ﷺ في مواضع تعريفاً وفي مواضع تصريحاً"[1]. ويذهب الكاتب الشيعي سعد القمي، إلى أن النبي ﷺ نص على إمامة علي وأشار إليه باسمه وعينه،

---

(١) الشهرستاني، ج١، ص١٦٢.

وقلد الأمة إمامته وأقامه ونصبه لهم علماً وعقد له عليهم أميرة المؤمنين وجعله وصية وخليفته ووزيره في مواطن كثيرة[١].

ويعتقد الشيعة الإمامية الإثنا عشرية أن نص النبي ﷺ على إمامة علي لا يقتصر عليه بل يتسلسل في الأئمة الإثني عشر من ولده، ويذهب المسعودي إلى أن أهل الإمامة انفردوا بالقول بأن "الإمامة لا تكون إلا نصاً من الله ورسوله على عين الإمام واسمه واشتهاره كذلك". وفي سائر الأعصار لا يخلو الناس من حجة لله فيهم ظاهراً أو باطناً". وبعد أن أورد المسعودي فضائل علي والنصوص الواردة في إمامته يقول: "وإن علياً نص على ابنه الحسن ثم الحسين، والحسين على علي بن الحسين، وكذلك من بعده إلى صاحب الوقت الثاني عشر"[٢].

وقد أكد الشيعة أن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي عليه الصلاة والسلام أو لسان الإمام الذي قبله[٣]. وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس. وبناء على هذا يذهب هؤلاء إلى القول ببطلان إمامة من تقدم على علي ﷺ، فالشيعة تقول -كما جاء في رواية الطوسي- "إن من تقدم على أمير المؤمنين (ع) لا يصلح للإمامة"[٤]. ويرى هؤلاء الشيعة أن إمرة المؤمنين سُلبت من علي بمؤامرة دبرها جماعة من بينهم أبو بكر وعمر، وذات مرة سمع الحارث بن الحصيرة الأسدي الإمام الباقر يقول: "كنت دخلت مع أبي الكعبة فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن

(١) المقالات والفرق، ص١٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٣) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص٦٦.

(٤) الطوسي، تلخيص الشافي، ج٣، ص٩٦.

مات رسول الله ﷺ أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً، قال: ومن كان؟ قال: كان الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بين الحبيبة"[1].

وقد دافع الشيعة عن هذا المعتقد دفاعاً حاراً، فأوردوا العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وساقوا بعض الوقائع عن النبي ﷺ واستنبطوا أدلة عقلية كثيرة، كل ذلك ليثبتوا أن علياً ﷺ متميزٌ عن غيره من الصحابة وأنه مفضل عليهم، وأن النبي ﷺ عيّنه من أجل ذلك ليكون خليفة له من بعده. وسنكتفي في هذا المجال بالإشارة إلى نماذج من هذه الحجج والبراهين التي استند إليها الشيعة وبيان قيمتها ومدى حجيتها في إثبات معتقدهم. فمن بين ما استدل به الشيعة ما يروونه من أنه حين نزلت الآية القرآنية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[2] جمع النبي ﷺ بني هاشم وأنذرهم قائلاً: أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به يكن أخي ووزيري ووصيِّي ووارثي وخليفتي من بعدي، فلم يجبه أحد منهم، فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر. فقال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانية وثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف فقام علي وقال: أنا أؤازرك يا رسول الله على هذا الأمر. فقال: اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيِّي ووارثي وخليفتي من بعدي. فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب ليهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك فقد جعل ابنك وزيراً عليك[3].

---

(١) الكليني، الكافي، ج٤، ص٥٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج١٩، تفسير الآية ٢١٤.

وقد ذهب الشيعة إلى أن هذا نص جلي بتعيين علي خليفة من بعد النبي ﷺ. وقد رفض ابن تيمية رواية الشيعة للحديث، وذكر أنها لم ترد في الكتب التي تقوم بها الحجة كالصحاح والمسانيد، بل إنها لم ترد في كتب السنن والمغازي والتفسير، ومن ثم فإن الحديث بالصورة التي رواه بها الشيعة كذب موضوع ونصه مفتري على النبي ﷺ ولا تصح نسبته إليه[1]. وقد ذكر هذه الرواية ابن كثير في تفسيره لسورة الشعراء، فقال "وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن حميد عن سلمه عن ابن إسحق عن عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب.... وبعد أن ذكر الحديث كما ورد أعلاه، عقب عليه قائلاً: "تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن أبي مريم وهو متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله"[2]. وقد قال الذهبي في ميزان الاعتدال: عبد الغفار بن القاسم أبو مريم الأنصاري رافضي ليس بثقة. قال علي بن المديني كان يضع الحديث ويقال كان من رؤوس الشيعة قال أحمد: كان أبو مريم يحدث ببلايا في عثمان. وقال أبو حاتم والنسائي وغيرهما متروك الحديث"[3]. وهذا يؤيد ما ذهب إليه ابن تيمية من أن ما ورد من هذه الرواية ضعيف جداً ومن ثم لا يصح الاحتجاج بها. ويذهب الرازي إلى أنه ليس في الحديث إن صحت رواية الشيعة، دلالة على تعيين "علي" أو الوصية له، لأن النبي ﷺ قال: "خليفتي فيكم" ولم يقل "خليفتي فيكم من بعدي" كما زعمه

(١) منهاج السنة، ج٤، ص٨١-٨٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص٣٥١.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٦٤٠.

الشيعة، ولو قال ذلك لكانت نصاً جلياً، ويشير الرازي إلى أن الشيعة الزيدية ينكرون النص الجلي على "إمامة علي" مع أنهم من أشهر الناس حباً لأمير المؤمنين(١).

ومما احتج به الشيعة قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾(٢). إذ ذهبوا إلى أن الآية تنص على أن الذي يلي أمر الناس، ويدبر أمورهم ويتولى مصالحهم، هو الله تعالى ورسوله، والذين آمنوا. وقد حدد وصف "الذين آمنوا" بأنهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم في حالة ركوعهم، وقد ثبت أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب حين تصدق بخاتمه على فقير، وهو راكع ولم يفعل غيره ذلك، مما يدل على أنه المعنى بولاية المؤمنين(٣). ويؤيد هذا في رأيهم، أحاديث تذكر هذه الحادثة وتربط بها نزول هذه الآية. ويقول الطوسي: اعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمارة أمير المؤمنين عليه السلام، ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق، وثبت أيضاً أن المعنى بقوله والذين آمنوا أمير المؤمنين عليه السلام فإذا ثبت هذان الأصلان دل على إمامته، لأن كل من قال إن معنى الولي في الآية ما ذكرناه قال إنها خاصة فيه ومن قال باختصاصها فيه عليه السلام قال المراد بها الإمامة(٤).

وقول الشيعة بأن هذه الآية نزلت في علي غير صحيح، بل إن الأحاديث

---

(١) الرازي، نهاية العقول، ص٢٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢.

(٤) الطوسي، التبيان، مجلد ٣، ص٥٤٩.

الثابتة الصحيحة تبين أن هذه الآية وما قبلها من الآيات التي تتحدث عن الولاء نزلت في عبادة بن الصامت ﷺ حين تبرأ من ولاية اليهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين، ولهذا قال الله تعالى بعد هذا: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [المائدة:٥٦]، فالآية إذن عامة للمسلمين جميعاً تحثهم على إخلاص الولاء لله ورسوله وولاء بعضهم لبعض[١].

أما الآثار التي أوردها الشيعة وربطوا فيها نزول الآية بعلي وحادثة تصدقه بخاتمه وهو راكع، فقد ذهب ابن كثير إلى أنه لا يصح فيها شيء بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها[٢]. هذا بالإضافة إلى أن فهم الشيعة للآية لا يستقيم ومقررات الشرع. وقد بين ابن كثير ذلك بقوله "وقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة (وهم راكعون) في موضع الحال من قوله: ويؤتون الزكاة "أي حال ركوعهم" ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى"[٣]. ويذهب الشوكاني إلى أن مما يدفع هذا الفهم للآية، عدم جواز إخراج الزكاة في تلك الحال[٤]. وغاية ما في الآية كما يقول ابن تيمية، أن المؤمنين عليهم موالاة الله ورسوله والمؤمنين، فيوالون علياً من جملة المؤمنين، وهذا هو المعنى الواضح للولاية في هذه الآية، وليس المراد بها الإمارة كما ذهب الشيعة[٥].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٦٨-٦٩، منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٤-٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٧١.

(٣) المرجع نفسه، ج٢، ص٧١.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج٢، ص٥١.

(٥) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٨.

ومما احتج به الشيعة أيضاً حديث "الكساء" الذي ورد في إحدى رواياته عن أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1]، نزلت في بيتها، وقالت إنها سألت الرسول ﷺ أليست من أهل البيت، فقال إنك على خير، من أزواج النبي عليه الصلاة والسلام، وكان في البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين فجللهم بالكساء، وقال اللّهمّ أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً[2]. وقد ذهب الشيعة إلى أن الآية نزلت في حق علي وفاطمة والحسن والحسين بنص هذا الحديث، ومن ثم فهي تدل على عصمتهم دلالة مؤكدة وغير المعصوم لا يكون إماماً[3].

وحديث "الكساء"، كما يقول ابن تيمية، صحيح رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم[4] في صحيحه من حديث عائشة قالت "خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْط* مُرَحَّلٌ من شعر أسود فجا الحسن بن علي فأدخله، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾. ويذهب ابن تيمية إلى أن هذا الحديث قد شرك علياً فيه، فاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم فليس هو من خصائصه، ومعلوم أن المرأة لا تصلح للإمامة، فعلم أن هذه

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(٢) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢٠.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢٢، ص١٣٧-١٣٩.

(٤) نص الحديث من رواية مسلم، انظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أهل البيت النبي ﷺ، ج٧، ص١٣٠.

* المِرْط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به أو يتلفع به.

الفضيلة لا تختص بالأئمة بل يشركهم فيها غيرهم، ثم إن مضمون الحديث لا يقتضي العصمة بل يتضمن أن النبي ﷺ دعا لأهل بيته المذكورين أن يذهب الله عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً، وغاية ذلك أن يكون دعاءً لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم[١].

واستشهد الشيعة أيضاً بقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[٢] وأوردوا في تفسير هذه الآية حديثاً عزوه إلى النبي ﷺ حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهم الأمر الذي يدل في رأي الشيعة على أفضليتهم ووجوب مودتهم ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم[٣].

وقد تتبع ابن كثير أيضاً الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية وبين أن الأحاديث التي تنص على أن أولي القربى هم فاطمة وولداها ضعيفة الإسناد. وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ قال: "لما نزلت هذه الآية ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ -الآية- قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال فاطمة وولداها ﷺ. وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يُعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر ولا يُقبل خبرُه في هذا المحل. وذِكْر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة، والحق

(١) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢٠-٢٣.

(٢) سورة الشورى، الآية (٢٣).

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢٥، ص٤٩-٥١. مختصر التحفة الإثني عشرية، ص١٥٤.

تفسير هذه الآية بما فسرها به حبْر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، كما رواه عنه البخاري"[١].

ومما تمسك به الشيعة أيضاً حديث "غدير خُمْ" الذي يقال أنه حينما نزلت الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٢]، كان الرسول عليه الصلاة والسلام في طريق عودته من حجة الوداع، فلما بلغ "غدير خُمْ" وهو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة يقع بين مكة والمدينة، أخذ بيد علي وخاطب جماعة المسلمين قائلاً: يا معشر المسلمين ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى. قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت، ثلاثاً. وزعمت الشيعة بأن هذا نص صريح في ولاية علي وفسروا المولى هنا بمعنى الأولى بالتصرف، وذهبوا إلى أن كونه أولى بالتصرف عين الإمامة"[٣].

والحديث بهذه الصورة لم يرد في أمهات الكتب، وأورد الترمذي جزءًا منه، وهو "من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه". ووصف

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١١٢. ونص حديث ابن عباس كما ورد في البخاري قال: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوساً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل عن قوله تعالى: (إلا المودة في القربى"، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس: عجلت إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة. فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (إلا المودة في القربى)، حديث رقم ٣٤٩٧.

(٢) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج٦، ص١٥٢-١٥٣.

الإمام أحمد باقي الحديث بأنه زيادة كوفيه[1]. وما صح من هذا الحديث ليس فيه دلالة على تعيين علي للإمامة لأن تفسير الشيعة للمولى هنا المحبة أو دخول علي في ولاية المسلمين العامة المنبثقة من الإيمان والتي تجب على كل مسلم، وهذا مما لا غبار عليه ولا يستلزم أحقيته في خلافة الرسول ﷺ دون من عداه[2].

والأحاديث التي أوردها الشيعة في فضائل علي واستندوا عليها في القول بإمامته بعضها صحيح ولكنه لا يسند دعواهم تلك، ومعظمها موضوع لا أساس له ولا سند. ومن الأحاديث الصحيحة التي حاولوا الاستدلال بها، ما يعرف بينهم بحديث "المنزلة" والذي ورد فيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء. قال ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي"[3].

---

(١) روى الإمام أحمد في المسند (٢٨١/٤) عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ لما نزل بغدير خُمّ (بضم الخاء وتشديد الميم) اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة، أخذ بيد علي فقال: "ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟" قالوا: بلى. قال: "ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟" قالوا بلى. قال: فأخذ بيد علي فقال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللَّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه"، فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة"، وهذا الحديث سنده ضعيف. ولقد رواه الإمام أحمد من طرق أخرى. حديث رقم ٥٦٧٩. كلها عن زيد بن أرقم نحوه، دون قوله: فلقيه عمر... وبالجملة فالمرفوع من الحديث صحيح أي دون قول عمر ﷺ، ورواه الترمذي بسند صحيح بلفظ من كنت مولاه فعلي مولاه حديث رقم ٣٧١٣، أما زيادة وانصر من نصره إلى آخر الحديث فلم ترد عند أحمد ولا غيره.

(٢) مختصر التحفة الإثني عشرية، ص١٥٩-١٦٢.

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم ٤٤١٦.

وذهب الشيعة إلى أن هذا الحديث قد دلَّ فيه النبي على إمامة علي، ويذهب سعد القمي إلى أن النبي أعلمهم أن منزلته منه منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده، إذ جعله نظير نفسه في حياته وأنه أولى بهم بعده كما كان هو ﷺ أولى بهم منهم بأنفسهم، إذ جعله في المباهلة كنفسه[١]. ويقول أبو حنيفة النعمان الإسماعيلي "ولا يقتضي قول رسول الله ﷺ لعلي "ع" أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه خليفته في أمته كما قال موسى لهارون اخلفني في قومي[٢]. ويرى الشيخ المفيد أن حديث المنزلة نص لا خفاء فيه على إمامة علي لأن رسول الله ﷺ حكم له بالفضل على الجماعة والنصرة والوزارة والخلافة في حياته وبعد وفاته، والإمامة له، بدلالة أن هذه المنازل كلها كانت لهارون من موسى في حياته وإيجاب جميعها لأمير المؤمنين إلا ما أخرجه الاستثناء منها ظاهراً وأوجبه بلفظه له، من بعد وفاته بتقدير ما كان يجب لهارون من موسى لو بقي بعد أخيه فلم يستثنه النبي ﷺ، فبقي لأمير المؤمنين بعموم ما حكم له من المنازل[٣].

ويعلق الموسوي على هذا الحديث بقوله "فعلي، بحكم هذا النص، خليفة رسول الله في قومه، ووزيره في أهله، وشريكه في أمره –على سبيل الخلافة عنه لا على سبيل النبوة وأفضل أمته، وأولاهم به حياً وميتاً، وله عليهم من فرض الطاعة زمن النبي –وزيارته له- مثل الذي كان لهارون على أمة موسى زمن موسى. ومن سمع حديث المنزلة فإنما يتبادر منه إلى ذهنه هذه المنازل كلها، ولا يرتاب في إرادتها منه"[٤].

---

(١) سعد القمي، المقالات والفرق، ص١٦.

(٢) دعائم الإسلام، ج٢، ص٢٠.

(٣) نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة، ص١١٧. نقلا عن الشيخ المفيد، الإفصاح في إمامة علي، ص٦٠ نقلاً.

(٤) الموسوي، المراجعات، ص١٦٣.

وحديث المنزلة هذا صحيح أورده البخاري في الرواية السابقة، وفي رواية أخرى ليس فيها "إلا أنه ليس نبي بعدي[1]، كما رواه مسلم[2]، والترمذي[3]، ولكن لا دلالة في الحديث على تعيين علي وتخصيصه بالإمامة بعد الرسول، كما يقول الشيعة، بل المراد منه ويفهم من سياقه أن الرسول استخلف علياً على أهله وعلى المدينة حينما توجه إلى غزوة تبوك. ويؤيد هذا ما ورد من أنه حينما فعل الرسول ﷺ ذلك، أرجف المنافقون في المدينة وأشاعوا أن الرسول عليه الصلاة والسلام جفا علياً بن أبي طالب وأبغضه، فلحق علي بالرسول وقال له: يا رسول الله أتتركني مع الاخلاف؟ فرد عليه الرسول: أما ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. بمعنى أني لم أخلفك في المدينة بغضاً مني كما أن موسى لم يخلف أخاه هارون في بني إسرائيل لما توجه لكلام ربه بغضاً ومقتاً له.

ويذهب الباقلاني إلى، أنه مما يدل على أن هذا المعنى هو الذي قصده الرسول بقوله، علمنا بأنه كان لهارون من موسى منازل منها: أنه كان أخاه، ومنها أنه كان شريكاً له في النبوة، ومنها أنه خلفه في قومه لما توجه لكلام ربه. وليس منها أنه خلفه بعد موته، لأن هارون مات قبل موسى بسنين كثيرة، وإنما خلف موسى بعد موته يوشع بن نون، فلا يجوز أن يكون النبي ﷺ عني بقوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، أنك أخي لأبي وأمي ولا أنك تخلفني بعد موتي، لأن هذه منزلة لم تكن لهارون من موسى. فثبت أنه أراد أنك خليفتي في أهلي، وعلى

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٢٢١٩.

(٢) مسلم، حديث رقم٢٤٠٤.

(٣) الترمذي، حديث رقم ٣٧٣١.

المدينة عند توجهي إلى هذه الغزوة، كما خلف موسى أخوه هارونُ في قومه عند توجهه لكلام ربه"[1]. فإن قالوا ما معنى قوله ﷺ "إلا أنه لا نبي بعدي وكيف يجوز أن يقول أما ترضى أن تخلفني في قومي وفي أيام حياتي إلا أنه لا نبي بعدي "قيل لهم: لم يرد "بعدي" بعد وفاتي، وإنما أراد لا نبوة بعد نبوتي لا معي ولا بعدي، وهذا كما يقول القائل لا ناصر لك بدون فلان"[2].

ويذهب ابن حزم إلى أن هذا الحديث (حديث أنت مني بمنزلة هارون.... الخ)، لا يوجب لعلي فضلاً على من سواه، ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام، لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون، كما ولى الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار"[3].

أما الأحاديث الموضوعة التي استدل بها الشيعة فكثيرة جداً...، ومن ذلك ما رواه جابر عن النبي ﷺ أنه قال: "أنا مدينة العلم وعلي بابها" فهذا خبر مطعون فيه رغم رواية الترمذي له، إذ أنكره البخاري، وقال عنه يحي بن معين لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال النووي والذهبي إنه موضوع[4]. ويقول الألباني: وحديث "أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب" موضوع رواه العقيلي في الضعفاء، وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير، والحاكم عن ابن عباس ورواه بن عدي والحاكم عن جابر ﷺ[5]. وكذلك

---

(١) الباقلاني، التمهيد، ص١٧٣-١٧٤.

(٢) المرجع نفسه، ص١٧٤.

(٣) ابن حزم، الفصل، ج٤، ص٩٤.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤١٠.

(٥) الألباني، ضعيف الجامع الصغير، ص١٣، رقم الحديث: ١٤١٦.

حديث "أقضاكم علي" الذي ادعت الشيعة أنه نص في الإمامة، موضوع لم يروه أحد من أهل الكتب الستة ولا أهل المسانيد المشهورة لا أحمد ولا غيره بإسناد صحيح ولا ضعيف، ورواته معروفون بالكذب والتدليس[1]. وكذلك حديث: "من ناصب علياً الخلافة فهو كافر" فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة أصلاً"[2].

وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الشيعة من حجج على اختصاص علي وتعيينه دون غيره للخلافة. ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤلونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقَلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم[3]. وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرِف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها"[4].

ويعترف الكاتب الشيعي ابن أبي الحديد بأثر الشيعة في وضع الأحاديث لتأييد مذهبهم في الإمامة فيقول: "إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم. فلما رأت البكرية (يريد بعض السنيين)، ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها (أبي بكر) أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث.. فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية.. أوسعوا في وضع الأحاديث.. ولقد كان

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٤٠٨.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٤، ص١٠٧-١٠٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج، ص٢٠٨.

(٤) ابن حزم، الفصل، ج٤، ص١٤٨.

الفريقان في غنية عما اكتسابه... ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية لهما"(١).

ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين لا زالوا يرددونها في كتاباتهم ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يعتبر غير مبلغ للرسالة لو لم يعين علياً خليفة من بعده، ويقول: "إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحياً أن يبلغ ما أنزل إليه فيمن يخلفه في الناس وبحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أُمر به وعين أمير المؤمنين علياً للخلافة"(٢). ويذهب إلى أن ولي الأمر هو الذي يتصدى لتنفيذ القوانين، وهكذا فعل الرسول ﷺ ولو لم يفعل فما بلغ رسالته. وكان تعيين خليفة من بعده ينفذ القوانين ويحميها ويعدل بين الناس –عاملاً متمماً ومكملاً لرسالته"(٣).

وإلى جانب ما استدل به الشيعة من آيات وأحاديث قدموا العديد من البراهين العقلية لإثبات هذا المعتقد، وقد كرس الطوسي المعروف عند الشيعة بشيخ الطائفة كتابه الموسوم بـ"تلخيص الشافي في الإمامة" لموضوع الإمامة، وانتهى إلى أن وجود الإمامة ضروري لأن الشريعة مؤبدة وأن المصلحة ثابتة إلى قيام الساعة لجميع المكلفين، وعلى هذا لا بد لها من حافظ، وليس يخلو الحافظ من أن يكون جميع الأمة أو بعضها. ثم يستطرد فيقول "وليس يجوز أن يكون الحافظ لها الأمة، لأن الأمة يجوز عليها السهو والنسيان، وارتكاب الفساد

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٨-٥٠.

(٢) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص٤٢-٤٣.

(٣) المرجع نفسه، ص١٩.

والعدول عما علمته، فإذن لا بد لها من حافظ معصوم يؤمَن من جهته التغيير والتبديل والسهو، ليتمكن المكلفون من المصير إلى قوله، وهذا هو الإمام الذي نذهب إليه"(١).

تحليل:

تصور الشيعة للإمام ووظيفته:

قد جعل الشيعة العقيدة في الإمام أساساً لمذهبهم وركناً من أركان الدين، ويقول أحد كتابهم المعاصرين بعد حديثه عن أركان الإسلام، "ولكن الشيعة زادوا ركناً خامساً إلى جانب أركان الإسلام الأربعة الموجبة للعمل وهي: الصلاة والصيام والزكاة والحج، أما الشهادة بالوحدانية ونبوة محمد فمجرد قول، هو الاعتقاد بالإمامة: يعني أن يعتقد أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه... فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي، وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي"(٢).

وهكذا أصبح الإيمان بالإمام عندهم جزءاً من العقيدة، وينسب الشيعة إلى بعض أئمتهم القول بأن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالاً تائهاً وإن مات على هذه الحال مات ميتة جاهلية. ويقول أحد الشيعة المعاصرين: "وترى

(١) الطوسي، تلخيص الشافي، ج١، ص١٣٣-١٣٤.

(٢) آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص١٠٢.

الشيعة أن موالاة هؤلاء الأئمة جزء من الإيمان، ويتمسكون بقوله ﷺ: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فالشيعي في كل زمان ومكان ملزم بالتعرف على إمام زمانه وموالاته ولا يشترط الشيعة في الإمام مباشرة الحكم وتولي السلطة الزمنية في دولة الإسلام فسواء باشر الحكم أم لم يباشره فموالاته من الفروض الشرعية عند الجعفرية[1]. ذلك لأن الإمام في تصور الشيعة يختلف اختلافاً كلياً عن تصور المسلمين جميعاً لخليفتهم. إذ أن المسلمين يعدون الإمام أو خليفة المسلمين شخصاً عادياً في تكوينه ومعارفه، وأن دوره لا يتجاوز دون المنفذ لشرع الله، وأنه يعرض عليه الخطأ والانحراف كما يعرض لسائر الناس فيقوَّم ويُعارض بل ويحارب إذا خالف أمر الله، وفوق هذا فإن الخليفة يُختار ويُنتخب من قبل الجماعة المسلمة وفقاً لمبدأ الشورى[2].

خلافاً لهذا التصور يذهب الشيعة إلى أن الإمام شخص غير عادي في تكوينه ومنزلته فيذهبون إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكمية. وقد نسبوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام حديثاً أسندوه إلى علي بن أبي طالب ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "كنت أنا وعلي نوراً في جبهة آدم عليه السلام، فانتقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة الزاكية حتى صرنا في صلب عبد المطلب فانقسم النور قسمين: فصار قسم في عبد الله وقسم في أبي طالب فخرجت من عبد الله وخرج علي من أبي طالب وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا

---

(١) أضواء على خطوط محب الدين الخطيب، ص٩٨-٩٩.

(٢) العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ص١٤٧-٢٣٦.

وَصِهْرًاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٤][(١)]. ونسبوا إلى علي بن أبي طالب من رواية جعفر بن محمد قوله "انتقل النور إلى غرائزنا ولمع في أئمتنا، فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض، فبنا النجاة ومنا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبمهدينا تنقطع الحجج... " [(٢)]. وقوله أيضاً: "نحن أمان أهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا تمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وتنتشر الرحمة، ولولا من في الأرض منا لساخت الأرض بأهلها، لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة ولولا ذلك لم يُعبد الله"[(٣)]. ويوردون حديثاً ينسبونه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، يسأل فيه جابر بن عبد الله الأنصاري الرسول عليه الصلاة والسلام عن حال الأوصياء بعده في الولادة: فيسكت رسول الله ﷺ ملياً، كما تقول الرواية الشيعية، ثم يقول: يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلا ذو حظ عظيم: إن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه يودع الله أنوارهم أصلاباً طيبة وأرحاماً طاهرة يحفظها بملائكته ويربيها بحكمته، ويقدرها بعلمه، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف وأحوالهم تدق عن أن تُعلم، لأنهم نجوم الله في أرضه وأعلامه في بريته وخلفاؤه على عباده وأنواره في بلاده وحججه على خلقه، يا جابر هذا من مكنون العلم ومخزونه فاكتمه إلا من أهله"[(٤)].

(١) المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي، ص١٠٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٣٣.

(٣) النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ج٢، ص٢٩٧.

(٤) القمي، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٤١٤-٤١٥.

ويقول أحد أئمة الشيعة المعاصرين: وثبوت الولاية والحاكمية للإمام (عليه السلام) لا يعني تجرده من منزلته التي هى له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام. فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرضه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفي ما لا يعلمه إلا الله. وقد قال جبرئيل -كما ورد في روايات المعراج- لو دنوت أنملة لاحترقت. وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل"[(١)]. ودار الجدل في دوائر الشيعة حول أفضلية الأئمة على الأنبياء وفي ذلك يقول أحد أعلامهم "قد قطع قوم من الإمامية بفضل الأئمة عليهم السلام من آل محمد ﷺ على سائر من تقدم من الرسل والأنبياء سوى نبينا محمد ﷺ وأوجب فريق منهم لهم الفضل على جميع الأنبياء سوى أولي العزم منهم عليهم السلام. وأبي القولين فريق منهم آخر قطعوا بفضل الأنبياء كلهم على سائر الأئمة عليهم السلام. وهذا باب ليس للعقول في إيجابه والمنع منه مجال ولا على أحد الأقوال فيه إجماع، وقد جاءت آثار عن النبي ﷺ في أمير المؤمنين عليه السلام وذريته من الأئمة والأخبار عن الأئمة الصادقين أيضاً من بعد وفي القرآن مواضع تقوى العزم على ما قاله الفريق الأول في هذا المعنى"[(٢)].

---

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص٥٢.

(٢) الشيخ المفيد، أوائل المقالات، ص٤٢-٤٣.

وبناءً على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف عند حد تنفيذ شرع الله بل له هيمنة على شؤون الكون ومجرياته، فعليٌ عندهم الحاكم المهيمن الشرعي على شؤون البلاد والعباد وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم، لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده وفي كلامه وصمته وفي خطبه وصلواته وحروبه[1]. والإمام عندهم له الولاية العامة على الناس والتي هي في مرتبة النبوة، ويقول صاحب "عقائد الإمامية": لا بد أن يكون في كل عصر إمامٌ هادٍ يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في الشأنين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان عنهم"[2].

وبالنسبة للشريعة فإن دور الإمام يتجاوز دور التنفيذ، ليكمل الشريعة وينشر ما استتر منها ويأتي بما أوكل إليه تبليغه، ويقول أحد الشيعة في هذا: "ويعتقد الشيعة أن لله تعالى في كل واقعة حكماً، وما من عمل من أعمال المكلفين إلا ولله فيه حكم من الأحكام الخمسة الوجوب والحرمة والكراهة والندب والإباحة.. وقد أودع الله سبحانه جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء وعرفها النبي بالوحي من الله أو بالإلهام، وبين كثيراً منها لأصحابه ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الآفاق، وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعي والبواعث لقيامها، وإن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، كان سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه كل وصي يعهد بها إلى

---

(١) الحكومة الإسلامية، ص١٤١.

(٢) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص٦٥-٦٦.

الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة، فقد يذكر النبي ﷺ لفظاً عاماً ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته، وربما لا يذكره أصلاً بل يودعه عند وصيه إلى وقته"[١]. فهذا النص يتضمن أن الأئمة استودعهم النبي عليه الصلاة والسلام أسرار الشريعة وأنه لم يبينها كلها بل بين بعضها -وهو ما اقتضاه زمانه- وترك للأوصياء أن يبينوا للناس ما تقتضيه الأزمنة من بعده. ومن ثم كانت أقوال الأئمة شرعاً إسلامياً لأنها تتميم للرسالة، ومن أجل ذلك نسب الشيعة إلى الأئمة عِلماً خاصاً ورثوه عن النبي ﷺ، وأوجبوا على الأمة طاعتهم فيه.

ويقول حجتهم الكليني "وقد ورث الأئمة علم النبي وعلم الأنبياء جميعاً، فعندهم علم جميع الكتب المنزلة التي نزلت من عند الله، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها، وهم يعلمون القرآن كله، وتفسيره وتأويله وناسخه ومنسوخة ومحكمه ومتشابهه، بل يذهب الكليني إلى: "أن الأئمة يعلمون أكثر من الأنبياء، وينسب إلى جعفر الصادق قوله: ورب الكعبة ورب البنية لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر (عليهما السلام) أُعطيا علم ما كان ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله وراثة"[٢]. ويذهب الكليني إلى أن الله لم يعلم نبيه علماً إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين فهو شريكه في العلم"[٣].

(١) أصل الشيعة وأصولها، ص٨٩-٩٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٦٠-٢٦١.

(٣) المرجع نفسه، ج١، ص٢٦٣.

وينسبون إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما قوله: "إنا نعلم المكنون والمخزون والمكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمد وذريته"(١). كما ينسبون إلى هؤلاء الأئمة نوعين من العلم الإلهي: فالإمام يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام قبله، وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه عن طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطئ فيه ولا يشتبه، ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين(٢). وإضافة إلى ذلك، فقد نسب الشيعة إلى أئمتهم مصادر علم معينة يستقون منها علومهم كالاسم الأعظم، ومصحف فاطمة الذي فيه علم الأولين والآخرين، وكتاب الجفر وصحيفة الجامعة التي تحوي علوم الأنبياء جميعاً، وهذان ينسبونهما إلى علي ﷺ، والجفر الأبيض والجفر الأحمر اللذين ينسبونهما إلى جعفر الصادق(٣).

ولم يقف الشيعة عند هذا الحد، بل جعلوا لأئمتهم صلة متجددة بالوحي بعد انقطاعه، وزعموا أن انقطاع الوحي بعدم نزول الملائكة لا يعني انقطاع علم الله عن الأئمة –لأن الله سدد خطى الأئمة بروح من عنده كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾(٤). وينسبون إلى الصادق قوله: "منذ أنزل الله عزّ وجلّ ذلك الروح على محمد ما صعد إلى السماء وإنه لفينا"(٥).

(١) أبو جعفر الطبري الشيعي، دلائل الإمامة، ص٦٧.

(٢) عقائد الإمامية، ص٦٧-٦٨.

(٣) الكليني، الكافي، ج١، ص٢٣٩-٢٤٢.

(٤) سورة الشورى، الآية (٥٢).

(٥) الكليني، الكافي، ج١، ص٢٧٣.

ونتيجة لهذه المكانة وهذه الدرجة من المعرفة المنسوبة إلى الأئمة أصبحت أوامرهم ونواهيهم شرعاً، وصاروا حجة لله على الخلق تجب طاعتهم ويجب أتباعهم. ويقول الشيعة في ذلك: "نحن نعلم أن أوامر الأئمة تختلف عن أوامر غيرهم، وعلى مذهبنا فإن جميع الأوامر الصادرة عن الأئمة في حياتهم نافذة المفعول وواجبة الإتباع حتى بعد وفاتهم". وحجة الله تعني أن الإمام مرجع للناس في جميع الأمور والله قد عيّنه وأناط به كل تصرف وتدبير من شأنه أن ينفع الناس ويسعدهم، فحجة الله هو الذي عينه الله للقيام بأمور المسلمين فتكون أفعاله وأقواله حجة على المسلمين يجب إنفاذها، ولا يسمح بالتخلف عنها. وفسروا(أولي الأمر) المشار إليهم في الآية القرآنية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ...﴾ [النساء:٥٩] بأنهم هم الأئمة الأطهار الذين كلفوا ببيان الأحكام والأنظمة الإسلامية ونشرها في المسلمين الخ، ومن ثم فرض الله طاعتهم"[١]. ويصور شيعي آخر تصورهم لمكانة الإمام فيقول: "بل نعتقد أن أمرهم أمرُ الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوهُ، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول والرد على الرسول كالراد على الله تعالى، فيجب التسليم لهم والانقياد لأمرهم والأخذ بقولهم"[٢].

وتصوُّر الشيعة للإمام ومكانته ودوره، غريب عن التصور الإسلامي، وكل ما نسبوه إلى الأئمة في هذا الشأن لا سند له ولا أساس، وعليٌّ "قد ثبت عنه في الصحيح عن أبي جحيفة ﷺ قال: قلت لعلي ﷺ: هل عندكم شيء من الوحي

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص٣٤.

(٢) عقائد الإمامية، ص٧٠.

إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العُقُل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر"[1]. فأين هذا مما ينسبه إليه الشيعة من علم يتجاوز علوم الأنبياء والمرسلين ويتعدى الماضي والحاضر ليعلم الغيب. هذا بالإضافة إلى أن أحداً من أئمتهم لم يدَّع مثل هذا النوع من العلم، أو يأتي بأحكام تخالف ما ورد في القرآن والسنة. وسيرة هؤلاء الأئمة الثابتة من غير المصادر الشيعية تدل على فضلهم وعلمهم وتقواهم، على تفاوت فيما بينهم في الدرجة والمنزلة[2].

النتيجة:

ارتبط الفرس بآل البيت على الدوام إماماً تلو إمام، إلى الإمام الثاني عشر (المنتظر). الذي غاب في السرداب وهم ينتظرونه إلى يومنا هذا. ولأجل رعاية مصالح المسلمين فإن الخميني استحدث منصب ولاية الفقيه للقيام بهذا الأمر لحين ظهور الإمام.

- إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان متصلاً بالله تعالى عن طريق الوحي وكان يأخذ الأحكام المتينة للإسلام من الله ويبلغها للناس، ولكن كانت تواجهه مشاكل عديدة، لم يستطع الرسول أن يُعلِّم التعاليم الرفيعة للدين إلى الناس بشكل كامل، وكان مضطراً أن يخاطب الناس على مستوى قدرتهم على الفهم والإدراك، وكان يستغل الوقت المناسب لتعليمهم وتربيتهم.

(١) صحيح البخاري حديث رقم٣٠٤٧.

(٢) انظر منهاج السنة، ج٢، ص١٤٠-١٦٦.

- رسول الله بالإضافة إلى تعليم وتربية عامة الناس، قام بتربية علي بن أبي طالب منذ طفولته وأوصل نفسه الزكية إلى مرحلة الرشد، وتعلم العلم الإلهي، وتفتحت عيونه نحو علم الغيب. والأئمة الآخرون أيضا مثل علي رضي الله عنه استفادوا العلوم الدينية من منبع الفيض الإلهي وارتبطت نفوسهم الطاهرة بعلم الغيب، وكلامهم كان كلام الرسول الطاهر والروحي، قال الإمام الصادق عليه السلام " حديثي هو حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الإمام حسين وحديث الإمام حسين حديث الإمام حسن، وحديث الإمام حسن حديث أبيه أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله وحديث رسول الله هو كلام الله تعالى".

- أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده عُينوا حسب وصية الرسول، وتعلموا كنوز العلم، ويجب على المسلمين أن يلجؤ إليهم ليأمنوا سعادة دنياهم وآخرتهم.

- أن أئمة آل البيت تعرضوا للظلم والاضطهاد على يد أهل السنة(الأمويين) و(العباسيين). فقُتل البعض وسُمَّ البعض الآخر. لذا وخوفاً من ظلم العباسيين اختفى الإمام الثاني عشر. لكن اختفاءه كان بأمر من الله، واستمرار النضال حُوِّل إلى علماء الدين ونواب الإمام الثاني عشر، هؤلاء وبتوجيه من هذا الإمام الغائب فإنهم واحداً تلو الآخر كانوا يناضلون ضد حكومات الظلم من بعده فإنه كان يسلم الراية إلى عالم ومرجع آخر، هذا الظلم استمر حتى وقتنا هذا، فقد تحقق النصر على يد فقيدنا القائد نائب إمام الزمان حضرة آية الله العظمى الإمام الخميني وسوف يستمر حتى النصر الكامل على عالم الكفر والظلم والغطرسة، وقلع شوكة أي نوع من الظلم والاستبداد، وظهور حضرة ولي العصر وتحقيق الحكومة الإسلامية العالمية.

- أن الإيرانيين وقفوا إلى جانب العلويين الذين ظُلموا من قبل أهل السنة، والذين أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالإمامة من بعده.

- الأئمة معصومون، وهم مستودع العلم الإلهي.

- الأئمة يعلمون الغيب.

- ولاية الفقيه عقيدة يجب الإيمان بها لحين خروج الإمام المنتظر.

- أورد النص أحاديث مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم، تخدم فكر الفرس والمغالين من الشيعة، من ذلك:" أن رسول الله قال له يوماً:" يا علي اكتب ما أقوله. قلت يا رسول الله، أتخاف أن أنسى؟ قال: لا بل أخاف أن تنسى أنت؛ أراده الله أن تكون أنت حافظاً لإحكام وعلوم الدين، لكن هذا ليس لك وحدك ولكنه للأئمة من بعدك، لذلك اكتب".

*** أسطورة التطير والتشاؤم:**

وإذا كان التفاؤل والتشاؤم موجودين لدى جميع الأمم والشعوب فإن الإيرانيين نصيباً وافراً منهماً، ولديهم التشاؤم الخاص بالأوقات والأرقام فهم يؤمنون بأن شهر " صفر " نحس وخاصة اليوم الثالث عشر منه، وأن السفر في هذا الشهر يعرض المسافر للمخاطر. وأن الرقم (١٣) نحس.

وأن تقليم الأظافر وغسيل الثياب وكنس المنزل يوم الأربعاء فألٌ سيء. وهم يتفاءلون بكنس المنزل في أول أيام الشهر. ويتشاءمون من الضيف الذي يزورهم مساء يوم الأربعاء، ويتحاشون زيارة المريض مساء يوم الأربعاء أيضاً، ويعتقدون أن من يقطع الخبز بالسكين يكون مذنباً، وان نثر ورش المياه على شخص دليل على فتور العلاقة.

وهم يعتقدون أن الشخص الذي يبني مقبرة خاصة به يطول عمره والشخص الذي يبني مسجداً ويتمه يموت بعدها، ولهذا السبب فان الشخص الذي يبني المسجد يترك جزءاً منه ناقصاً. ولديهم آداب خاصة بالزواج وعقد القران وليلة الدخلة والحمل ولهم طقوس خاصة بولادة المولود وهم يعتقدون أن المولود الذي يولد في عيد الأضحى لابد أن يؤدي فريضة الحج حينما يكبر وأن الطفل الذي يبكي كثيراً سيكون صاحب صوت حسن.

ولديهم معتقدات خاصة بالسفر، وآداب خاصة بالشفاء من الأمراض، وآداب خاصة بتلبية الحاجات، مثل: تناول أطعمه معينه في أوقات معينة. وهم يوقرون الماء والملح، ويقولون أنهما كانا مهر فاطمة الزهراء، لهذا يجب عدم تلويثهما [١].

(١) على صادق زاده، تاريخ جامعه ايران، تهران، نشر علمى، ١٣٧٦، ص ١٣٣-١٣٤.

عبد الحسين سعيديان، سرزمين ايران، تهران ١٣٧٨، ص ٨٧-٨. صادق علوى، تاريخ ايران، تهران، نشر دانشكاه، ١٣٤٢، ص ١١١.

*** أسطورة النجاة:**

ألعاب الأطفال:

السفينة:

*** أسطورة النجاة من خلال السفينة:**

تركز الكتب المدرسية الإيرانية بشكل كبير على موضوع السفينة، حيث يرد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل البيت في حديثه بسفن النجاة، وأن أهل البيت بين الناس مثل سفينة نوح، وأي شخص يلجأ إليها ينجو، وأي شخص يبتعد عنها يغرق [١].

سر السفينة والتركيز عليها والتركيز على ما ورد لسيدنا نوح عليه السلام.

ففي درس قايق جوبي " القارب الخشبي"، نجد أن رضا يصنع قارباً خشبياً القارب الخشبي [٢].

والملفت تركيز الكتب الإيرانية على السفينة فأول كلمة عربية يتعلمها الطالب الإيراني باللغة العربية هي كلمة سفينة [٣]. وأول قصة في كتب اللغة العربية، هي قصة سيدنا موسى مع الخضر، وموضوع ثقب السفينة [٤].

---

(١) درس " كشتى هايى نجات " " سفن النجاة " " كتاب بيام هاى آسمان" تعليم وتربيت اسلامى "، سال اول، دوره ى راهنمايى تحصيلى، ١٣٨٩، ص ٧٥-٧٨.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، بنجم دبستان، جاب ششم، ١٣٨٩، ص ٥٨.

(٣) عربى، سال أول، دوره يراهنمايى تحصيلى، جاب جهارم، ١٣٨٩، ص ١.

(٤) المرجع السابق، ص ١-٢.

وفي تعليم تكوين الجملة نجد عبارة هذه سفينة حاضرة في أكثر من موضع(١)، أما التمرين الأول للربط بين العبارة والصورة نجد عبارة هذه سفينة هذه سفينة هي العبارة الأولى (٢)، وفي تعليم أسماء الإشارة نجد عبارة تلك، هذه سفينة مثالاً (٣)، وفي تكوين الجمل المفيدة نجد السفينة تتكرر تباعاً(٤).

و في كتب تعليم اللغة العربية كذلك نجد أن السفينة تعتبر وسيلة توضيحية لتعليم تصريف الكلمات مفرد، مثنى، جمع، على شكل السفينة المرسومة(٥).

نجد كذلك صورة السفينة من خلال درس لاتيأس للحث على العمل والصيد في البحر، رغم تحديات البحر(٦).

*** أسطورة " الثنائية " الخير والشر، النور الظلام في الكتب المدرسية الإيرانية:**

المانوية الجديدة:

الثنائية:

من معتقدات أتباع هذه الأسطورة أنه يوجد صراع بين إله النور وإله الظلمة؛ حيث أُطلق عليهم تسمية ثَنَوِيَّة، ويعد واجب نصرة إله النور من أبرز مهام المؤمنين ؛ لذلك تشكِّل النار عاملاً رئيساً في عباداتهم. وتعتبربيوت النار هي

(١) عربي، سال أول، دوره يراهنمايي تحصيلي، جاب جهارم، ١٣٨٩، ص ٨، ١١.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

(٣) المرجع السابق، ٣٢.

(٤) المرجع السابق، ص٤٧.

(٥) عربي، سال سوم، دوره يراهنمايي تحصيلي، جاب دوازدهم، ١٣٨٩، ص ١١.

(٦) المرجع السابق، ص ٨١-٨٥.

مراكز العبادة والتقديس؛ لذلك توضع النار في موقد حجري مستقرٍّ على أربع قوائم ويوقدها الكاهن نهارًا وليلاً وهم يُلقون فيها كمّيّات من البخور، ويضع الكاهن كِمامة على فمه لئلاَّ يُدَنِّس النار.

هذا الأمر برز وتعزز مع استمساك بعض هؤلاء الفرس بالزرادشتية في ظلِّ الإسلام الذي أصبح واقعًا في بلاد فارس، فإن مفهوم الزرادشتية -من الناحية الواقعية- وقت الإسلام بات يأخذ منحىً آخر أشدَّ خطرًا من كونها مجموعة ذِمِّيَّة قابعة في مكان بعينه، تقيم شعائرها الدينيَّة المتعارف عليها؛ فالأمر بدأ يدخل في اتجاه التشيُّع، فأصبح مأوىً لكلِّ من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يُريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية؛ فتستَّر بعضُ الفرس بالتَّشَيُّع وحاربوا الدولة الأموية، وما في نفوسهم إلاَّ الكره للمسلمين العرب ودولتهم، والسعي لاستقلالهم، فأرادوا كيد الإسلام بالمحاربة عن طريق الحيلة؛ لعجزهم عن مواجهته الصريحة، فرأَوْا أن كيده بالمحاربة عن طريق الحيلة أنجع، فأظهر قومٌ منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيُّع بإظهار محبَّة أهل البيت، واستبشاع ظُلْم عليٍّ، ثم سلكوا بهم مسالك شتَّى فأخرجوهم عن طريق الهدى[1].

تحكم نظرية الإثنينية، أو الثنائية الشخصية الإيرانية وتبلور ملامحها لأنها تضبط التوازي القائم بين الناس وبين الأشياء، خاصة تلك التناقضات التي كثيراً ما تحكم هذه العلاقات، وهذه النظرية تضرب في عمق الشخصية الإيرانية منذ استطاع كهنة الدين الزراداشتي أن يجعلوا للديانة إلهين أحدهما

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام ص٢٧٦-٢٧٨.

للخير هو أهورامزادا والآخر للشر هو أهرمين يتقاسمان العالم ويدور بينهما وبين أنصارهما صراع دائم عبر التاريخ لا يحسم إلا مع ظهور مبعوث الزمان، وتبدو نظرية الإثنينية هذه واضحة في الحضارة الإيرانية وفكرها وأثارها، حيث سمحت للإيرانيين أن يقدسوا الماء والنار معاً وأن يقدروا الرسول عليه السلام وابن عمه علي بن أبي طالب بنفس القدر بعد الإسلام، ولقد انعكست هذه النظرية إلى حد كبير في سلوكيات الفرد والمجتمع، وسارت التقنية الفردية والسياسية والجماعية أقرب إلى العقيدة منها إلى السلوك(1).

تبني الكتب المدرسية للفكر المانوي في تناولها لصورة الآخر:

تحكم نظرية الأثنية، الشخصية الإيرانية، وتبلور ملامحها ؛ فهي تضبط التوازي القائم بين الناس وبين الأشياء، خاصة تلك التناقضات التي كثيراً ما تحكم هذه العلاقات، وهذه النظرية تضرب في عمق الشخصية الإيرانية منذ استطاع كهنة الدين الزراداشتي أن يجعلوا للديانة إلهين أحدهما للخير هو أهورامزادا والآخر للشر هو أهرمين يتقاسمان العالم ويدور بينهما وبين أنصارهما صراع دائم عبر التاريخ لا يُحسم إلا مع ظهور مبعوث الزمان، وتبدو نظرية الإثنينية هذه واضحة في الحضارة الإيرانية وفكرها وأثارها، حيث سمحت للإيرانيين أن يقدسوا الماء والنار معاً وأن يقدروا الرسول عليه السلام وبن عمه علي بن أبي طالب بنفس القدر بعد الإسلام، ولقد انعكست هذه النظرية إلى حد كبير في سلوكيات الفرد والمجتمع، وسارت التقنية الفردية والسياسية والجماعية أقرب إلى العقيدة منها إلى السلوك(2).

---

(1) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص١٠٣. تاريخ الطبري، ج ١، ص ٨٧-٨٩

(2) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص١٠٣.

يمكن القول بأن الكتب المدرسية الإيرانية تتبنى " المانوية " – نسبة إلى ماني – منطلقا في فهم ورسم صورة الآخر، فهم "الإيرانيون " رمز الخير، والآخر" العرب، السنة " رمز الشر إلى يومنا هذا، فالعداء مع الآخر عداءٌ مانويٌ، لا تنفع معه كل محاولات حوار المذاهب والحضارات(١).

في إطار المفردات والمعطيات السابقة نعود مرة أخرى إلى الثنائيات سالفة الذكر وهي "التحكيم" و"النجف" و"عاشوراء" و"كربلاء". كم نرى هي ثنائيات " زمانية - مكانية " و"التحكيم" هو "حدث" تم في عهد سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكذلك عاشوراء فهي الأخرى حدث تم في عهد الحسين بن علي رضي الله عنهم.

شكل الحدثان معا – التحكيم وعاشوراء قدسيه خاصة لمكانين هما "النجف" و"كربلاء" الأول دفن فيه الإمام علي كرم الله وجهه بعد قتله، والثاني دفن فيه الإمام الحسين بن على بن أبي طالب أيضا بعد قتله في عاشوراء.

*** الخير والشر في الكتب المدرسية الإيرانية:**

تقول الكتب المدرسية الإيرانية: سنقرأ الان ملخص قصة عن (الخير والشر) من كتاب هفت بيكر (النظامي) وهو من الكتب التي تحتوى على قصص جميلة من الأدب الفارسي كتابة وتلخيص الدكتورة زهره كيا هذه القصة تبين الصراع الدائم بين الخير والشر، والحكم الجيد وتوضيح الحقيقة، وانتصار الخير بالنهاية وسوء نهاية الشر.

---

(٢) انظر كتابينا: صورة العرب في الكتب المدرسية الايرانية، وكتاب صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الايرانية.

قصة الخير والشر:

تقول الكتب المدرسية الإيرانية: أراد صديقان باسم (الخير والشر) السفر معاً، أعد كل منهما عدة السفر، وقربة مليئةً بالماء، وذهبوا حتى وصلوا إلى الصحراء، وكان الجو شديد الحرارة، حرارة الشمس كانت تلين الحديد، الخير لم يكن يعلم شيئاً عن هذه الصحراء الحارقة شرب حتى آخر قطرة معه من الماء، أصابه العطش إلا ولأنه كان يعرف نفس رفيقه السيئة، لم يتكلم، حتى وصل به العطش إلى الحد الذي أصابه فيه التعب وزغلله في عيونه.

بالنهاية أعطي الشر قطعتين من الجواهر كانتا بحوزته مقابل جرعة ماء، إلَّا أن الشر وبسبب خبثه لم يقبل بهما، وقال له لن تخدعني، الآن وأنت عطشان تعطيني الجواهر وعندما نصل إلى المدينة، سوف تقوم باستردادها، أعطني شيئاً آخر لا تستطيع أن تسترده مني.

سأله الخير: ماذا تقصد؟

قال: بعني عيونك.

قال الخير: ألا تخجل من الله، كيف تطلب مني هذا؟ خذ الجواهر وأعطني جرعة ماء.

أخرج الجواهر الثمينة من ملابسه وأعطاها إلى قاسي القلب الذي عنده الماء.

وقال له ساعدني أكاد أموت من العطش أطفئ عطشي بقليلٍ من الماء.

أعطني القليل من الماء الزلال أو كن شهماً وأعطني أو أن تبيعه لي.

لم تجد توسلات الخير، ولأن العطش كاد أن يفتك به استسلم وقال:

انهض وأحضر الشفرة والخنجر وأحضر شربةَ ماءٍ للعطشان.

أخرج عيوني التي احمرت من شدة العطش وأعطني الماء وأطفئ عطشي.

استغل الشر الفرصة وأخرج خنجره وذهب بسرعة مثل الريح باتجاه الرمل العطشان.

وضع السيف في عيني الخير ولم يتأثر بأن الخير أصبح أعمى.

الشر الذي أخذ عيون الخير وذهب من دون أن يعطيه الماء.

أخذ الشر ملابس ومجوهرات الخير وترك الخير الذى أصبح أعمى وحيداً في الصحراء.

كان أحد الرعاة والذي كان يملك الكثير من الخراف وكان يذهب وراء العشب والماء وجاب الكثير من الصحاري، كان يبقى في المكان الذي يجد فيه الماء أسبوعين، وبعد ذلك يذهب إلى مكان أخر، ذهبت ابنة الراعي لتملأ الماء، وعندما ملأت الكوز وهمَّت بالعودة إلى البيت، سمعت من بعيد صوت أنيين، ذهبت باتجاه الصوت وفجاءة رأت شاباً أعمى ملقى على التراب يئن من العطش والألم ويدعو الله، ذهبت إليه وأعطته الماء البارد وشرب حتى استعاد روحه، وضعت عيونه التي ما زالت ساخنة مكانها وربطتها بإحكام، وأخذت الشاب معها إلى البيت وأعدت له الطعام ومكان مناسباً.

عندما عاد الراعي إلى بيته في المساء، رأي الشاب مجروحاً وفاقد الوعي وعرف أنَّه أعمى، قال لابنته يوجد في الأطراف شجرة قديمة لها فرعان مرتفعان، أوارق أحد الفرعين تشفى من العمى، وأوراق الفرع الآخر تشفي من الصرع.

طلبت البنت من والدها أن يساعدها في شفاء عيون هذا الشاب، أحضر الأب بسرعة أوراق هذه الشجرة، وأعطاها لابنته، وقال لها يا ابنتي اطحني هذه

الأوراق واعصريها، وقطري من مائها في عيون الشاب المريضة، عاني الشاب من الألم ساعات وبعد ذلك خلد إلى النوم. بقي الشاب في حالة راحة مدة خمسة أيام بدون حراك وفي اليوم الخامس فتح عيونه.

بعد أن فقد الخير عيونه عادت سليمة مثل اليوم الأول، عندما عاد له نظره سجد الخير شكراً لله، وكذلك شكر الابنة والأب الطيبين، وسعد أهل البيت، وأصبح الخير يذهب مع الراعي كل يوم إلى الصحراء، وكان يساعده في رعي الخراف، ونتيجة لخدمته وأدائه أعماله بشكل جيد فقد ازدادت مكانته يوماً بعد يوم عند الأب وابنته، وبمرور الوقت أحب الخير البنت، وقد حظي هو أيضا بمحبتها وذلك للطفه ومحبته، إلا أنه فكر كيف يمكن له أن يتزوج بها، هل يمكن أن يوافقها أبوها وبكل ثرواته أن يعطيها لشخص مفلس مثله، كيف يمكن أن يحصل على بنت بهذا الكمال والجمال، لهذا قرر في النهاية أن يسافر حتى لا يتعلق قلبه بها أكثر.

في الليلة التي نوى فيها السفر أطلع الراعي على الأمر وقال: نور عيوني منك، وقد استعاد قلبي حياته على أيديكم، أكلت من طعامكم وحظيت بحسن الضيافة، واحتويت الغريب، مهما فعلت فلن أستطيع أن أشكرك كما يجب، إلا إذا أعطاك الله حقك، رغم أنني سوف أحزن وأعاني من فراقكم، إلا أنني تأخرت كثيراً في العودة إلى بلادي، فأنا استأذنك لأني أرغب بالرحيل يوم غدٍ والعودة إلى بيتي.

حزن الراعي كثيراً عند سماعه هذا الخبر وقال: أين تذهب أيها الشاب، أخاف أن تقع مرة أخرى فريسة لرفيق الشر، ابقي هنا في الأمان والنعيم(١).

(١) فارسی بخوانیم، مرجع سابق، ص ٤٨.

أنا لا يوجد عندي أولاد غير هذه الابنة العزيزة ولكن عندي أموال وأشياء كثيرة أخرى:

إذا تعلق قلبك بي وبابنتي فاعلم أنك أعز من أرواحنا

أنا اخترتك بحريتي إذا وافقت ابنتي أن تكون زوجاً لها

وأعطيك خرافي وجمالي حتى لا تكون بدون ثروة.

فرح الخير كثيراً عند سماعه هذا الخبر، وصرف تفكيره عن السفر وفي اليوم التالي أقاموا حفلة كبيرة وزوَّج الراعي ابنته إلى الخير، الخير وبعد أن عاني من المتاعب والألم ارتاح وحظي بالسعادة والحظ الجيد.

بعد فترة وجيزة انتقل الراعي وعائلته إلى مكان أخر، قبل الرحيل اتجه الخير إلى الشجرة التي شفيت عيناه من أوراقها، وأخذ فرعين منها، فرع لشفاء العمي وفرع لشفاء المصابين بالصرع، وأخذهما معه، وتحرك الجميع.

سار الراعي وعائلته طريق سفر طويلة، ومن مصادفة القضاء أن ابنة ملك تلك المدينة كانت مصابة بمرض الصرع ولم يستطع أي طبيب أن يعالجها، وضع الملك شرطاً أن من يعالج ابنته ويشفيها من مرضها فانه سوف يزوجها له، أما من رأي جمال ابنته ولم يستطع معالجتها فإنه سوف يقطع رأسه، وقد تقدم ألاف من الأشخاص المعروفين والأجانب، وقد طارت رؤوسهم على أمل الوصول إلى المقام والشهرة.

عندما سمع الخير بهذا الخبر أرسل شخصاً للملك وأخبره أن علاج ابنتك بيد هذا، وهو لا يطمع بشئ يسعى فقط إلى مرضاة الله، سُرَّ الملك بهذا الكلام وقال له سوف يرتفع اسمك عالياً، ثم أرسله إلى المنزل عند ابنته مع أحد المقربين، رأي الخير البنت وكانت متعبة جداً وغير هادئة، لا تنام في الليل ولا تهدأ في النهار، أخرج الخير بسرعة بعض الأوراق التي معه وطحنها وصنع منها

شراباً وسقاه للبنت، عندما شربت البنت الشراب ذهب عنها التوتر، وذهبت في نوم عميق، استيقظت بعد ثلاثة أيام وطلبت الطعام، عندما سمع الملك هذه البشارة ذهب عند ابنته في الحال، وفرح كثيراً عندما رآها هادئة، وتأكل الطعام بشهية، وبعد ذلك أرسل في طلب الخير ووهبه الهدايا والملابس والمجوهرات والأحجار الكريمة.

ومن مفارقات القضاء أن الملك كان عنده ابنة أخرى أصيبت عيونها بالعمى نتيجة إصابتها بمرض الجدري، طلب الملك من الخير أن يعالج ابنته، قام الخير بمعالجة البنت الجميلة بدوائه الشافي، وعاد النظر إلى عيونها الجميلة، بعد ذلك أصبح الخير من المقربين إلى الملك وازدادت مكانته يوماً بعد يوم، لدرجة أنه بعد وفاة الملك جلس على العرش وأصبح ملكاً، وصدفة ذهب في أحد الأيام إلى الغابة للتنزه وفي الطريق رأى الشر وعرفه، وأصدر الأمر بإحضارة فوراً، قام الراعي والذي كان مرافقاً له والسيف بيده، وأخذ الشر إلى الملك، سأله الملك عن اسمه، قال اسمي مبشر، قال له لملك: قل اسمك الحقيقي.

قال: ليس لي اسم آخر.

قال له الملك اسمك الشر، أنت ذلك الحقير الذي أخرجت عين العطشان من أجل جرعة ماء وسرقت مجوهراته ولم تعطه الماء وتركته وحيداً في الصحراء، ألم يوجعك قلبك عليه، اعلم الآن:

أنا ذلك العطشان الذي خسر جواهره أصبحت سعيد الحظ الآن وأنت أصبحت تعيساً ومسكيناً !

أنت كنت تنوي قتلي ولكن الله لم يرد أن أموت، سعادة الشخص تكون عندما يتوكل على الله فقط.

لأن الله كان يحميني فقد أعطاني التاج والعرش والملك والعزة.

الويل لك ذا النفس السيئة أنت كنت تنوي قتلي لكنك لن تعود بروحك سالمة.

نظر إليه الشر وعرفه وألقى نفسه على الأرض، وقال الشر أعطني الأمان أنا صنعت سيئاً ولكن لا تلفتت إلى أعمالي السيئة، كل الأفعال السيئة التي قمت بها ستعود عليّ.

أنا اسمي الشر إذن ما قمت به من أعمال سيئة تطابق اسمي، واسمك الخير وما تقوم به من أعمال جيدة تطابق اسمك، سامحه الخير وأطلق سراحه، ولكن الراعي وحسب ما سمع من الخير عن الشر، وحسب طبيعته ونفسه السيئة ولعلمه أن وجوده مرتبط بالألم وإيذاء الآخرين، فصل رأسه عن جسده بالسيف.

قال له الراعي إذا كان الخير بطبعه الحسن وأنت بطبعك السيئ فلا يمكن أن تنتظر منك إلا السيئ.

فتش الراعي في ملابس الشر، وأخرج منها الجوهرتين اللتين كان الشر قد صنع لها مخبأً في حزام ملابسه

ذهب الراعي عند الخير وقال له هذه جواهرك المسروقة عادت إلى صاحبها الأصلي الذي وجوده بيننا مثل الجوهرة، عادت الجواهر إلى الجوهرة.

الشرح:

١- أخرج الجوهرتين الثمينتين من ملابسه، ووضعهما أمام قاسي القلب الذي كان معه الماء.

٢- أنت قاطع طريق، وقمت بإهلاك وإيذاء الآخرين ولكنك لن تنجو بروحك.

اختبار ذاتي:

١- ما المقصود بالتراب العطشان في البيت (استغل الشر الفرصة وأخرج خنجره وذهب بسرعة مثل الريح باتجاه الرمل العطشان)؟

٢- ما هي المحاور الأساسية في القصة؟

٣- لماذا طلب الشر من الخير عيونه؟

٤- بمراجعة قصة هابيل وقابيل في القرآن الكريم ما هي الأمور المشتركة التي تراها في القصتين؟

٥- ما المقصود في الجوهرتين، التي وردت في نفس البيت مرتين؟

٦- لخص القصة بين ١٠ أو ١٥ سطراً؟

٧- هل سمعت حتى الآن قصة ذات نفس المضمون. اكتب جُمَلاً واستخدم فيها الاستعارة؟ (١)

(١) أدبيات فارسى، سال سوم متوسطه، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٦.

*** أسطورة تعظيم الذات ، علي وآل البيت، وولي الفقيه من بعده:**

نظرة تاريخية تحليلية:

تأليه ملوك الفرس:

كان رجال الدين في الأصل قبيلة ميدية، وكان لهم الرياسة الروحية في الزرادشتية، وكان يطلق عليهم "المغان". أسبغت السلطة الروحية على السلطان الدنيوي طابعها المقدس، وكانت تتدخل في الوقت نفسه في حياة كل فرد مهم، فهي بهذا المعنى كانت تلازم الرجل من المهد إلى اللحد، فكان الجميع يجلون " المغان" وينظرون إليهم بكثير من التعظيم، فالأشغال العامة منسقة وفق نصائحهم، وهم يتولون قضايا المتخاصمين، فيقومون عليها بعناية تامة ثم يقضون فيها، ولا يحل الفرس أي شيء أو يرونه عادلا ما لم يقل رجال الدين بذلك(١).

ولا يستند تأثير المغان إلى سلطانهم الروحي وإلى حق القضاء الذي خولتهم الدولة إياه فحسب بل إلى الأموال والعقارات الواسعة التي كانوا يمتلكونها(٢).

ورجال الدين الزرادشتيون يكونون جماعة منظمة، لها درجاتها، وكان رؤساء المعابد الكبيرة يلقبون بـ"معان مع" والطبقة العليا منهم تشمل الموابذة، وكانت الدولة مقسمة إلى مراكز دينية على رأس كل منه موبذ، ورئيس الموابذة جميعا يدعى:" موبذان موبذ". كان للموبذان موبذ السلطة العليا في المسائل الدينية، فإليه يرجع الفصل في الأصول والفروع، وهو الذي يفتي في المسائل

(١) خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٢.

(٢) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص١٠٥.

العملية والسياسة الروحية. وكان مستشاراً للملك في كل ما يتعلق بالقضايا الدينية[1].

وإذا عرفنا كيف أن الدين يتدخل في كل أمور الحياة اليومية، وإلى أي حد كان الفرد العادي معرضا ليلا ونهارا لأن يقع في الإثم أو النجاسة لأقل غفلة منه، لفهمنا أن وظيفة رجال الدين لم تكن تشريفية[2]، بل مقدسة في نظر أتباعها. فقد كانت النظرة العامة من قبل الشعب لرجال الدين المجوس نظرة تقديس، لما يمثله من العقيدة والديانة الزرادشتية. وقد أشرنا إلى أن أردشير عمل على توثيق العلاقة بين العرش ورجال الدين الزرادشتي وذلك لقناعته بأن الدين يستطيع أن يستقل بذاته، بينما لا يمكن للدولة أن تقوم بمهامها بمعزل عن الدين، بل لا يمكن إضفاء الشرعية لأي حكم دون مباركته دينياً. وبناء على هذا التصور، كسب أردشير رجال الدين الزرادشتي إلى جانبه وأجزل عليهم العطاء مقابل تزكيتهم له وخصَّهم بامتيازات وعطايا فريدة.

جهد ملوك الفرس على ربط الدين، ورأوا أن وحدة المجتمع الفارسي لا تتم إلا بهذا الرابط ومدى قوته، فالملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى. فمن وصايا أردشير لابنه سابور عندما نصبه للملك قال له: يا بني، إن الدين والملك أخوان، ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين أس الملك، والملك حارسُه، وما لم يكن له أسٌ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع[3].

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٥-١٠٦.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٥٦.

اعتقد الفرس مع الأيام بأن الأكاسرة تجري بعروقهم دماء إلهية، وأنهم فوق البشر، وفوق القانون، فكانوا يعظمونهم؛ فكان الرجل إذا دخل على كسرى ارتمى ساجدًا على الأرض، فلا يقوم حتى يؤذن له.

خلقت الهالة القدسية التي أحاط بها الملوك الساسانيون أنفسهم، الحاجة إلى وسيط بين هؤلاء الملوك وبين العالم الخارجي، وقد كان هذا الوسيط هو كبير الوزراء[1].

ولتأكيد رئاسة الملك للمؤسسة الدينية أطلق بعض الملوك الساسانيين على أنفسهم الألقاب الفخمة، فقد أطلق سابور الأول ٢٤١- ٢٧٢م على نفسه ألقابا عدة منها قرين النجوم، أخو الشمس والقمر، ولقب كسرى أنوشروان نفسه الإله الطيب الذي يهب السلام للوطن وسمى كسرى الثاني نفسه الرجل الخالد بين الآلهة، والإله العظيم بين الرجال، وبهذا عمل الملوك الساسانيون على جمع السلطتين الدينية والدنيوية وجعل مسألة الدين تحت نظر الدولة، بهدف السيطرة على طائفة رجال الدين الذين طالما استخدموا نفوذهم ضد الملوك[2] ولتأكيد ارتباط الدين بالدولة فقد بذل أردشير جهوداً كبيرة لنشر الديانة الزرادشتية، مستعينا بمستشاره الموبذان موبذ تنسر، فأمر ببناء بيوت النيران في كثير من البلاد، ثم أمر بجمع تعاليم زرادشت في مجلد[3]. ثم جاء سابور الأول ابن أردشير فأدخل في هذه المجموعة من الكتب المقدسة النصوص التي لا تتعلق

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٥٣؛ خطّاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٠.

(٢) كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ص١٣٠.

(٣) كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ص١٣٠، أمين، فجر الإسلام، ج١، ص١٢٤-١٢٥.

بالدين والتي تبحث في الطب والنجوم وما وراء الطبيعة والتي كانت موجودة في بلاد الهند واليونان[١].

إن خضوع الفرس خضوعاً أعمى كالعبيد إلى الأكاسرة قد تحول في الإسلام إلى طاعة مطلقة للإمام مقرونة بانتهاك الحرمات لأن معرفة الإمام تَجُبُّ كل شيء وبتعبير أدق (فناء الإرادة) أي فناء الإرادة الإنسانية في إرادة الإمام ومعذرة للصوفية على استعمالنا مصطلحاً من مصطلحاتهم ولو بطريقة مجازية[٢].

فقد عرف عن النظام الفارسي أنه يقوم على الحكم المطلق وكان لملوك الفرس الحق في أن يقتل رعاياه أو يبقيهم على قيد الحياة كما يقول فلهاوزن[٣]. ذلك أن الفرس "منذ أقدم الأزمنة... يعتقدون اعتقاداً جازماً بالحق الإلهي ويكرهون كراهية شديدة فكرة الانتخاب الشعبي الديمقراطي"[٤].

وقال يزدجرد آخر ملوكهم بعد أن انهزم أمام المسلمين ووقع في أسر البعض وأرادوا قتله –قال لهم "ويحكم! إننا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا"[٥]. رأى الفرس في أولاد شهبانو والحسين وارثين لملوكهم الأقدمين كما رأوا فيهم ورثةً لتقاليدهم القومية. وهذا الشعور الوطني

(١) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص١٣٠.

(٢) عمر، التاريخ الإسلامي، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٣) تاريخ الدولة العربية، ص٥٣١.

(٤) براون، تاريخ الأدب في إيران، ص٢٤٠.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٩٨.

يفسر لنا تعلق الفرس الشديد بعليٍّ من جهة ويفسر لنا ظهور التشيع هناك حزباً منفصلاً من جهة أخرى"[1].

ويقول براون "وفي بعض الناس منذ أقدم الأزمنة ميل إلى تعظيم علي والارتفاع به إلى مراتب الآلهة ولا زال هذا الاعتقاد موجوداً في طائفة كبيرة من الإيرانيين يسمون أنفسهم بـ"العلي المهيبين"[2].

من هنا يمكن الوقوف على عدد من النظريات التي تحكم الشخصية الإيرانية وتحدد ملامحها، وأصبحت ركائز لها عبر تاريخها الطويل، والتي تبرز من خلال الكتب المدرسية، ومن أهم هذه النظريات نظرية التفويض الإلهي، فقد كان نظام الحكم في إيران شكلا واحدا ومضمونا واحدا مهما اختلفت مسمياته، وهو يرتبط بأصالة الشعب الإيراني وما انطوت عليه شخصيته التاريخية بشكل لم يتوافر في كثير من الشعوب. وبصورة ينتفي معها إمكانية التفكير في تغيير هذا النظام بشكل أو بآخر، ولقد كان بقاء هذا النظام مرتبطا بقدرته على التفاعل مع توالى الأزمنة ووقوع الأحداث بنفس النسبة مع تطور وتفاعل العقلية الإنسانية.

على أن نظرية التفويض الإلهي لم تسقط بدخول إيران في الإسلام، بل ظلت موجهة للشخصية الإيرانية، وتجلت آثارها في الحركات الاستقلالية عن الخلافة الإسلامية وفي حركة الشعوبية وفى الدويلات الغيرانية التي حكمت أجزاء من العالم الإسلامي، كما تجلت في قيام الدولة الصفوية وإعلانها المذهب الشيعي الإثنى عشري مذهباً رسمياً لإيران ووسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية وربط

(١) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣٨.

(٢) براون، تاريخ الأدب في إيران، ص٢٤٠.

السياسة بالدين، ولقد ظلت هذه النظرية تحرك الأمور في إيران خلال العصور الحديثة، ويمكن الرجوع إلى أقوال حكام إيران لتأكيد هذا المعنى سواء قبل الثورة الإسلامية أم بعدها.

*** قداسة تعظيم الذات وجنون العظمة:**

فقد عرف عن النظام الفارسي أنه يقوم على الحكم المطلق وكان لملك الفرس الحق في أن يقتل رعاياه أو يبقيهم على قيد الحياة كما يقول فلهاوزن[(١)]. ذلك أن الفرس "منذ أقدم الأزمنة... يعتقدون اعتقاداً جازماً بالحق الإلهي ويكرهون كراهية شديدة فكرة الانتخاب الشعبي الديمقراطي"[(٢)]. (قارن ماذا فعل الشيعة والثورة).

ومما لاحظناه من خلال معايشتنا للواقع الإيراني أن للإيرانيين أقساماً كثيرة فهم يقسمون بالله وبالقرآن الكريم وبالنبي محمد وبالأئمة الذي يتقدم القسم به على الرسول محمد وبخاصة: الإمام علي والإمام الحسين والإمام المهدي (المنتظر) وبأبناء الأئمة وبخاصة أحمد بن موسى الكاظم (شقيق الإمام الرضا) الذي راجت عنه روايات كثيرة من أن له معجزات خاصة بالشفاء وبالعباس بن علي بن أبي طالب الذي استشهد في كربلاء. كما يُقسمون بروح الآباء والأجداد، وبموت الأولاد، وبالخبز والملح. ومما لاحظناه الاستجارة بآل البيت، فعندما يقوم الجالس من مقعده يقول يا علي بدلا من ياالله، وعندما يودِّعك على الهاتف يقول قبل نهاية مكالمته يا علي... وعندما يبذل جهدا يقول يا علي مدد، يا عباس، يا أباالفضل.....

---

(١) تاريخ الدولة العربية، ص٥٣١.

(٢) براون، تاريخ الأدب في إيران، ص٢٤٠.

* تقديس آية الله الخميني(١) في الكتب المدرسية الإيرانية:

---

(١) آية الله كلمة من شقين أولها " آيت" بمعنى علامة، ومعجزة، وآيات القرآن، وثانيها لفظ الجلالة عز وجل أى الله للتعظيم، ويوصف بها كل من اجتهد من الإئمة الأثنى عشرية، وذلك لبيان قيمة رسالاتهم ولتبقى مصاحبة لاسمهم.

وحسب رأى فقهاء وعلماء الشيعة فهم يؤمنون بغيبة الإمام الثانى عشر فهو إمام العصر، إلا أن يأتي من الغيبة الكبرى آخر الزمان "المهدى المنتظر". وترجع أصلا هذه القصة إلى أوضاع وظروف اجتماعية سابقة، وهي الفترة القاجارية الممتدة من " ١١٧٥-١٠٢" إلا أن مثل هذه الألقاب لم تكن رائجه ومتداولة بين شيعة لبنان، وباكستان والهند وكان استخدامها محدوداً إلى حد ما فى العراق.

أما عن شق كلمة "سايه خدا" بمعنى ظل الله فكانت تستخدم بشكل عام للحكام المسلمين في إيران أما عن العبارات مثل " بسر آيت الله، بسر شاه وشاه زاده" وغيرها تتأصل وتنسب لأصل واحد.

ومن المتصور أن مثل هذه الأوصاف وتلك التعبيرات يأتي ممثلا عن تعاظم النفوذ الشيعى الاثنى عشرى فى إيران متزامنا مع أول شخص وصف بهذه الصفة، وهو ابن مطير الحلى، وقد عرف عن الحلى أنه كان أفضل وأشهر ممن وصفوا بهذا اللقب " علامة " أى الأعلم أو الأفقه، وكان لازما على عالم الدين أن يكون علامة ليصبح مرجعا دينيا، فكانت شرطا أساسيا فى العهد القاجرى، هذا بالإضافة إلا أنه عرف بـ " آيت الله دردوا جهان" أى آيت الله فى العالمين وصارت بشكل مقتصرة عليه.

وعندما كان يحين الكتابة في شرح الأحوال والسير الذاتية لحياة العلماء، والكتاب، والمؤرخيين للكتاب الشيعيين في عهد القاجرى، كانوا يلجأون لمثل هذه الألقاب، ومنها " مرجع دينا أو مرجع تقليد" و" آيت الله "، وهى من النظرة التاريخية لهذا البحث ليست معتمدة أو موثقة. أما عن العهد الصفوى فقد جاءت صفات وألقاب مختلفة عنها في العهد القاجرى على نحو اختصاص واتصال، وأغلب تلك الالقاب تتعلق بأعمال المجتهدين مثل " مجتهد الزمان" و" خاتم المجتهدين " ونحوهما، اللّهُمّ إلا إذا استثنينا لقب " المحدث الدينى الفقيهى" وألقاب أخرى =

تصلها وتربطها كلمة الإسلام " ثقة الإسلام" و" معتمد الإسلام" و"حجة الله" و" دليل الإسلام " إلخ.

وقد صار لقب " آيت الله " فى أواخر العهد القاجرى من الألقاب العامة، وقد ذكر في بعض الكتب التى ورد فيها ذكر عن العلماء»، وقد ساعدت هذه الألقاب زعماء المذاهب السياسية من علماء الدين على القيام بثورات تصحيحية أمثال بعض المجتهدين كالمجتهد سيد عبدالله بهباني ومحمد طباطبائي، اللذين عرفا بأنهم ضد النظام، ومما يذكر ايضا ان آيت الله روحانى وعبد الكريم الحائرى اليزيدي، وهو مؤسس الحوزة العلمية بمدينة قم، كانا اول مجتهدين يصاحبهما لقب "آيت الله للأنام او العالمين أو في الورى "وقد نالا هذا اللقب في زمن الثورة الدستورية أو النيابية.

ولا يمنح لقب "آية الله "لأحد علماء الدين قبل ان يثبت كفاءته وأهليته لأتباعه أو مريديه وكذلك تلامذته أو سالكى دربه، هذا مع امتلاك صلاحية كاملة للاجتهاد، ووجوب الاتصاف بمثل هذا اللقب في تحقيق الزعامه الشيعية المذكوره، يوجب قبلها أن يكون برتبة رئيس أو زعيم، ولعل سببه يرجع إلى الصلاحية الكاملة التي يحصل عليها، حيث أن آلية اتخاذ هذا اللقب مردها ومعيارها الترحيب العام الشعبي، وأداء الوجوه الشرعية فهى تعنى الزعامة الروحية كالمجتمعات العربية والتركية والأماكن المقدسة فى العراق الذين يتحدثون الفارسية ويسمونها بالعتبات المقدسة.

ومع ظهور شخصيات بارزة كمحمد حسين البروجاردى الذى كان بمثابة المرجع الوحيد في زمانه وأيضا أبو القاسم الكاشانى الزعيم السياسى المذهبي، وبه عاد ظهور لقب "آية الله" من جديد بشكل متزايد وبصورة أكثر رواجا وبطرق مختلفة، واستخدمت بخلاف استخدامها الأصلي، فى ما غابت الألقاب والمراجع العالية عند أهل السنة " حيث كان آية الله" بروجردى أول الأشخاص الذين يحضون بنيل أسمى وأعلى الألقاب ألا وهو آيت الله العظمى أى المجتهد الأعلى والأفقه. وقوبل بترحاب شديد من قبل جموع الروحانين. وآية الله البروجردي، هو أحد مجتهدى علماء الشيعة من الدرجة الأولى، وواحد من الآيات العظام غير الروحانيين، ومضى آية الله البروجردى قدما فى أبحاثه المحققة والموثقة ذات الأثر المهم في فكر الشيعة وحياتهم، وأراءه =

المطروحة بالنهوض بالاجتهاد والحوزة العلمية، نال الواجب المهنى المرجعية، وقد ركز البروجردى على ما أبرزه من قبل آية الله عبد الكريم حائرى الليزدى بأنه لا داعى لاتباع مرجع واحد فقط، حيث أن كل مجتهد يسعى باجتهاده، وكل على طريقته، لعل الناس أو المريدين يختارون من يرونه مناسبا.

ومع أن علماء الشيعة لم يكترثوا فى العادة بصناعة زعيم فيما بينهم، فقدد أتت الثورة الإسلامية، وجاء معها ظهور سبعة مراتب ودرجات لعلماء الدين كالآتي:

١. الطلبة ٢. ثقة الإسلام ٣. حجة الإسلام ٤. حجة الإسلام والمسلمين ٥. آية الله
٦. آية الله العظمى ٧. نائب الإمام.

فعند ظهور آية الله روح الخمينى ومنحه لقب الإمام هبطت منزلة آية الله العظمى إلى المرتبة الثانية، وهذا اللقب (أى الإمام) من الألقاب غير المعروفة أو المتداولة عند العلماء فى التاريخ الشيعى الاثنى عشري.

ونائب الإمام هو اللقب الذى قد وصف به الإمام آية الله الخمينى الزعيم الروحى وغير الروحى، أي نائب الإمام الغائب الاثنى عشري، والجدير بالذكر أن هذا اللقب كان موجوداً قبل ذلك، ومن المعقول أن نتصور بعد ذلك أن تقلص آية الله أمر بديهي.

والروحانيون الذين كانوا يتمتعون بهذه الصفة وسحبت منهم وبدلت إلى مرتبة حجة الإسلام طبقاً لحكم الإمام الخمينى فى (شهر يور ١٣٦٣ شمسى) أغسطس ١٩٨٥ ميلادى، وعند بداية الاستقرار للجمهورية الإسلامية عام (١٣٥٧ شمسى ومعادلة ١٩٨٧ ميلادى تجلى الدور القيادى لعلماء الدين، خاصة البارزين حتى أن البعض منهم لم يرغب بتقبل هذا الأمر، وظهرت إمامة الخمينى القائمة على ولاية الفقيه والتى من أبرز معارضيها شريعتمد ارى الذي سُحب منه لقب آية الله العظمى (١٣٦٥) ١٩٨٧م، وأيضا من المعارضين البارزين المعروفين أبو القاسم الخوئى الذى كان له مريدون وأتباع كثيرون (١٣٧١) ١٩٩٢م.

وقد اختار الإمام الخمينى نائباً له حسين على منتظرى، وعزل من منصبه بعد أربعة أعوام أى فى عام ١٩٨٦/١٣٦٤م. وبعد وفاة الإمام الخمينى، دون أن يحصل على لقب الإمام، وبذلك يعود لقب آية الله العظمى مقدما للألقاب الشيعية وعلى رأسها، والتى تتمتع برحابة وقبول نفسى =

تركز الكتب المدرسية الإيرانية على الخميني بدرجة مفرطة، فأول ما يظهر الخميني كان على صورة مقدمة إحدى الكتب المدرسية، حيث تُظهر الخميني يحضن طفلاً، بينما يقوم بتقبيله [1].

وفي درس حق مردم " حق الناس " حيث يتحدث الدرس، عن الأب الذي طال به العمر بعد أن كان يعمل في بيت الإمام الخميني، إذ يتردد الناس عليه لسؤاله عن الخميني، ويعرض الدرس في النهاية لمعلومات مفصلة حول سيرة الخميني، ودوره في الثورة الإسلامية الإيرانية، التي ما زال ميراث الخميني حاضراً فيها بقوة. تلك الثورة التي ما زالت محل اعتزاز إيران وشعبها [2].

كذلك نجد صورة الخميني في أول صفحة، وتحت هذه الصورة مقولة لأحد علماء الشيعة " آية الله أميني " حيث يورد قولاً بالعربية يقول فيه " آية الله الخميني ذخيرة الله للشيعة "[3]"[4].

وروحى عند الشيعة. مصطلحات سياسية: آية الله عند الشيعة الإيرانيين، مختارات إيرانية العدد ٦٧، فبراير٢٠٠٦، ص ٩٩–١٠٠.

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، جهارم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٩، مقدمة الكتاب.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، بنجم دبستان، جاب ششم، ١٣٨٩، ص ٩٨-٩٩.

درس " ديدار " " اللقاء "، ادبيات فارسى، سال سوم متوسطه، جاب جهاردهم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ص١٠٠-١٠٥.

تاريخ، سال سوم، دورهء راهنمايى تحصيلى، مرحله ى دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هايى درسى، ١٣٨٩. ص ٧١-٧٧.

(٣) عربي، سال أول، دوره يراهنمايى تحصيلى، جاب جهارم، ١٣٨٩، مقدمة الكتاب.

(٤) عربي، المرجع السابق، مقدمة الكتاب.

وفي كتاب اللغة العربية الثاني نجد صورة الخميني في مقدمة الكتاب كذلك[1].

ونجد صورة الخميني في بداية الكتاب الثالث لتعليم اللغة العربية، وتحته عبارة تتحدث عن أهمية الاتحاد بين جميع الشعوب المسلمة في العالم: العرب، عجم، ترك، الفرس، حيث لن يستطيع أحد الانتصار عليهم إذا اتحدوا [2].

ونفس الأمر نجده في كتاب اللغة العربية، حيث نجد في مقدمة كتاب اللغة العربية صورة للخميني، وتحتها مقولة موجهة للعرب: لا تقولوا بأن اللغة العربية هي لغتكم، هي لغتنا، فاللغة العربية هي لغة الإسلام ولغة الجميع[3]. ونجد صورة الخميني، وهو يقرأ القرآن في كتب تعليم القرآن [4] كذلك نجد الصورة في كتب تعليم القرآن، داعيا للتربية الجدية على أساس الإسلام، والقرآن، وعلى أساس خطى إمام الزمان [5]. ونلاحظ وجود صورة الخميني، وهو يضع يده على رأس طالب صغير في المدرسة، وتحتها عبارة أنه يتمنى أن يكون طالبا معهم في الابتدائية[6]، وتتكرر نفس الصورة في مكان آخر[7]. ونلاحظ نفس صورة

(١) عربي، سال دوم، دوره يراهنمايي تحصيلي، جاب سيزدهم، ١٣٨٩، ص مقدمه.

(٢) عربي، سال سوم، دوره يراهنمايي تحصيلي، جاب دوازدهم، ١٣٨٩، ص١.

(٣) عربي ١، سال اول دبيرستان، جاب يازدهم، ١٣٨٩، صفحة المقدمة.

(٤) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، سوم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٨، مقدمة الكتاب.

(٥) آموزش قرآن، سال دوم، دوره ى راهنمايي تحصيلي، مرحلة ى دوم تعليمات عموى، جاب دهم، ١٣٨٩، صفحة مقدمة.

(٦) آموزش قرآن، بنجم دبستان، جاب نهم، ١٣٨٩، صفحة مقدمة.

(٧) فارسى بخوانيم، دوم دبستان، جاب يزدهم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص ٣.

الخميني تتكرر في كتب تعليم اللغة الفارسية [١].

ونرى صورة الخميني وهو يتحدث عن أهمية علم التاريخ، واعتباره بأنه معلم للإنسان[٢]، ونلاحظ إفراد بعض الكتب لنماذج وصور من حياة الخميني الأسرية التي تبرز عمله في بيته، مثالاً على دور الأسرة في التعاون [٣].

نجد صورة الخميني لحظة رجوعه إلى إيران، وهو ينزل عن سلم الطائرة في درس " حق آمد وباطل نابود شد " " جاء الحق وزهق الباطل [٤].

ونلاحظ كذلك صورة الخميني ناصحاً الطلاب بالدراسة بشكل جيد، وأن يصنع نفسه وفقاً لتعاليم الإسلام، وأن يتحلى بالأخلاق الجيدة، وأن يسعى إلى طاعة الوالدين، والسعي للتعلم خدمة لقيم الثورة وتحقيقا للحرية والاستقلال[٥]، ونجد نفس الأفكار مرفقة مع صورة الخميني في موقع آخر من

---

(١) فارسى بخوانيم، جهارم دبستان، جاب هشتم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص المقدمة .
فارسى بخوانيم، بنجم دبستان، جاب ششم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، المقدمة فارسى، سال اول دوره ى راهنمايى تحصيلى، جاب ششم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، المقدمة. درس مناجات " " المناجات "ادبيات فارسى، سال اول دبيرستان، جاب جهاردهم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، المقدمة.

(٢) كتاب تاريخ ايران وجهان" نظرى: رشته ى ادبيات وعلوم انسانى، سال سوم متوسطه، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، جاب دهم، ١٣٨٩، ص المقدمة.

(٣) تعليمات اجتماعى، سال اول دوره ى راهنمايى تحصيلى، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ص ٢٠.

(٤) آموزش قرآن، جهارم دبستان، جاب نهم، ١٣٨٨، ص ٨٨، تعليمات اجتماعى، بنجم دبستان، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٨، ص٧٥.

(٥) فارسى، سال دوم دوره ى راهنمايى تحصيلى، جاب سوم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى
=

الكتب المدرسية[1].

ونرى صورة الخميني وتحتها تحليلاً لمرشد الثورة - علي الخامنئي- حيث يؤكد على ضرورة ترسخ القيم الخاصة بالثورة في المجتمع.. العزة، الاستقلال، الاعتماد على الذات[2]. أما كتب التاريخ وكتب رسائل السماء فقد كان لها دورٌ في ترسيخ صورة الخميني وسيرته الذاتية [3].

= درسی ایران، ١٣٨٩، المقدمةونفس الصورة والعبارة تتكرر في موضع آخرفارسی، سال سوم دوره ی راهنمایی تحصیلی، جاب دوم، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٩، مقدمة. تعلیمات اجتماعی، سال اول دوره ی راهنمایی تحصیلی، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٩، مقدمة تعلیمات اجتماعی، سال سوم دوره ی راهنمایی تحصیلی، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٩، صورة الغلاف مطالعات اجتماعی، سال اول دبستان، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٩جاب دوازدهم، ص المقدمة. تعلیمات اجتماعی، بنحم دبستان، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٨، ص المقدمة.

(١) تعلیمات اجتماعی، سال اول دوره ی راهنمایی تحصیلی، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٩، صفحة المقدمة. تعلیمات اجتماعی، جهارم دبستان، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٧، ص مقدمة. قرآن وتعلیمات اجتماعی دین وزندکی، سال دوم متوسطه، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، جاب اول، ١٣٨٩، ص المقدمة، علوم تجریبي، سال اول، دوره ی راهنمایی تحصیلی، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، جاب دوازدهم. ١٣٨٩، ص المقدمة.

(٢) ادبیات فارسی، سال سوم آموزش متوسطة، جاب دوازدهم، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٩، المقدمة. تاریخ، سال سوم، دوره، راهنمایی تحصیلی، مرحله ی دوم تعلیمات عمومی، شرکت جاب ونشر کتاب هایی درسی، ١٣٨٩. ص ٨٧.

(٣) تاریخ، سال اول راهنمایی تحصیلی، شرکت جاب ونشرکتاب های درسی ایران، ١٣٨٩، ص =

أما الأمر الملفت فهو التركيز على مرقد الخميني وتعظيمه وإجلاله وجعله كمراقد الشيعة العظام" مرقد الإمام المطهر للإمام الخميني "، والتركيز على صورة ضريح الخميني، وكثرة زواره[1]...

وفي كتب متقدمة يتم تناول سيرة الخميني منذ ولادته وحتى انتصار الثورة الإسلامية، مستعرضةً أبرز المحطات في حياته[2].

ويُطلب من الطلاب نشاطٌ طلابيٌ حول الخميني يرتكز على المحاور التالية:

١- يعتبر الخميني تلميذ منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، ما هي خصائص الرسول في مجال الأخلاق التي شاهدتها في الإمام الخميني؟

٢- تحدث عن أبرز الخواطر من خلال سجال الإمام الخميني في عهد الثورة؟

٣- يحاول الدرس تعزيز مفاهيم متعددة مثل: الحوزة العلمية، المظلوم، المرجعية[3].

المقدمة. كتاب تاريخ، دوم راهنمايى تحصيلى، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، ١٣٨٩، ص المقدمة. كتاب تاريخ، سوم راهنمايى تحصيلى، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، ١٣٨٩، ص المقدمة. كتاب بيام هاى آسمان" تعليم وتربيت اسلامى "، سال اول، دوره ى راهنمايى تحصيلى، ١٣٨٩، ص المقدمة.

(١) تعليمات اجتماعى، بنجم دبستان، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٨، ص١٣٤.

تاريخ، سال سوم، دورهء راهنمايى تحصيلى، مرحله ى دوم تعليمات عمومى، شركت جاب ونشر كتاب هايى درسى، ١٣٨٩. ص ٨٦.

(٢) درس امام خمينى، فارسى، سال اول دوره ى راهنمايى تحصيلى، جاب ششم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ص ١٧-١٩.

(٣) المرجع السابق ٢١.

وتتطرق بعض الدروس إلى بعض نصائح الخميني للطلاب من خلال ضرورة التركيز على طلب العلم والمعرفة، الالتزام بالإسلام والأخلاق، طاعة الوالدين، احترام المعلم، والسعي لخدمة الإسلام والجمهورية الإسلامية الإيرانية [١].

ونجد بعض الدروس يتحدث عن الدعوة والخطاب، حيث يطلب أحد الدروس المقارنة بين رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم، وشيوخ قبائل العرب لدعوتهم للإسلام، ورسالة النبي سليمان لملكة سبأ يدعوها أيضا للإسلام، ورسالة الخميني لغورباتشوف الرئيس الروسي يدعوه فيها للإسلام[٢].

ونجد الروايات عن الخميني وإفرادها في مواقع مخصوصة وألوان خضراء داخل الكتب من حيث نقل الأحاديث عنه؛ تقول أحد الكتب: يقول أحد أبناء الخميني رحمه الله: كان حضرة الإمام الخميني يحث دوما على عدم إهمال الصلاة، وايلائها أهمية "[٣].

---

(١) درس نصيحت امام، فارسی، سال اول دوره ی راهنمایی تحصیلی، جاب ششم، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٩، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) فارسی، سال دوم دوره ی راهنمایی تحصیلی، جاب سوم، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٩، ١١٧.

(٣) کتاب بيام های آسمان" تعليم وتربيت اسلامی "، سال اول، دوره ی راهنمایی تحصیلی، ١٣٨٩، ص ٣١. قصيدة " روح نماز " روح الصلاة " "فرهنك اسلامی وتعليمات ديني، سال دوم دوره ی راهنمایی تحصیلی، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، ١٣٨٩، ص ٩٢. قرآن وتعلیمات دینی دین وزندگی، سال دوم متوسطه، ناشر شرکت جاب ونشر کتابهایی درسی ایران، جاب اول، ١٣٨٩، ص ١٧٥-١٧٦.

ونجد تناول الثورة من خلال القبول الشعبي الذي لقيته من جانب الشعب الإيراني الذي ناضل من أجل الانتصار، وقدم التضحيات، واستعراض مسيرة الثورة، وتاريخها، وأبرز الأحداث والمحطات التي جرت حتى رجوع الخميني [١].

*** أسطورة النظرية النورانية في الكتب المدرسية الإيرانية:**

غالبا ما تظهر صور الأئمة في الكتب المدرسية الإيرانية، وهم يلبسون العمائم الخضر، وما يميز وجوههم من خروج نورٍ ككتلة ساطعة ملتهبة، مما يضفي عليهم هالةً من التقديس التي ترفعهم فوق مستوى البشر العاديين.

ولا بد من عرض إيراد رأي جولد تسهير حول "النظرية النورانية في الأئمة"، وكيف وظّفها الشيعة في تأكيد منهجهم في تقديس الأئمة، حيث قال[٢]:" ثم جاءت نظرية الشيعة في النبوية فاستخلصت نتائج هذا التصوير البعيدة وذلك لأنه لما كان الشيعة قد ارتفعوا، في نظرياتهم، بطبيعة الأئمة إلى مقام فوق مقام الطبيعة الإنسانية وجعلوا لهؤلاء مكانة في العالم العلوي، كان من الضروري أيضاً أن يكون لمحمد ﷺ نفسه باعتباره جَداً أعلى للأئمة، أن يكون له نصيب في الأسطورة التي نسجتها الشيعة حول أهل البيت. فحين خلق الله آدم وضع في ظهره محمداً، وعلياً وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين على صورة جواهر منيرة [٣]. أرسلت نورها في جميع أنحاء العالمين العلوي والسفلي. ولهذه الجواهر الموضوعة في

(١) درس " بيروزى انقلاب اسلامى " انتصار الثورة الاسلامية "، تعليمات اجتماعى، بنجم دبستان، ناشر شركت جاب ونشر كتابهاى درسى ايران، ١٣٨٨، ص ١٢٩-١٣٣.

(٢) جولد تسهير، العناصر الأفلاطونية ص٢٢٦-٢٢٩.

(٣) ويغالون في هذا الوجود وجوداً سابقاً بقولهم إن الله خلق أرواح أفراد أهل البيت قبل أبدانهم بألفي عام: "وخلق الله أرواح شيعاتنا قبل أبدانهم بألفي عام". الكليني، الكافي، ص٢٧٦.

جسم آدم كان السجود الذي أمر الله الملائكة به، فسجدوا إلا إبليس، أبى واستكبر، وحينئذ أمر الله آدم أن يرتفع ببصره إلى ذروة العرش، فرأى آدم كيف انطبعت صور أنوار أشباح محمد وبقية أفراد أهل البيت في العرش "كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية"[١].

وهذه العملية يتحدث عنها التفسير الذي أهداه الشيعة إلى الإمام الحسن العسكري فيطيل الحديث، مضيفاً إلى ذلك ملاحظة على أسماء أهل البيت، فيقول إن الله علم آدم أن تلك الأسماء الخمسة ذات نسب باسم الله كلاً بحسب أهميته ومرتبته ("شققت لهم أسما من اسمي"). ولهذا فإن دعاء الله يؤثر أعظم التأثير إذا ما استشفعوا إليه.

ويرى جولدتسهير[٢] أنه فيما يتصل بفكرة انطباع صور المصطفين من عباد الله في عرشه، اعتقد أن هذه الفكرة أتت من تصورات يهودية، وأنها شاهد جديد على أن مصادر غلو الشيعة في الأئمة يجب ألا يبحث عنها في الميدان الفارسي فحسب فإن الهجاداه تقول في إحدى الروايات التي ترويها إن صورة الإنسان الموجود بالجزء الأعلى من العرش السماوي (حزقيل ١: ٢٦) هي صورة يعقوب التي رفعت إلى عرش الله. والملائكة الذين يصعدون وينزلون على سلم السماء (التكوين: ٢٨: ١٢) يعرفون في وجه الرحالة النائم الصورة السماوية

(١) تفسير العسكري، ص٨٨: "انظر يا آدم إلى ذروة العرش! فنظر آدم، ورفع نور أشباحنا من ظهر آدم إلى ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره، كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية. فرأى أشباحنا فقال: "يا رب ما هذه الأشباح؟ قال الله: يا آدم، هذه أشباح أفضل خلائقي وبراياي هذا محمد الخ".

(٢) جولد تسهير، العناصر الأفلاطونية، ص٢٢٧.

الأولى. فتمثيل صور جد بني إسرائيل منطبعة منذ القدم في عرش الله، يبدو أنه كان نموذجاً لتمثيل صورة أجداد الأئمة في هذا المكان السامي نفسه.

ويضيف: ويتصل بهذا أوثق اتصال تلك النظرية القائلة بأن جوهر النبي النوراني يُتوارث جيلاً بعد جيل – بمعنى آخر طبعاً غير المعنى الذي قصد إليه الشعراء الذين عاصروا النبي، حين مدحوه بقولهم إنه نور أضاء على البرية كلها. وما نريد أن نتحدث عنه هنا هو تلك العقيدة التي نشأت مع تقديس نبوة محمد، القائلة بأن في النبي جوهراً نورانياً قائماً به قياماً حقيقياً واقعياً، وُضع أول ما وضع في جبهة آدم، وانتقل من آدم على توالي العصور وباستمرار إلى حامل الشريعة الإلهية والرسالة الربانية حتى وصل، بعد أن مر بأجداد النبي، إلى النبي وتجلى فيه هو نهائياً. وتوسع الشيعة في هذه العقيدة أيضاً توسعاً كبيراً، فيه غلو وفيه إفراط شديد. ولكن عناصرها الأولى كان معترفاً بها عند أهل السنة أيضاً، بل أفضت في البيئات السنية نفسها إلى أسطورة ضخمة.

فبعد أن أمر الله الملائكة بأن يأتوا بقبضة تراب من زوايا الأرض الأربع، أمر جبريل أن يأتيه بالقبضة البيضاء ليخلق منها محمداً. حينئذ "هبط جبريل... في ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفح الأعلى فقبض قبضة" من الموضع الذي سيكون يوماً ما قبراً للنبي "(أي القبضة) يومئذ بيضاء نقية، فعجنت بماء التسنيم، ورعرعت حتى صارت الدرة البيضاء، ثم غمست في أنهار الجنة كلها. فلما أخرجت من الأنهار نظر الحق سبحانه وتعالى إلى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبياً. فكل الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا... ثم طيف بها في السموات والأرض فعرفت الملائكة حينئذ محمداً... قبل أن تعرف آدم. ثم عجنها بطينة

آدم". وهذا هو نور محمد، وضع في جبين آدم؛ فأضاء كالقمر ليلة البدر. فكأن الملائكة إذاً قد عرفوا محمداً قبل أن يعرفوا آدم[1].

ويختم جولد تسهير رأيه في ذلك قائلا[2].:"وكل ما هنالك من خلاف جوهري بين تصوير الشيعة لهذه الفكرة وتصوير أهل السنة، هو في أن الشيعة يؤكدون أن علياً كان له نصيب في انتقال الجوهر النوراني انتقالاً مستمراً جيلاً بعد جيل من الجد الواحد من أجداده إلى الجد الآخر. فقبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف سنة كان محمد وعلي نوراً واحداً بين يدي الله. فلما خلق آدم سرى هذا النور، وهو على هذا النحو من الوحدة غير المنقسمة، "في الأصلاب الطاهرات والأرحام الزاكيات"، حتى وصل إلى عبد المطلب وحينئذ انقسم الجوهر النوراني الرباني فذهب قسم إلى عبد الله، والد النبي، وقسم إلى أبي طالب، والد علي.

أظهر الله تعالى الإسلام بين العرب وفي جزيرتهم، واختار لتبليغ الرسالة رسولاً عربياً هو محمد بن عبد الله ﷺ. وكان الإسلام منعطفاً جديداً في حياة العرب بعث فيهم روحاً جديدة فكانوا مادته الأولى في نشر مبادئه للعالمين. وقد استطاع الرسول ﷺ أن يحقق نتيجة مهمة وهي توحيد العرب تحت سلطة مركزية وربطهم برابطة جديدة فوق القبلية وبعقيدة جديدة هي الإسلام. وحين نجح خليفة الرسول ﷺ أبو بكر الصديق في القضاء على المرتدين ثبَّت نواة التوحيد الروحي والثقافي، فأصبح الإسلام عقيدة كل سكان الجزيرة العربية تقريباً بمعنى آخر حصل تطابق بين العروبة والإسلام هذا مع إدراكنا لعالمية الدعوة الإسلامية.

---

(١) جولد تسهير، العناصر الأفلاطونية، ص٢٢٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٩.

ثم جاءت حركة الفتوحات الإسلامية ودخلت جيوش الفاتحين العرب المسلمين إلى بلاد فارس فكان موقف الفرس من الإسلام واحد من أمرين:

١- فئة اعتنقت الإسلام عن عقيدة لاعتقادها بمبادئه الهادية التي ستخلصها من الجبروت والطغيان الساساني ومن الطبقية الاجتماعية المغلقة ومن فداحة الضرائب المفروضة عليها فهي إذن آمنت بدعوة الإسلام للعدالة والحرية بصدق ويقين.

٢- وفئة تعلقت بعقيدتها المجوسية وتمسكت بشعائرها الفارسية ولم تُعِر أية أهمية لمبادئ الإسلام الجديدة. وهؤلاء كما يؤكد كتّاب الفرق نوعان: نوعٌ منهم "إما راموا كيد الإسلام بالمحاربة"، أو أنهم "رأوا أن كيده على الحيلة أنجح فأظهر قوم منهم الإسلام"[1]. أي تستروا بالإسلام ورفعوا شعاراته لتحقيق طموحاتهم في عودة "الدولة إلى ما كانت عليه أيام العجم" قبل الإسلام.

ولا بد لنا أن نستدرك ونشير هنا إلى ظاهرة تشمل الفئتين من أهل فارس وهي أن الدعوات الجديدة -ومنها الدعوة الإسلامية- تحتاج إلى وقت ليس بالقصير لكي تهضم وتتمثل في وجدان الناس وعقولهم. ومعنى ذلك فإن الدعوة القديمة (المجوسية) لا بد أن تصارع الدعوة الجديدة (الإسلام) صراعاً يختلف من إقليم إلى إقليم ومن جماعة إلى أخرى في بلاد إيران نفسها. وقد ظهرت آثار هذا الصراع بين القديم والجديد في ناحيتين مهمتين في بلاد فارس: في تطور الإسلام عقيدةً أولاً وفي تطور تاريخ إيران السياسي والاجتماعي، ثانياً عبر

(١) المقريزي، الخطط، ج٤، ص١٩٠ – ١٩١.

العصور الوسطى الإسلامية. ولا يمكن لأي مؤرخ البحث في هاتين النقطتين دون أن يفهم أبعاد هذا الصراع الذي كان جلياً حيناً ومستتراً أحياناً أخرى.

بدأ تأثير الموالي (المسلمون من غير العرب) يقوى بصورة تدريجية خلال القرن الأول الهجري وغدت مجتمعات الموالي في العراق وإيران بؤرة تنطلق منها حركات التمرد والقلاقل ضد السلطة المركزية في المدينة المنورة أو في دمشق. ومما عقَّد الأمر أن هذه الحركات اتخذت من مبادئ الإسلام أساساً مشروعاً للتذمر، كما رفعت بعضها شعارات علوية لاعتقادها أحقية العلويين بالخلافة بل لأن العلويين -بسبب ماضيهم السياسي غدوا - أرادوا أم لم يريدوا - البديل المناسب للسلطة القائمة ورمزاً لمعارضتها!!. ومما زاد في الطين بلّة إن بعض الزعماء والطموحين من العرب هم الذين نظَّموا الموالي واستغلوهم في حركاتهم ضد السلطة المركزية من أجل تحقيق طموحاتهم السياسية الشخصية ونشير هنا على سبيل المثال إلى حركات المختار الثقفي وعبد الرحمن بن الأشعث ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة في العصر الأموي. وهكذا اختلط الحابل بالنابل... وتستر المعارضون للسلطة العربية الإسلامية -مهما كانت دوافعهم وأهدافهم- بالإسلام واصطبغوا بصبغته معتبرين هذا الشعار منفذاً لبث دعاياتهم وآرائهم الحقيقية[1].

إن هذه الفئة التي تسترت بالإسلام ورفعت مبادئه شعاراً ظاهرياً دون أن تؤمن بها هي التي تمثل التيارات المجوسية في إيران سواء كانت مزدكية أم مانوية، التي حولت سخطها على الساسانيين إلى سخط وثورة على العرب المسلمين الذين – وحسب رأيهم أيضاً- لم يبدلوا شيئاً يذكر في الأوضاع القائمة

(١) عمر، التاريخ الإسلامي، ص٢٨١.

وحالفوا الزرادشت والدهاقين على حساب جماهير الإيرانيين. ثم بعد ذلك كله – ومن نفس وجهة النظر الفارسية المتسترة بالإسلام – فإن حكم العرب المسلمين يُعد حكماً أجنبياً لبلاد فارس[1].

لقد تمثلت هذه الحركات في صدر الإسلام بما سُمي من قبل المؤرخين الرواد بحركات الغلاة (من الغلو وهو التطرف في الدين والانحراف عنه). فكانت السبئية والخطابية والمغيرية والمنصورية والكيسانية التي دانت بالتطرف وحاولت التوفيق بين آراء إسلامية وآراء مجوسية فأشاعت مبادئ الحلول والتناسخ والبداء والقدسية والتأويل الباطني للنصوص المقدسة الدينية وكلها مبادئ يرفضها الإسلام الصحيح[2].

ومن أهم المبادئ التي دعت لها:

(١) التأويل الباطني: فقد ذهبت فرق الغلاة عامة إلى أن لكل ظاهر باطناً.. وأن لكل تنزيل تأويلاً[3]. ولهذا فالغلاة لا يتقيدون بالتفسير الظاهري للنصوص الدينية المقدسة بل يؤكدون على أن هناك تفسيراً آخر باطنياً لهذه النصوص. إن هذا التفسير لا يعرفه إلَّا الإمام أو من ينوب عنه، ثم انتقلوا من هذا إلى ضرورة معرفة الإمام فمعرفة الإمام تغني عن كل الفرائض لأنها جوهر الدين. ولا أهمية بعد ذلك للشريعة والقرآن. لقد استطاع الغلاة من خلال التأويل تحريف الإسلام الصحيح وسحبه إلى المجوسية التي تحولت في العصر الساساني إلى وسيلة

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) للمزيد انظر: عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق، ص٤٨ – ٦٥.

(٣) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص٨٠.

لتسويغ الحكم الكسروي المطلق ونشر مبدأ الخنوع والطاعة العمياء للشاهنشاه. وبكلمة أخرى أراد الغلاة تحويل جوهر الإسلام إلى الفكرة المجوسية القائلة بأن "الدين طاعة رجل" طاعة عمياء.

(٢) أن الإمامة يمكن أن تنتقل من الإمام إلى خليفته بالعلم لا بالنسب أو النص. فكل من أحاط بعلم الإمام من تلاميذه يكون إماماً بعده[١]. وقد كان للغلاة هدفٌ من وراء هذا التخريج وسنلاحظ أن عدداً من الفرق الغالية في العصر العباسي نقلت الإمامة إلى رجالات من الفرس وهذا هو بيت القصيد.

(٣) الحلول والتجسيد اعتقدت فرق الغلاة بألوهية زعمائها أو أئمتها وذلك بحلول الجزء الإلهي وتجسده فيهم[٢]. ثم انتقلوا بعد ذلك واستناداً على الفقرة الثانية أعلاه (الإمامة تنتقل بالعلم) إلى ادعاء الألوهية لشخصيات فارسية!! ولهذا نلاحظ بأن الكثير من الفرق الغالية التي والت أبا مسلمٍ الخراساني زعمت أن روح الإله حلت فيه ومنها الرزامية والحربية. وقد رد بعض المؤرخين هذه الفكرة إلى أصلها المجوسي الفارسي ذلك لأن الفرس اعتقدوا أن ملوكهم منحدرين من أصلاب الآلهة، وأن الشاهنشاه هو تجسيد لروح الله. إن فكرة العائلة الإلهية المختارة هي فكرة وثنية لا صلة لها بالإسلام حاول الغلاة نقلها إلى الإسلام. وهذا، بطبيعة الحال، يرتبط بالمبدأ الأول وهو الخضوع المطلق للإمام والطاعة له وينتهي إلى أن الدين طاعة رجل ولا أهمية للفرائض الدينية.

وبعد هذه المقدمة لا بد من دراسة واقع العلاقة التي كانت قائمة في الدولة الساسانية بين الأكاسرة والرعية، فما نتج عنها من عقائد وأفكار ساهم الحكام في

(١) المرجع نفسه، ص٢٨.

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٥٠.

ترسيخه -مع الأيام- في الوجدان والعقل الباطني لرعاياهم من عامة المجتمع قبل خاصتهم. كما هو واضح فإن الفكر لا ينتهي فجأة، لذا فإن الفتوحات الإسلامية وما بذله المسلمون الأوائل من جهود لتغيير العقلية الفارسية التي عشعشت بها أفكار زرادشت وماني لم يبلغ درجة الكمال التام في إزالة جميع تلك الرواسب، - شأنه شأن كل جهد بشري - خاصة -كما أشرنا سالفا- أن الفرس لم يدخلوا جميعا في الإسلام مقتنعين به، بل أن فئة كبيرة منهم دخلته للدسِّ عليه وتشويهه من الداخل. لذا فقد بذل هؤلاء جهوداً جبارة لتحقيق غاياتهم، وقد نجحوا في ذلك.

ادَّعى ملوك فارس أن دماً إلهياً يجري في عروقهم، وأن في طبيعتهم عناصر علوية مقدسة، وصدَّق الفرس هذه الدعوى فأنزلوهم منزلة الآلهة، قدموا لهم القرابين، وأنشدوا لهم أناشيد الطاعة والعبودية، واعتقدوا أنهم وحدهم الذين يجوز لهم أن يلبسوا التاج، ويسيطروا على الناس أيّاً كانت سنُّهم أو كفاءتُهم. وفيما عدا الأسرة المالكة كان هناك المجتمع الإيراني بطبقاته الكثيرة التي تقوم هوّة واسعة بين كل اثنتين منها، وكان كل إنسان في طبقة ما، لا يستطيع أن يتعداها إلى سواها من الطبقات مهما أوتي من كفاءة خاصة أو تجارب معينة(١).

ومن خلال ما تيسر معرفته عن طبيعة الحكم الفارسي القديم وطقوسه نلحظ أثر التقديس وتقديم القرابين واضحا، يظهر ذلك جليا من خلال قصة الخليقة كما جاءت في كتاب الأبستاق المقدس عند الفرس القدماء. "ظل زروان الآلة الأقدم يقدم القرابين زهاء ألف سنة لكي يكون له ولد يسميه أهورا مزدا، ولكنه في آخر الأمر أخذ يشك في فائدة ما قدم من قرابين، وحينئذ ظهر

(١) الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٣٣.

ولدان في بطنه(أو في بطن زوجته خوشيرك) أحدهما أهورا مزدا لأنه قدم القرابين، والثاني أهريمان لأنه شك فيما يفعل، فوعد زروان من يبدأ بالمثول أمامه منهما بملك الدنيا، فشق أهريمان بطن أبيه ومثل له، فسأله زروان - :من أنت؟.

فأجابه أهريمان: أنا ولدك.

فقال زروان: إن ولدي ذكى الرائحة نوراني، وأما أنت فظلماني عفن. وفى تلك اللحظة مثل أهورا مزدا منورا ذكي الرائحة، فعرف زروان أنه ولده. وقال له: إنى كنت أقدم القرابين حتى الآن من أجلك، فمنذ اليوم تُقدمها أنت من أجلى"

كان النظام الفارسي يقوم على الحكم المطلق، وكان لملك الفرس الحق في أن يقتل رعاياه أو يبقيهم على قيد الحياة كما يقول فلهاوزن[1]. ذلك أن الفرس "منذ أقدم الأزمنة... يعتقدون اعتقاداً جازماً بالحق الإلهي ويكرهون كراهية شديدة فكرة الانتخاب الشعبي الديمقراطي"[2]. لذلك جهد ملوك الفرس على ربط الدين، ورأوا أن وحدة المجتمع الفارسي لا تتم إلا بهذا الرابط ومدى قوته، فالمُلك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى. فمن وصايا أردشير لابنه سابور عندما نصبه للملك قال له: يا بني، إن الدين والملك أخوان، ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين أس الملك، والملك حارسُه، وما لم يكن له أسر فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع[3].

(١) تاريخ الدولة العربية، ص٥٣١.

(٢) براون، تاريخ الأدب في إيران، ص٢٤٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٥٦.

ومن هنا، كان إيمان كشتاسب من أعظم العوامل التي أيدت زرادشت، "فسارعت رعية الملك جميعها إلى الدخول في دينه، وجاء الناس من جميع أنحاء إيران إلى بلخ يبتغون اعتناق الدين الجديد. بل آمن به "رجلان من حاشية الملك، قدر لهما أن يكونا الحواريين المخلصين للزرادشتية، المجاهدين في سبيل نشرها والدفع عنها، وهما "جاماسب" وزير الملك، و"فراشا أوسترا" أخو جاماسب والوزير الثاني للملك، مما ساعد في نشر الزرادشتية، حتى قيل: إن جاماسب – هذا- نسخ بيده عدة نسخ من الأبستاق. وبإيمان كشتاسب وحاشيته بدين زرادشت "أعلن الدين الزرادشتي الدين الرسمي للدولة". ولذا، نجد عبارات المدح والثناء لكشتاسب مدونة في بعض أسفار الأبستاق، ومنها: "لقد كان هذا الملك هو الذي صار لدين زرادشت –دين أهورامزدا- اليد اليمنى والسند المقدس"[1].

هذا، ولم يكن حُكّام الفرس قائمين بالأمور السياسية فحسب، بل كانوا من دعاة الدين الزرادشتي كذلك، ومن سدنة هذه الرسالة، فوطدوا أركانها وعملوا على ذيوعها. ثم انتشرت –بعد ذلك- الزرادشتية انتشاراً واسعاً بعدما أصبحت دين الملوك في إمبراطورية الفرس التي أسسها قورش الكبير بعد قضائه على بابل عام ٥٣٨ ق. م"[2]. ونالت الزرادشتية على يديه ويد ابنه قمبيز تأييداً ثم انتشارا، زد على ذلك أنه لما تولى دارا عمل على رواج الزرادشتية وسجل انتصاراته في نقش بهيستون وفيه يقول دارا الملك: هذا هو ما تمّ على يدي ببابل، هذا هو ما فعلت بفضل أهورامزدا[3].

---

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٥١-٦١.

(٢) صعب، الأديان الحية، ص١١٠.

(٣) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص١٦، ١٧.

ثم جاءت الفترة الساسانية "وأقام أردشير بن بابك الساساني دولته على دعامة وطيدة من وحدة الملك وهذا الدين[1]. فلا قيام للدين بغير الملك، ولا بقاء للملك بغير الدين، فكلاهما قائم على الآخر معتمد عليه غير مستغن عنه. ولهذا، فإن أردشير أوصى بجمع ما تفرق وبقي من الأبستاق، وطلب من الموابذة إعداد شرح لهذا الكتاب ثم تقريراً لهذا الشرح حتى يفهمه الناس، ويسيرون على نهجه [2]، مما جعل الزرادشتية تطل برأسها من جديد بعد أن كادت تخبو مكانتها، وهكذا ما بين الفترة والأخرى يُقدّر لهذا الدين من يبعثه من مرقده، ويبث فيه روح الحياة من جديد، حتى جاء الإسلام الحنيف فقضى على الزرادشتيين.

وهكذا قام الدين الزرادشتي على أكتاف المؤمنين به، الداعين له، وما هي إلا سنون تمر وتنقضي حتى تجمع حول الزرادشتية الأتباع الذين بدأوا يورثونه لمتعاقب الأعقاب، فعن السّلف بدأ توارث الخلف لهذا الدين، وبذا، بقي الأتباع على ولائهم للدعوة الزرادشتية، ووفائهم بحقوقها[3].

---

(١) بدوي، جولة في شاهنامة الفردوسي، ص٤٠.

(٢) بطروشوفكي، الإسلام في إيران، ص٢٦.

(٣) السقاف، الدين في الصين والهند وإيران، ص٢٧٢.

*** الصورة النورانية من خلال الكتب المدرسية الإيرانية " الرسول صلى الله عليه وسلم ، وآل البيت نموذجا ":**

*** تجسيد صورة الرسول الأكرم في الكتب المدرسية:**

صورت الكتب المدرسية الإيرانية صورة النبي الأكرم، وجسدتها من خلال شخص يلبس لباسا عربيا، يلبس على رأسه عقالا من اللون الأخضر، وزنارا على وسطه من القماش الأخضر، وعباءة، ومن سماته الخلقية، له لحيه شقراء، وينظر إلى جهة اليمين والنور يخرج من وجهه، حيث لم يرى من وجهه الشريف سوى لحيته، وجهة من وجهه الشريف، أنفه، وفمه، الشمس تبتسم له، والطيور تمسك بعباءته الشريفة، وحوله أشجار النخيل، حيث تتحدث إحدى القصص التي وردت في إحدى الكتب المدرسية، وملحقة بالدراسة، قصة طفل تائه، لا أب ولا أم له، كان يسير في الطرقات حزينا، وجده الرسول صلى الله عليه وسلم، فسأله: لماذا تقف هنا، أجابه الطفل أنا وحيد، بلا أب ولا أم، ليس لي مسكن، حتى الأطفال لا يلعبون معي،... حزن الرسول حزنا شديدا، وقال للطفل لا تحزن، أنا مكان والدك، وزوجتي أمك، وابنتي فاطمة هي أختك... سكن الطفل، وتوقف عن البكاء، وأصبح مبتسما... وأخذه الرسول إلى بيته(١).

وهناك قصة أخرى يجسد فيها الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم تدعى " در ميان كودكان " بين الأطفال بنفس الصورة السابقة والملامح، لكن الاختلاف هذه المرة أنه بدلا من الأطفال الذكور حوله، هناك طفلتان حول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم(٢).

---

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، دوم دبستان، جاب هشتم، ١٣٨٨، ص ٢٤-٢٥.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، المرجع السابق، ص ٢٧.

كذلك يظهر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يدير ظهره في درس نان تازه " الخبز الطازج، وهو يلبس اللباس الأخضر بكامله[1] ويظهر الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسلوب النوراني السابق في درس" راهنمايان زندكى " مرشدوا الحياة "، لكن هذه المرة وسط الأزهار[2].

صورة الرسول صلى الله عليه وسلم رضيعاً:

يعرض درس " كودك با بركت " الرضيع مع بركته "، حيث يعرض الدرس لقصة سيدنا محمد عندما كان طفلا، وقصته مع حليمة السعدية التي أرضعته، حيث بارك الله تعالى بالناقة لتدر حليبها، حيث تظهر صورة للرسول صلى الله عليه وسلم طفلا رضيعا، يلبس لباس الأطفال الرضع، وبلوزة خضراء، وترفعه حليمة السعدية للسماء شكرا لله على البركة التي حلت [3].

صورة الرسول فتى يانعاً:

في نفس الدرس السابق " كودك با بركت "، يظهر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يدير ظهره، مرتديا عباءته الخضراء [4].

ويظهر الرسول في نفس الدرس، في قصة غريبة، فبعد أن يكبر الرسول قليلا تقوم حليمة السعدية، تقوم بتقليده عقدا حتى يحفظه هذا العقد من

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، سوم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٨، ص ٣٣.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، بنجم دبستان، جاب ششم، ١٣٨٩، ص ٣٩.

(٣) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، سوم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٨، ص٢٢-٢٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥.

أخطار الصحراء، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم يرفض، مما أثار عجب حليمة السعدية[1].

يضيف النص "سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان حسب العقيدة التوحيدية لسيدنا إبراهيم عليه السلام بعيداً عن عبادة الأصنام، وكان على الرغم من ذلك يقضى أياماً في الخلوة والعبادة في جبل النور (غار حراء)، ولكنه لم يكن في أي وقت من الأوقات مثل الرهبان، لم يترك الحياة الاجتماعية والأحداث اليومية للناس العاديين، في النهاية وفي لحظه من لحظات خلواته المهيبة مع نفسه سمع صوت ملك الوحي وبدأت مرحلة النبوة".

١- ١٧ ربيع الأول عام الفيل يطابق ٥٧٠ ميلادي

٢- سكان الحجاز من العائلات الغنية كانوا يرسلون أطفالهم إلى البادية وذلك من أجل حمايتهم من الأمراض المعدية مثل الكوليرا وكذلك من أجل أن يتعلم أطفالهم الأخلاق واللغة العربية الأصيلة[2].

سيرة الرسول:

تورد الكتب المدرسية سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم من حيث توضيح مراحل دعوة الرسول:الدعوة السرية، دعوة المقربين، إعلان الدعوة، نفي الظلم، ويحاول الدرس استخلاص القيم التالية من الدرس:

١- الإيمان والصمود حيث ركز على سيرة عمار بن ياسر

(١) المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) تاريخ ايران وجهان ١، نظرى (رشته ادبيات وعلوم انسانى)، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، جاب يزدهم، ١٣٨٩، ص، ٩٣-٩٤.

٢-السعي لنجاة الإنسان التركيز على دعوة الرسول لأقرب المقربين له " خديجة وجده أبو طالب "، وخروج الرسول إلى الطائف ومعاناته مع أهلها[١].

محور عائلته الرسول محمد صلى الله عليه وسلم :

درس مثل بيامبر " مثل الرسول " يقول الدرس: كانوا خمسة، الرسول حبيب الله، ابنته فاطمة، علي زوجها، الحسن والحسين أبناء علي وفاطمة، هؤلاء كانوا أهل بيت الرسول[٢].

التعريف بعائلته:

درس مثل بيامبر " مثل الرسول " يقول الدرس: كانوا خمسة، الرسول حبيب الله، ابنته فاطمة، علي زوجها، الحسن والحسين أبناء علي وفاطمة، هؤلاء كانوا أهل بيت الرسول.

الحسين بن علي:

صورت الكتب المدرسية الإيرانية صور آل البيت ففي إحدى الدروس" عابر السبيل العطوف " تظهر صورة الحسين بن علي بن أبي طالب، وجسدتها من خلال شخص يلبس لباسا عربيا، يضع على رأسه عقالا من اللون الأخضر، وزنارا على وسطه من القماش الأخضر، وعباءة، ومن سماته الخلقية، له لحيه شقراء، وينظر إلى جهة اليسار والنور يخرج من وجهه، حيث لم يُرى من وجهه الشريف سوى لحيته، وجهةٌ من وجهه، أنفه، وفمه، الشمس تبتسم له، والطيور

---

(١) درس " مراحل دعوة بيامبر كرامى اسلام وسيره ى رسول أكرم " ص" " مراحل دعوت نبي الإسلام الأكرم، سيرة الرسول الأكرم " المناجاة "فرهنك اسلامى وتعليمات ديني، سال دوم دوره ى راهنمايى تحصيلى، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ص ٣٧-٤٣.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، دوم دبستان، جاب هشتم، ١٣٨٨، ص ٣٤-٣٥.

وأشجار النخيل حوله، نفس هذه الصورة يتم تجسيدها للرسول الأكرم في الكتب المدرسية الإيرانية [1].

ونفس الصورة للحسين بن علي بن أبي طالب في قصة حب الأطفال، حيث تجسد صورته [2].

*** مصطلحات النور في الكتب المدرسية الإيرانية:**

وفي نص أخر تقول الكتب المدرسية الإيرانية:

تعب الناس طوال سنوات من ظلم واستبداد الملوك الساسانيين وسمعوا عن رسالة نجاة وعدالة الإسلام ودخلوا في الإسلام وبدأ عهد النور، بهذا بدأت فترة جديدة باسم (العهد الإسلامي) في تاريخ إيراني وسقطت الحكومة الساسانية بعد ٤٢٦ في سنة ٣٠ هجري – شمسي [3].

يقول النص: "هاجر رسول الإسلام في السنة الثالثة عشرة للبعثة من مكة إلى المدينة، رغم أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا قد تخلصوا من تعذيب وضغوط المشركين، لكن واجهتهم مشاكل أخرى، الصعوبات كانت أكثر وأشد؛ المدينة الحديثة كانت باستمرار هدفًا لمهاجمة أعداء الإسلام، ولهذا كان المسلمون دائمًا في حالة تأهب، في كل سنة كانت تقع عدة حروب، وقبل أن يعود المسلمون من إحدى المعارك حتى يبدأ هجوم آخر، ويضطر المسلمون للرد على الهجوم،

---

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، دوم دبستان، جاب هشتم، ١٣٨٨، ص ٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٤١.

(٣) كتاب تاريخ، سال اول، دوره ى راهنمايى تحصيلى، شركت جاب ونشر كتاب هاى درسى ايران، ١٣٨٩، ص ٦٨.

وأن يدافعوا عن أنفسهم وعقيدتهم بكل قدراتهم، لهذا لم يكن المجال الكافي لتعلم علوم وأحكام الدين.

رسول الله وعلى الرغم من أنه كان يستفيد من هذه الفرصة القصيرة لتعليم علوم وأحكام الدين للمسلمين، إلا أنه كان ينظر إلى المستقبل، وقد أودع كنوز علمه إلى أفراد يستحقون ذلك، حتى تكون فرصة للمسلمين للنمو، وفهم أعلى وأكبر، ليستفيدوا من هذه الكنوز من العلم والمعرفة. رسول الله بالإضافة إلى التبليغ العام الذي كان يقوم به بنفسه، إلا أنه ربى شخصًا مثل علي بن أبي طالب منذ صغره، ووصلت نفسه الطاهرة إلى مرحلة من الرشد؛ لأنه تعلم أيضًا من منبع العلم الإلهي، وتنورت روحه مثل روح رسول الله بالنور الإلهي.

يضيف النص: "عندما كان علي بن أبي طالب طفلاً صغير السن، كان الناس في مكة يعانون من القحط والغلاء والحياة الصعبة؛ فأبو طالب (والد سيدنا علي) كان رجلاً معروفًا، وكان يعاني من عبء حمل مصاريف الحياة الثقيلة. ذهب رسول الإسلام برفقة عمه العباس إليه، واقترحا عليه أن يأخذ كل واحد منهما ولدًا؛ حتى يخففا عنه مصاريف الحياة. وافق أبو طالب، وأودع عليًا عند ابن أخيه محمد.

سيدنا محمد، ولأن عليًا كان طفلاً محبوبًا في بيته، فقد بذل قصارى جهده في تربيته وتعليمه، علمه الأدب والأخلاق الحسنة، وهداه إلى أسرار الدين، وفتح عيونه نحو علم الغيب" (١).

---

(١) فرهنك إسلامي وتعليمات ديني، سال سوم، دوره‌ء راهنمايي تحصيلي، مرحله ى دوم تعليمات عمومي، ص ٨٨-٨٩.

ويضيف النص: "أئمتنا الأعزاء ومن أجل القيام بمسئوليتهم قضوا أعمارهم في السعي والنضال، وعند انقضاء أعمارهم الشريفة فإنَّهم يسلمون هذه المهمة للإمام الذي بعده، لتتم متابعة النضال، وذلك مع المساعدين المتقين والمؤمنين، وذلك لزعزعة قاعدة حكومة المتغطرسين أعداء الناس لقبول الولاية الإلهية والإطاحة بحكومة الظلم والجور، ومع هذا، وبسبب الأوضاع في المجتمع وتعتيم قلوب وأفكار الناس، فإنَّ الإمام سيدنا علي بن أبي طالب من بين جميع الأئمة كان هو الذي وصل إلى الحكم وحكم لمدة أربع سنوات وتسعة أشهر، وكذلك الإمام الحسن حكم أيضًا فترة قصيرة جدًّا، جميع الأئمة ناضلوا من أجل تأسيس حكومة إسلامية، ومنتهى آمال كل واحد منهم كان إسقاط حكومة الظلم وتأسيس حكومة إسلامية، لتنفيذ الأحكام النورانية الإسلامية وأن يمسكوا قيادة وزمام الحكم وإقامة العدالة[1] ".

يضيف النص: "ما هو النوع، نوع البضاعة موضوع الصفقة؟ أنفس وأموال ووجود المؤمنين، فالمجاهدون في سبيل الله يبايعون الله بأنفسهم، النفس التي وهبها الله لهم يعيدونها إليه، ويضحون بها في سبيله، ويقدمون كل ما يملكون في سبيل المعبود العظيم الواحد الأحد، ويتركون محبة الآخرين، ويتجهون نحو حب منبع النور الإلهي.

ما ثمن هذه الصفقة؟ ثمن الصفقة جنة الله، الجنة وحياة الخلود، ومصاحبة الرسل والأئمة، ومعاشرة الشهداء والصديقين وعباد الله المختارين، جنة الله بكل بهائها ونعمها، لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطرت على بالٍ " [2].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٣-٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٧.

وطن العلم والدين:

أنا أحب وطني إيران هذا وطن العلم والدين أحبك وطني

التربة هنا لها تاريخ من الشهداء أزهار التوليب ولونها من لون الدم

من الشرق تظهر معاني النور وتنير الشمس نور الدين السماوي

بالأمس وقعت أزهار مثل حافظ في سهول وطننا وغداً سوف نزرع أيضا الكثير من الأزهار في هذا الوطن

بالأمس كان مكان ابن سينا وسعدي هنا وغداً وطن للرجال من بعدهم

أنا أحب وطني إيران هذا وطن العلم والدين أحبك وطني

أحبك من التراب الحار في الوند حتى بالقرب من نهر أروند الحار

في زواية وفي كل مكان كوخ لنا وأيضا لنا بيوت في تنب الكبرى وتنب الصغرى

أحبك لذاتك وأحب ترابك الطاهر أحب الثورة وكذلك أحب الوطن

سيد علي موسوي كرمارودي[1]

سيدنا سليمان وقصته مع الملكة بلقيس من خلال درس القصر الزجاجي، وتجسيد صورة النبي سليمان، الملفت وضع هالة من النور على وجه النبي سليمان دون الأنبياء الآخرين اللذين تناولناهم سابقا، مما أثر على توضيح ملامحه بصورة ظاهرة[2].

---

(١) كتاب فارسى، ص ١٧٨.

(٢) عربي، سال سوم، دوره يراهنمايي تحصيلى، جاب دوازدهم، ١٣٨٩، ص ٤.

ونجد قصة أهل الكهف حسب الرؤية الإيرانية من خلال درس " أهل الكهف " عن طريق تجسيد أحداث هذه القصة بالصور النورانية [1].

*** أسطورة تقديس الطاقة في الكتب المدرسية الإيرانية:**

نتيجة للظروف السياسية، الإنسانية، الطبيعية والمناخية التى تسود البيئة الإيرانية تبرز الطاقة واحدةً من أهم عوامل الحياة في الحضارة الفارسية، ويبدو اهتمام الإنسان الإيراني بوسائلها اهتماماً كبيراً يرفعها إلى مستوى مظاهر العقيدة والتقديس، حيث أسهمت وتسهم بشكل واضح في بلورة شخصيته وأسس فكره وحضارته.

أوضح الشهرستاني حقيقة الديانة الزرادشتية، قائلاً: "وبعد أن بلغ زرادشت ثلاثين عامًا، بعثه الله تعالى نبيًا ورسولاً إلى الخلق، فدعا كشتاسب الملك، فأجابه إلى دينه، وكان دينه: عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث، ثم قال بالنور والظلمة، وهما أصلان متضادّان، فيزدان (النور) وأهرمن (الظلمة) هما -في زعمه- مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، والبارئ تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ، ولا يجوز أن يُنسب إليه وجود الظلمة، لكن الخير والشرّ والصلاح والفساد والطهارة والخبث إنما حدثت بامتزاج النور والظلمة والخير والشرّ، ثم يتخلّص الخير إلى عالمه، والشرُّ ينحطُّ إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص، والبارئ تعالى هو الذي مزجهما

(١) عربي، سال سوم، دوره يراهنمايي تحصيلي، جاب دوازد.

هم، ١٣٨٩، ص٥١-٥٤، وقصص آخرى عن النبي سليمان، درس، "حكايتى ديكر " " حكاية آخرى " فارسى بخوانيم، بنجم دبستان، جاب ششم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص ١١٢.

وخلطهما لحكمة رآها في التراكيب، وربما جعل النور أصلاً، وقال: وجوده وجود حقيقي، وأمَّا الظلمة فتبع كالظلِّ بالنسبة إلى الشخص، فإنه يرى أنه موجود، وليس بموجود حقيقة، فأبدع النور وحصل الظلام تبعا[1]".

ومن معتقدات أتباعه أنه يوجد صراع بين إله النور وإله الظلمة؛ لذلك أُطلقت عليهم تسمية ثَنَويَّة، والمؤمنون عندهم واجبهم أن ينصروا إله النور؛ لذلك تشكِّل النار عاملاً رئيساً في عباداتهم، وبيوت النار هي مراكز العبادة والتقديس؛ لذلك توضع النار في موقد حجري مستقرٍّ على أربع قوائم ويوقدها الكاهن نهارًا وليلاً وهم يُلقون فيها كَمِّيَّات من البخور، ويضع الكاهن كِمامة على فمه لئلاً يُدَنِّسَ النار.

انتقلت قدسية النار من الديانة الزرادشتية لدى الإيرانيين إلى فكرهم ووجدانهم بعد دخولهم الإسلام وذلك بشكل لا إرادي خاصة مع توطد مفهوم انبثاق الرسالة السماوية من النار في الفكر الإيراني مع قصة بعثة موسى عليه السلام عندما رأى ناراً وذهب ليأخذ قبسا منها فناداه الله وكلفه بالرسالة وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام والنار.

هناك أساطير كثيرة حول عبادة النار، حيث تنسب عبادة النار إلى هوشنج رابع ملوك إيران الأسطوريين في عهد الدولة البيشدادية، عندما رمى حجراً ليقتل حية رآها في الجبل، فوقع الحجر على صخرة فتولدت النار من احتكاكهما، فما كان من هوشنج إلَّا أن خر ساجداً واتخذ من النار قبلةً له، ثم أقام هذا الملك احتفالاً سنوياً سمي (جشن سده) أو عيد السدق تذكاراً لهذا الاكتشاف[2].

---

(١) الملل والنحل، ج١، ص٢٩.

(٢) ركن الدين هما يونفرخ: سهم إيران در بيدايش وآفرينش خط در جهان ص ٢٧٤.

وقد ورد في الكتاب المقدس للزرادشتيين قول زرادشت: نحن نقدس النار ابنة أهورامزدا، ونثني على هذه النار المقدسة، فيا ابنة أهورامزدا، ويا سبيل الاستقامة، نحن نثني على كل أقسام النار(١).

يحي الإيرانيون «عيد النار» الذي يعود الاحتفال به إلى ما قبل الإسلام، مساء الثلاثاء عشية آخر يوم أربعاء من السنة الإيرانية التى تنتهي في ٢٠ مارس، النار والشمس هما رمزا المجوسية، ولذلك فإن النار مقدسة لكونها تمثيل عن نور أو حكمة اهورامزدا(٢).

ولم يعبد الإيراني القديم النار في صورتها المجردة فحسب، بل عبدها في أشكالها الثلاثة: برق السماء وشعلة نار المعابد ونار موقد الأسرة، وظلت النار في مفهومه ابنة السماء(٣).

يعتقد الزرادشتيون أن الأرض وما عليها من إنسان وحيوان وجماد، كل هذا كان خلقه من النار، فكيف لا يعظمها - والحال كذلك- هؤلاء؟! بل إن الطاقات النارية -على نحو ما يؤمنون- تؤثر في الإنسان إيجاباً وسلباً فيحدث التفاوت والتباين بين الناس، ومن هنا تكمن أسباب تقديس النار عند الزرادشتية فيما يلي:

١- أن النار موغلة في القدم من حيث التقديس والأهمية.

٢- أن زرادشت أمر بتقديس النار وعبادتها، وحافظ على إشعالها وإضرامها دوماً، وإقامة الهياكل لها، حتى أن آخر رمق خرج منه، وآخر نفس خرج من

(١) محمد معين: مزديسنا ٢٥ فقرة ٧.

(٢) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين،، ص١٦٢.

(٣) محمد معين: مزديسنا ص ٢٥ و٣٢.

جسده كان عند هيكل النار، لأن النار ابنة أهورامزدا، وهي من روحه، وهي التي تمد الإنسان بالحياة السعيدة والرّغد من العيش. ولأن كثيراً من المخلوقات خُلق ونشأ من النار، ومن ضمنها الإنسان بل إن روحه مقتبسة من نار الإله المقدسة.

٣- إضافة إلى ذلك -فهم يعتقدون- أن النار تؤثر في فهم الإنسان وذكائه وإدراكه لما حوله، وطهارته. يقول صاحب كتاب الديانة الزرادشتية: تؤثر الطاقتان الناريتان Dara & Khorah في جبهة الإنسان، فتهبه قوة الفهم، والوعي، فيسهل عليه ما يلقنه أستاذه، وتؤثر في مؤخرة الجمجمة فتجعله يكتسب القدرة على قراءة أفكار الآخرين، وفي تلافيف الدماغ يكتسب المرء حدة في الذهن، وذروة الجمجمة يصبح الشخص كامل الطهارة والورع[١]. والورع[١]. فالذي يؤثر في الإنسان من ناحية الفهم وعدمه، والإدراك ونقيضه، والطهارة وضدها، في المعتقد الزرادشتي، هي النار؟!!.

٤- ولعلها لا تحرقهم في الآخرة -إذا قدسوها- كما يعتقدون.

لكن، ما مظاهر هذا التقديس؟! يتضح هذا من خلال حرص الزرادشتيين على الإكثار من بناء هياكل النار، والمحافظة على إشعال النار وإضرامها فيها دائماً، بل حافظوا على وجود النار متأججة في كل بيت من بيوتهم، حتى تتأجج في القلوب قدسيتها وعبادتها، من خلال تأججها في الهياكل والبيوت.

"وكان من هذه النيران المشتعلة في الهياكل في جميع أنحاء إيران ثلاث نيران نظروا إليها نظرة قدسية خاصة؛ الأولى: نار العظمة الربانية التي كانت بهيكل

(١) غانم، الزرادشتية، ص١٧٨-١٧٩.

كابول، والثانية: نار الأبطال، وكانت تشعل في هيكل على جبل أزنوند على سواحل جزيرة أورمية على مقربة من مسقط رأس زرادشت، والثالثة: نار العمال، وكانت تشعل على جبل ربونت بخراسان[1]. كانت هذه الهياكل الثلاثة بنيرانها هي الأكثر قدسية عند الزرادشتيين، الأمر الذي جعلهم إذا أرادوا بناء هيكل أخذوا جزءاً من نيران هذه الهياكل الثلاثة، ووضعوه في الهيكل الجديد، رجاء بركة وتزكية الهيكل الجديد.

ومن هنا "كان من عادات الزرادشتيين إذا أقاموا هيكلاً جديداً للنار أن يحملوا إليه من النواحي كافة شعلات موقدة، فيقتبسوا من كل شعلة ثانية، ومن الثانية ثالثة، وهكذا، حتى يصلوا إلى التاسعة، ويعتقدون أنها قد وصلت إلى أرقى درجات الطهارة والصفاء فيوقدون بها نار الهيكل الجديد"[2]، "ومن النار الأصلية تُتلى التراتيل والترانيم المختلفة لدى إيقاد نار جديدة، وكل ترنيمة من الترانيم تمنح النار خفقاناً جديداً، ولوناً معيناً من خلال المؤثرات الصوتية بكلمات ذات صياغة خاصة... وبعد أن تتطهر هذه النيران المادية وتصبح روحانية ومتحدة مع النيران الأخرى، وهذه النيران الموحدة تسمى Bram، توضع هذه النيران الجديدة التي أصبحت روحية في بيت النار. والطاقة النارية الجديدة تتصل بالطاقات النارية الخمس عشرة السماوية، وهي تجلب السلام والسعادة لأولئك الذين يلمسونها"[3].

فإذا أراد الزرادشتي العادي زيارة هيكل النار، أو الكاهن القائم على إضرامها

---

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٨٨.

(٢) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٨٦، ٨٧.

(٣) غانم، الزرادشتية، ص١٥٠.

-أراد الدخول عليها- أوجبت العقيدة الزرادشتية عليه "أن يتلثم عند اقترابه من النار خشية أن يصل نَفَسُه إليها فيلوثها، وكان عليه أن يتذكر حينما يدنو من هذه القوة الأرضية أن هذا النور الفياض ينبعث من النار، ويملأُ الفضاء الأبدي، ويسير في طريقه حتى يصل إلى القوة العليا"(١).

"وهذه النار المقدسة تحتل وسط غرة خاصة (بها)، وتوضع في موقد حجري مستقر على أربع قوائم، ويوقدها الكهنة نهاراً وليلاً وهم يلقون فيها كميات من البخور ويضع الكاهن كمامة على فمه لئلا يدنس النار ولا يجوز (للكاهن) أن يعطس أو يسعل قريباً من النار المقدسة"(٢).

"ويتقدم الزرادشتيون واحداً واحداً إلى عتبة غرفة النار المقدسة بعد خلع أحذيتهم، وغسل الأجزاء المكشوفة من أجسادهم، ويتلون الصلاة أمامها، وعلى العتبة يتناول الكاهن من كل زرادشتي تقدمته التي هي قبضة من البخور، ومبلغ من المال، ويناوله حفنة رماد صغيرة من الموقد المقدس، يمسح بها جبينه وأجفانه، ثم يعود المؤمن إلى حيث تُرك حذاءه، فيلبسه ويرجع إلى البيت بشعور من التجدد النفسي"(٣).

وجميع هذه الأفعال نابعة من معتقدهم أن النار هي ابنة الإله أهورامزدا، وأرواحهم نبعت من هذه النار المقدسة. وبلغ من تقديس الزرادشتيين للنار أنه إذا مات إنسان أو كلب في دارٍ ما، وجب إخراج النار المقدسة من هذه الدار ففي

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٨٧.

(٢) صعب، الأديان الحية، ص١١٥.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٥.

الفنديداد: "يا خالق عالم الأجساد، يا قدوس، إذا جئنا يا هرمزد إلى منازلنا في عالم الأجساد هذا بالنار، وبعد ذلك مات في الدار كلب أو إنسان، ماذا يفعل عباد مزدا؟! أجاب هرمزد: يُخرجون من هذه الدار النار.. ".

والزرادشتي الذي تنجس بلمس جسد الميت –في معتقدهم- يبتعد عن النار ولا يقترب منها حتى يطهر، ففي الفنديداد: "على أي بعد عن النار.. أجاب هرمزد: على ثلاثين خطوة عن النار. بل بعد تطهيره يبقى منعزلاً عن عباد مزدا حتى تنقضي تسع ليال، وبعدها يستطيع الاقتراب من النار[1]".

والمرأة التي عليها دم الحيض أو سيلان، فإنه لا يحل لها أن تقترب من النار، وهي على حالتها هذه ولتبعد خمس عشر خطوة، ورد في الفنديداد: "يا خالق عالم الأجساد يا قدوس إذا كان في بيت أحد عباد مزدا امرأة عندها سيلان بيض، أو أتاها الحيض، ورأت الدم، على أي بعد عن النار.. أجاب هرمزد: على خمس عشرة خطوة عن النار؛ لأن الزرادشتيين يعدون "النار أكثر العناصر طهارة، فكلها حركة وحياة، وهي تُزيل الظلمة، وتطرد الشياطين"[2].

وعلى هذا، فإن أهم مظاهر تقديس النار –في معتقد الزرادشتيين- من خلال ما سبق هي:

١- الإكثار من بناء هياكل النار والمحافظة عليها موقدة دائماً في الهياكل وفي البيوت، وعند بناء هيكل جديد وإضرام نار فيه، يؤخذ من نيران الهياكل المقدسة الأخرى ليوقد بها نار الهيكل الجديد.

(١) غانم، الزرادشتية، ص١٨١، نقلاً عن الفنيداد.

(٢) حميد، عالم الأديان، ص٢٦٩.

٢- الطهارة والتأدب بآداب خاصة بالغة الأهمية عند الاقتراب من النار المقدسة، والحذر من إصابتها بالنجاسة حتى ولو بالنفس الخارج من الفم أو الأنف، كل هذا لينالوا حفنة الرماد التي يمسحون بها أبدانهم، رجاء بركتها[١].

٣- أنهم جعلوا النار قبلة لهم في صلاتهم ليلاً.

٤- الدار التي مات فيها إنسان أو كلب وفيها نار مقدسة، يخرجون هذه النار من الدار، ولا يدخلونها إلا بعد فترة زمنية مقدرة، والزرادشتي الذي تنجس بلمس الميت -في اعتقادهم- لا يقترب من النار المقدسة، وكذلك المرأة التي عليها دم الحيض أو السيلان.

هذا، وإذا كان زرادشت قد رمز للإله أهورامزدا برمز أرضي وهو النار -كما علم- حتى يقرب حقيقة الذات العليا إلى الأذهان والعقول؛ فإنه قد رمز له -أيضاً- برمز سماوي وهو الشمس، بيد أن هذه النظرة لم تلبث حتى تطورت ووصلت إلى التقديس والعبادة، فكما قدس الزرادشتيون النار وعبدوها، قدسوا الشمس وعبدوها، فقد جاء في الأبستاق "يجب أن تعظم شمس الصباح إلى وقت الظهيرة، وشمس الظهيرة يجب أن تعظم إلى العصر، وشمس العصر يجب أن تعظم حتى المساء.. والذين لا يعظمون الشمس لا تحسب لهم أعمالهم الطيبة في ذلك اليوم"[٢]، ولذا، اتخذوها قبلة لهم في الصلاة نهاراً[٣].

---

(١) غانم، الزرادشتية، ص١٨١.

(٢) ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٢، ص٤٣٣.

(٣) لاحظ مواقيت الشيعة في العبادة، وجمع الصلوات.

* أسطورة الأعياد القومية في الكتب المدرسية الإيرانية:

لمحة تاريخية:

تعتبر الأعياد السنوية أيام الساسانيين -التي يعتبر كتاب البيروني "الآثار الباقية"[1] من المصادر الرئيسية لمعرفتها- أعياداً زراعية تتصل عادة بأعمال للزرّاع، ولما اعترف الدين الرسمي بهذه الأعياد صار الاحتفال بها ذا مراسيم دينية مع احتفالات، سحرية في الأصل ولكنها اختصرت كثيراً إلى مراسم عادية يصحبها كثير من الملاهي الشعبية من كل نوع، ووفقاً للخيال الذي ألِفه الكتّاب في الخرافات الشعبية أصبح معظم هذه الأعياد السنوية متصلاً بالتاريخ الخرافي، هذا العيد قد أقيم تمجيداً لذكر هذه الحادثة التي وقعت أيام ييم (جمشيد) أو أفريدون أو غيرهما من الأبطال الخرافيين.

وتتألف السنة الزرادشتية من اثني عشر شهراً، وهذه الأشهر تحمل أسماء الآلهة الرئيسين، وهي بالترتيب الآتي:

١- فروردين (فروشى ها – الملائكة)
٢- أردوهشيت (اشاو هشتا)
٣- خرداد (هوروتات)
٤- تير (تيشتريا)
٥- مرداد (إمرتات)
٦- شهريور (خشائرا ويريا)
٧- مهر (ميترا)
٨- آبان (أناهيتا)
٩- آذر (آثر)
١٠- دى (أوهرمزد، الخالق)
١١- بهمن (وهو منه)
١٢- إسفند (اسنتا آرميتى)

---

(١) البيروني، الآثار الباقية، ص١٨٤-٢٠٠ فقد فصل ذلك تفصيلاً وافياً.

هناك وجهة نظر أن الأشهر تنسب إلى معابد النار الكبيرة، حيث أصبحت في عهد الساسانيين سبعة هي: اذرمهر، اذرنوش، اذربهرام، اذرخرداد، اتشزردهشت، وأشهرها اذر برزين في إقليم فارس ومنها اتخذ الإيرانيون أسماء لبعض شهورهم مثل شهرى خرداد واذر فضلا عن عدد من الأعياد اوردى بهشتكان وهو اسم الملاك الحارس للنار ويحتفل به في الثالث من شهر اردیبهشت كذلك ليلة عيد النوروز التي يخصصونها لإشعال النار في بداية كل سنة لتحرق شوائب السنة الماضية لبدء عام جديد ثم تحولت في الوقت الحاضر إلى العاب نارية أما الأربعاء السوري (جهارشنبه سوري) فهو احتفال لإشعال النار في ليلة الأربعاء الأخير من السنة لإبعاد النحس والمرض[1].

وكل شهر يعد ثلاثين يوماً، وكل يوم يحمل اسم إله من آلهة الزردشتين، وسبعة الأيام الأول تحمل اسم أوهرمزد والستة أمهر سندات (جميع أمهر سند). ويضاف إلى هذه الأيام الثلاثمائة والستين خمسة أيام إضافية أو مسترقة، توضع في نهاية الشهر الأخير من السنة وتحمل أسماء الكاتات (جميع كاتا) الخمسة.

والأعياد الموسمية ستة تسمى كهانبارات (جميع كهانبار) وكل منها يستمر خمسة أيام. وفي أثنائها تُنحر الخراف وفقاً للمراسيم المعينة وذلك في احتفالات خاصة. وها هي الأسماء الأوستية لهذه الأعياد:

١-ميذيوى زرميه (في شهر أرديبهشت)
٢- ميذيوي شام (في شهر تير)
٣- بايتيسش ههيه (في شهريور)
٤- أياثريمه (في شهر مهر)
٥- ميذياى ريه (في شهر دى)
٦- همس بثمائديه

(١) محمد معين، مزديسنا، ص ٢١٧.

والكهانبار السادس، همس بثمائديه، الذي يشمل الأيام الخمسة المسترقة كان في الأصل عيد الموتى. وكان يستمر في الأزمنة القديمة عشرة أيام بلياليها، وقد قيل في اليشت الثالث عشر من الأوستا التي بأيدينا (فروردين يشت ٤٩ – ٥٢) أنه في أثناء عيد (الهمس بثمائديه) تقترب أرواح المؤمنين (فروشى ها) من مساكن الصالحين مدة عشر ليالي متوالية، طالبة الصدقة والقرابين، ومن أجل ذلك سمي "يوم الموتى" هذا باسم فروردیكان أو عيد الأرواح (فروشي ها). يقول البيروني[1] وفي أيام هذا العيد "كانوا يضعون الأطعمة في نواويس الموتى (دخمات) والأشربة على ظهور البيوت ويزعمون أن أرواح موتاهم تخرج في هذه الأيام من موضع ثوابها وعقابها فتأتيها وتنشق قوتها وترشف طعومها، ويدخنون بيوتهم بالراسن ليستلذ الموتى برائحته"[2].

وهكذا، في أيام يزدجرد الأول (٣٩٩ – ٤٢٠) أضيف شهران بعد شهر آبان. ومنذ ذلك الوقت جروا على وضع الأيام الخمسة المسترقة بين شهري آبهان وآذر؛ ولكنهم أهملوا إضافة الشهرين حين آن أوان إضافتهما في المدة التالية[3].

التقويم الفارسي:

وقد أصبح جلياً من الأبحاث التي قام بها كل من جوتشمد ونولدكه أنه وحّد أيام الساسانيين نوعان من التقويم، الأول ديني، وقد روعي فيه أن يكون بدء السنة قريباً من ابتداء الربيع، والثاني مدني، وهذا التقويم لا يكبس بل إنه استبدل الأيام الخمسة المسترقة بشهر كامل، فصار اليوم الأول من السنة لا يقع

(١) المصدر نفسه، ص١٩٥.

(٢) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص١٥٩ – ١٦٠.

(٣) البيروني، الآثار الباقية، ص١٩٣.

في الوقت نفسه إلا بعد ١٤٤٠ سنة = (١٢×١٢٠) وقد حدد يوم ارتقاء الملوك الساسانيين وفقاً لهذا التقويم[١].

* التقويم الفارسي في الكتب المدرسية الإيرانية:

في هذه الفقرة تظهر النزعة الفارسية على حساب التوجُّه الإسلامي الذي يحاول النصّ الترويج له حسب الفهم الإيراني للإسلام، فقد حاولت الفقرة إظهار قوة الفرس وأنَّهم استطاعوا في البداية هزيمة المسلمين.

ويظهر ذلك واضحًا من خلال صيغة السؤال الذي أدرج في نهاية الفقرة: ما هي أسباب هزيمة الساسانيين من قبل المسلمين؟

يضيف النص نشاطًا فحواه:

> هل تعرف من قام بتحديد التاريخ الهجري
>
> في عهد خلافة عمر توسعت الأقاليم الإسلامية وزاد عددهم، وتوسعت الأمور الإدارية والمالية، لهذه الأسباب رأى الإمام على عليه السلام أن تكون السنة التي هاجر فيها الرسول هي بداية التاريخ الإسلامي وأن تثبت بشكل دائم[٢].

(١) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص١٦١.

(٢) تاريخ، سال دوم، دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرحله دوم تعليمات عموى، شركت جاب ونشر كتاب هاي درسي إيران، ١٣٨٩، ص ١٥.

تحليل النص:

في هذا النص خطأ تاريخي واضح وهو أنَّ الذي وضع التقويم الهجري هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو مخالف لما أجمعت عليه جميع كتب التاريخ المعتبرة حول أوَّل من اتخذ التاريخ الهجري والأسباب التي كانت وراء ذلك. ونُورِد تفاصيل ذلك ممَّا أورده ابن كثير في هذه المسألة، حيث قال[1]: "اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ستّ عشرة وقيل سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع إليه صكّ، أي حجة لرجل على آخر، وفيه إنه يحلّ عليه في شعبان، فقال عمر: أي شعبان أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك، فقال قائل: أرِّخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك- وكانت الفرس يؤرِّخون بملكوهم واحدًا بعد واحد- وقال قائل: أرِّخوا بتاريخ الروم- وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فلبس المقدوني- فكره ذلك. وقال آخرون: أرِّخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال آخرون: بل بِمَبْعَثِه. وقال آخرون: بل بهجرته. وقال آخرون: بل بوفاته عليه السلام. فمال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره. واتفقوا معه على ذلك.

وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه قال: استشار عمر في التاريخ، فاجمعوا على الهجرة. وقال أبو داود الطيالسي عن قرة بن خالد السدوسي عن محمد بن سيرين قال: قام رجل إلى عمر فقال: أرِّخوا. فقال: ما أرِّخوا؟. فقال:

---

(١) البداية والنهاية، ج٧، ص١٨١، وانظر كذلك ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص٢٢٤.

شيء تفعله الأعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر: حسن. فأرخوا. فقالوا: من أيّ السنين نبدأ؟. فقالوا: من مبعثه. وقالوا: من وفاته. ثم أجمعوا على الهجرة، ثم قالوا: وأي الشهور نبدأ؟. قالوا: رمضان، ثم قالوا:المحرم؛ فهو مصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام، فاجتمعوا على المحرم[1].

وقال ابن جرير[2]: حدثنا قتيبة، ثنا نوح بن قيس الطائي، عن عثمان بن محصن، أنَّ ابن عباس كان يقول في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ هو المحرم فجر السنة. وروَى عن عبيد بن عمير قال: إنَّ المحرم شهر الله وهو رأس السنة، يكسى البيت، ويؤرّخ به الناس، ويضرب فيه الورق[3].

الأشهر الإيرانية:

يستعرض درس " دوازده برادر" " الإخوة الإثنا عشر " الأشهر الإيرانية على شكل قصة حتى تبقى حاضرة في أذهان الشعب الإيراني منذ الصغر[4].

إبراز عنصر التفرد، التميز، أمة مختلفة عن غيرها.

(١) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٩.

(٤) فارسى بخوانيم، دوم دبستان، جاب يزدهم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص١٢٨-١٣١.

ما ارتبط بالأعياد القومية من أساطير:

* أسطورة النار وما ارتبط بها من خرافات :

كما ذكرنا سابقا تطور الاحتفال بمراسيم الاحتفال برأس السنة في العراق نفسه حيث تزامن ذلك مع مفهوم البكاء عند البابليين إلى الإله مردوك في اليوم السابع من نيسان، وذلك أثناء احتفالاتهم بأعياد رأس السنة التي كانت تستغرق اثنى عشر يوما تبدأ بأول نيسان. وكانت هذه الاحتفالات في هذا اليوم تتمثل في " دراما محزنة لموت الإله مردوك وصعوده إلى السماء"، فالإله يُجرح في مثل هذا اليوم ويموت ويبحث الناس عنه في كل مكان مولولين وناحبين[١]. لكن عندما تأتي عربة مردوك تأتي للجماهير فارغة دليلاً على موت الإله تموز أو (مردوك) فيتعالى صوت النواح والبكاء في مواساة الربة عشتار على فقد حبيبها.. في اليوم العاشر[٢].

يحتفل الإيرانيون على مدار العام بأعياد مختلفة، وقد وضعوا لها طقوساً وتقاليد اجتماعية تختلف بين موطن وموطن وتتفق في كونها تعبيراً عن تعظيم الحدث المرتبط بهذه المناسبة.

من هذه الأعياد ما هو مرتبط بالتقويم الشمسي، وهي الأعياد والاحتفالات القديمة التي وُجدت قبل الإسلام، كعيد النوروز.

---

(١) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج٢، ص٣٩. نقلا عن أكيتو أو أعياد رأس السنة البابلية لمحمود الأمين.

(٢) وكذلك يفعل الشيعة حينما يأتي (جواد) الحسين خاليا من فارسه ملطخا هامته بدمه فيهيج الشيعة مواساة لزينب وهي ترى هذا المشهد الأليم.

عيد النوروز هو من أشهر الأعياد الفارسية القديمة قبل الإسلام، كما أنه من أهم الأعياد الوطنية الفارسية على الإطلاق حيث اعتبر عيداً قومياً منذ ظهور الإمبراطورية الإيرانية الأولى، وتلك حقبة طويلة من الزمن لا تقل عن ثلاثين قرناً، وهذا يعنى أنه أقدم الأعياد التي عاشت على مر العصور، دون أن تنال منه أيادى الزمن، أو تطغى عليه عوامل النسيان، حتى في تلك السنوات التي مرت فيها إيران بأزمات سياسية عصبية في الحكم، وقد حيكت أساطير كثيرة حول سبب ووقت اتخاذ هذا العيد، كما أن له أداباً وطقوساً خاصة به.

و نوروز اسمٌ مركبٌ من (نو) بمعنى (جديد)، و(روز) بمعنى يوم، أى اليوم الذي تبدأ به السنة الجديدة. وهو بداية فصل الربيع، وأول أيام شهر (فروردين): أول شهور السنة الإيرانية الشمسية.

أما في الاصطلاح: فتطلق على عيد رأس السنة الفارسية الذي يقع في اليوم الأول من شهر "فروردين" الموافق: الواحد والعشرين من شهر مارس " آذار"، أي بداية فصل الربيع.

ويعرف في الأدب باسم "جشن فروردين" وأحياناً باسم " جشن بهار " أو " بهار جشن "، وأكثر ما يسمى باسم "النوروز".

ولعل هذا العيد هو العيد الوحيد الذي يُجمع الإيرانيون بجميع طوائفهم ومذاهبهم وعقائدهم الفكرية والسياسية على الاحتفال به، وهذا العيد يمتد – على المستوى الشعبي – ثلاثة عشر يوما، ويمتد على المستوى الرسمي – أسبوعاً.

ولعيد النوروز مقدمة هي عيد: (جهاز شنبه سوري) وخاتمه هي عيد "سيزده بدر" وجهاز شنبه سوري: اسمٌ مركبٌ، الاحتفالات والمراسم يقيمها الإيرانيون في ليلة الأربعاء الأخير من السنة الشمسية. وعادات الشعب الإيراني

وتقاليده في عيد جهاز شنبه سوري عديدة، وأهمها: عادة إيقاد النيران، والقفز فوقها. والمثير هنا انتقال النشاط الصفى من الكتابة والبيان إلى التنفيذ والميدان؛ حيث يطلب من الطلاب القفز فوق النار حقيقةً وفعلاً تحت ذريعة معرفة الثرات الشعبى الإيرانى والوقوف على تفاصيله ! وقد اعترف لنا بذلك أحد المعلمين الإيرانيين شفاهة.

ماذا ارتبط بعيد النوروز من خرافات وأساطير؟

من خلال معايشتنا للواقع الإيراني عن قرب كنا نلاحظ إيمان الشعب الإيراني بالأساطير التالية التي كانوا يمارسونها، وكانوا يشددون الحرص على تجسيدها سلوكاً من ناحية الحياة العامة، أما من خلال الكتب المدرسية والمنهاج فكانت المدارس الإيرانية ولا زالت تذكي عملية تجسيد طقوس هذه الأعياد وتقاليدها من خلال السلوك المدرسي والنشاطات الصفية أكثر من الحديث عنها في الكتب المدرسية، وإفراد حصص ودروس متخصصة من جانب معلمي المدارس الإيرانية للحديث عن عيد النوروز، وطقوسه، مغازيه وأهدافه، وتعظيم مظاهره من خلال الأنشطة اللامنهجية لطلبة المدارس بشكل كبير، ومحاولة جعل مظاهر هذا العيد ماثلةً بحيث تنعكس واقعاً على المدارس الإيرانية التي تزدان بمظاهر هذا العيد، ويطلب من الطلاب في المدارس كتابة مواضيع الإنشاء حول عادات هذا العيد وطقوسه، وما يقوم به كل طالب من تقاليد وممارساتٍ في بيته، وعرضها أمام الطلبة، ثم يقوم الطلبة بالانخراط والمشاركة في الحديث، وتفعيل الحوار الصفي. هذه الجوانب عايشنا طقوسها على أرض الواقع من خلال انخراطنا بشكل مباشر في الحياة الإيرانية، وزيارتنا للمدارس الإيرانية، والاحتكاك بأعضاء الهيئة التدريسية العاملين في المدارس الإيرانية.

* أسطورة الزراعة والخضرة رمزاً جديداً للحياة:

يستعد الإيرانيون لهذا العيد استعداداً خاصاً فتقوم كل أسرة بزراعة بعض الحبوب قبل موعد النوروز بنحو أسبوعين، حتى تكون عيدانها الصغيرة شاهدة على قدوم الربيع. فيقوم الإيرانيون بوضع الحبوب المراد إنباتها كالقمح والشعير في الوعاء المعد لذلك، ثم يضعون عليها قطعة من القماش الأبيض ويرشون عليها الماء كل يوم بشكل منتظم، وبعد حدوث الإنبات لا يلمسونه حتى تخضر الحبوب بعد عدة أيام، كما أنهم يزرعون بعض أنواع الورد كالنرجس حتى يحصلون على زهورها أثناء العيد ابتهاجا به. ويقوم كثير من الطلبة في المدارس الإيرانية بإحضار الوعاء الأخضر ووضعه في الصفوف المدرسية.

رش الماء في عيد النوروز:

* خرافة تقديس الماء:

للماء في حياة الأحياء، فإنه لا ينبغي أن تصرف إليه الأنظار على أن الزرادشتيين يؤمنون بقداسة الماء، ولذلك فهم "لم يقربوه إلا للشرب، وريِّ الأرض، ولم يستخدموه في غسل الأشياء القذرة[1]"، ففي الفنديداد: "إذا كان على الثوب مني أو دم أو نجس أو قيء، يمزقه عباد مزدا، ويدفنونه، وهم لا يغسلونه بالماء الطاهر حتى لا ينجس، وأين يدفنونه؟ هل في التراب الطاهر في اعتقادهم؟ ولم أجيز دفن الثوب النجس في التراب، ولم يجز غسله بالماء، مع أن التراب والماء طاهران[2]".

---

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٨٨.

(٢) غانم، الزرادشتية، ص١٨٤.

كذلك، لا يستطيعون أن يلقوا بجثة الميت في الماء المقدس حتى لا يتدنس الماء. بل من وجد جثة ميت ملقاة في البحر، وجب عليه أن يخلع نعله، وينزع ثيابه، ويخرج هذه الجثة حتى ولو تفسخت، وتفتَّتت، وعندما سأل زرادشت أهورامزدا عمن رأى جثة ميت في الماء ماذا يفعل؟ أجابه قائلاً: "يخلعون نعالهم وينزعون ثيابهم، وبينما ينتظر سائرهم يا زرادشت يدخل أحدهم النهر وينتشل الجثة.. "[1].

وإذا أراد الزرادشتي تطهير الماء فإنه ينشد بعض الكلمات التي علّمها أهورامزدا -كما يعتقدون- نبيَّه زرادشت، وذلك حين سأله كيف يطهر الماء فقال: "إذا أردت تطهير المياه فأنشد جهراً هذه الكلمات تُقرب لنسق النباتات، لمياه أنهر الجبال، لمياه المطر. ومن هنا، أضحى الماء عند الزرادشتيين موسماً بالقداسة، وتلك أهم مظاهر تقديسه[2].

*** خرافة تقديس التراب:**

كما قدس الزرادشتيون النار والشمس قدسوا بقية العناصر الأربعة، يقول صاحب كتاب زرادشت الحكيم: "ولم يقف الزرادشتيون عند تقديس الشمس والنار؛ بل إنهم كانوا يقدِّسون سائر العناصر الأربعة وهي: التراب والماء والهواء؛ وقد قدَّس الزرادشتيون التراب لأنه مصدر أقوات الناس[3]. كما يعتقدون، فالأرض، التي منها التراب، هي مصدر أقوات الناس، ومن ثم أوصى زرادشت

---

(١) المرجع نفسه، ص١٨٤.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٥.

(٣) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٨٨.

بالأرض خيراً، وحث على الزراعة، ولذلك يسأل زرادشت أهورامزدا –كما في الفنديداد: "من هو في الدرجة الرابعة الرجل الذي يُفرح الأرض أعظم فرحاً؟

أجاب هرمزدا: هو الذي يزرع أكثر من الحنطة والعشب والأشجار المثمرة، يا أسبيتاما زرادشت: الذي يجلب الماء إلى أرض ليس فيها ماء، ويجر الماء من مكان يكثر فيه.. إن الذي يشتغل في الأرض.. تأتيه الأرض بأنواع الثمر، مثلها كمثل الزوج المحبوب إذا نام على فراشه مع زوجته المحبوبة، الأولى تحمل ثمراً، والأخرى ولداً. ومن هنا كان للعناية بالأرض والزراعة أهمية كبيرة في الزرادشتية، فقدسوا التراب، وبدا ذلك في عقيدتهم، ومن أهم مظاهر تقديسهم للتراب ما يلي:

أ- أن من يمس جسد ميت فإنه ينجس، وبالتالي يحرم عليه الاقتراب من النار والماء والتراب، ويعزل نفسه في محل الاعتزال داخل المنزل تسع ليال يغسل جسمه ويغسل ثيابه، ويطهر ببول ثور وبالماء.

ب- وأن من يمت فإنه لا يدفن في التراب، إذ أن الجثة نجسة –في اعتقادهم- والتراب طاهر ومقدس، فلا توضع الجثة النجسة بداخل التراب الطاهر ويهال عليها هذا التراب المقدس، لكن توضع في أبراج تسمى بأبراج الصمت.

ولذا، فإنهم يعتقدون أن الأرض التي تدفن فيها جثة إنسان تحزن حزناً شديداً، وهنا –في الفنديداد- يسأل زرادشت أهورامزدا. ويقول: "ما هو ثاني مكان تحزن فيه الأرض أكثر؟ أجاب هرمزد: هو المكان الذي دفن فيه ناس موتى، فالذي يحزن الأرض –أو مكان ما- زوجه مومس وولده في طريق السّبي، أما فرح

الأرض فيكون بخلاف ذلك، وحين سأل زرادشت أهورامزدا عن هذا، أجابه: "هو الذي يخرج منها أكبر عدد من جثث الناس"(١).

* خرافة الخروج من المنازل، وفتح النوافذ:

تقديس الهواء:

ينطلق الفرس في تقديس الهواء من خلال أن للهواء ملكين، أو بالأحرى ملكاً في مقابلته شيطان -كما ذكر سابقاً-: الأول خيِّر والآخر شرير، فهم يقدسون الهواء رغبة في انتصار ملك الهواء الخيِّر على ملك الهواء الشرير عساه أن يسوقه إلى الجنة -كما يعتقدون.

هذا، ومن خلال تقديس الزرادشتيين للعناصر الأربعة السابقة، فإنهم ينظرون "إلى أربعة أمكنة أو أوساط اجتماعية نظرة ملؤها الاحترام والتقديس الأول: الهيكل مع ما فيه من نار مقدسة، الثاني: هو المنزل مع ما فيه من أولاد ومواقد للنار، والثالث: الأرض التي تخرج الحب والفاكهة، والرابع: الأرض الجافة التي يجب أن تروى وتستغل، فهذه الأماكن الأربعة نابعة من نظرتهم إلى العناصر الأربعة، ومعتقدهم فيها أنها مقدسة، ومن خلال تعاليم زرادشت الاجتماعية التي تُرغِّب في الزواج والإكثار من النسل، ويا حبذا لو اجتمعت هذه الأماكن الأربعة -أو بعضها- في أيريانافيجو -أو بلاد إيران عامة- حيث مهد الدعوة الزرادشتية، بل هو أفضل الأماكن عند أهورامزدا نفسه -كما يعتقد الزرادشتيون- ولذا، ففي الفنديداد يقول أهورامزدا: "فلو لم أجعل يا

(١) غانم، الزرادشتية، ص١٨٣، نقلاً عن الفنديداد الفصل ٣، ص٤٢، ٤٣، ٤٥.

أسبيتاما زرادشت كل مكان يُعجب أبناءه، ولو أن الراحة فيه قليلة، لذهب البشر بأجمعه إلى أيريانم فائه جو"(١).

*** الهروب من المنزل في اليوم الثالث عشر من شهر فروردين:**

التطير والتشاؤم:

يعتبر الإيرانيون اليوم الثالث عشر من السنة الإيرانية الجديدة يوم نحس كما يعتبرون يوم الأربعاء يوم شؤم ونحس، ويظهر ذلك من خلال عيد "سيزده بدر"، اسم مركب معناه الاصطلاحي: الثالث عشر، موعده هو: اليوم الثالث عشر من شهر "فروردين" من كل عام، حيث يغادر المواطنون منازلهم في هذا اليوم، ولو لدقائق معدودات، ظناً منهم أنه يوم مشؤوم، وأن خروجهم من منازلهم يطرد الشؤم خارجها. وهم يتوجهون إلى الحدائق والمتنزهات، ويقضون الوقت في اللهو والمرح. ولا يستحب الزواج أوإقامة أية مناسبة سعيدة في هذا اليوم على الإطلاق.

*** كسر الأواني الفخارية " التراب "القديمة، وارتباط ذلك مع غروب الشمس:**

يُعد كسر الأواني من التقاليد المتبعة في هذه الليلة، حيث يتخلصون من كل وسائل الحياة القديمة عن طريق كسر هذه الأواني، معتقدين أن المحن والرزايا قد ازدادت وتكدست عبر العام في هذه الأواني، وأن كسرها سوف يرفعه. وتتم هذه المراسم عند غروب الشمس، حيث تحمل العائلة وعاءً ويقوم كل فرد من أفرادها بإلقاء حجر في هذا الوعاء، ثم يرمونه من فوق سطح المنزل، ويرددون

---

(١) المرجع نفسه، ص١٨٥.

عند إلقائها: " اذهب يا وجعي داخل الإناء، اذهب بعيدا عني ". وقد شاهدنا أنهم يضعون الماء في إناء من الفخار وعند غروب الشمس يلقونه من فوق المنزل، ويطلبون عدم الالتفات أو النظر للخلف عند ذلك حتى لا تعود المحن مرة أخرى.

*** طرق الأواني بالمعالق (قاشق زنى):**

من المراسم والتقاليد الخاصة بهذه الليلة عادة الطرق بالقاشق "المعلقة "، فيذهب كل من له صاحب حاجة، أو مريض على باب أحد من جيرانه وهو يحمل معه وعاءً وملعقة، ثم يطرق على الوعاء بالمعلقة دون أن يتكلم بكلمة واحدة، فيقوم الجار بوضع المال أو الطعام في هذا الإناء، فيعطى هذا الطعام للمريض، أو يشتري بالنقود طعاماً للمريض.

*** الشعوذة وقراءة الحظ** (فالكوش):

يتطلب من كل أسرة أن تقوم بإعداد مائدة مكونة من سبعة أنواع من الفواكه المجففة وهي عبارة عن مائدة "الهفت سين" وتضم هذه المائدة سبعة أنواع من أصناف الطعام، (التين - الزبيب - التمر -التوت المجففة - البندق - الفستق- اللوز)، وسبعة أخرى تبدأ بحرف الميم وتسمى " الهفت ميم" وهي عبارة عن: (سبزي=الخضروات – سيب= التفاح- سركه= الخل – سنجد= الغبيراء- سماق= السماق- سير= الثوم- سمنو= نوع من الحلوى) ويوضع هذا النقل على مائدة "جهر شنبه سورى"باسم"هفت امشاسيندان" (الملائكة السبعة)، ويتطلب أن يتناول منه كل فرد من أفراد الأسرة بنية الصحة والحظ والنصيب الجيد.

وبعد إعداد المائدة، يظل الجميع في صمت وانتظار إيذاناً برحيل العام واستقبال عام آخر جديد.

أما التصنت للحظ أو ما يعرف في إيران فالكوش ففي ليلة الأربعاء الأخيرة في السنة المنصرمة، يقف أفراد العائلة خلف أبواب المنازل ويتصنتون، فإذا كان حديث المارة، أو من يسكنون تلك البيوت كلاماً حسناً يحمل في طياته الفرح، اعتبروه فألاً حسناً إلى العام القادم، أما اذا كان سيئا فهم يؤمنون به أيضا.

ومن وسائل قراءة الحظ كذلك: ملاحقة الأم لابنتها وقت الغروب وهي ممسكة بقطعة من الخشب شبه محترقة من موقد نيران تلك الليلة، فتخرج البنت من المنزل وتلاحقها أمها إلى أن تدخل البنت من جهة القبلة، وبمجرد دخول البنت إلى المنزل، تكف الأم عن ملاحقتها، ثم تعود لمنزلها.

* تقديس النار:

لاحظ كيفية انتقال هذه الفكرة وتجسيدها من خلال عيد النوروز ومراسم القفز على النار والدعاء، "تقول المصادر الفارسية: الصلاة لك أيتها النار، الشباب ينتقى لحراستك، والعلماء لرعايتك، لتظلى مضيئة حتى القيامة العظمى، امنحينى الراحة والهدوء، والرزق والحياة المطمئنة والعمر المديد والتقوى الكاملة واللسان الحسن والدين والعلم والشجاعة والقوة واليقظة والفطنة" (١).

كيف انتقلت هذه الأفكار من خلال عيد النوروز:

هناك عادات كثيرة خاصة لليلة النوروز ومن أهمها: إيقاد النيران (آتش افروزى): وهي أقدم العادات جميعا، حيث جرت العادة أن تجتمع الأسرة مساء هذا اليوم حول النيران المشتعلة، ثم يقفز فوقها الواحد .تلو الآخر ويخاطبون النار بقولهم:

---

(١) موبد اردشير، اذر كشتاسب خرداوستا ص١٠٢-١٠٩.

خذي مني علتي ومرضى وامنحيني بهاءك وقوتك.

ويجب ترك هذه النار حتى تنطفئ بنفسها، حيث إنهم يتطيرون من تعمد إطفاء النار. وبعد أن تنطفئ، يقوم شخص من أفراد الأسرة بجمع مخلفات تلك النار وإخراجها من المنزل. ولا يجوز تحت أي ظرف أن يطفئ أحد النار لأنه ستحل اللعنة والويل على الأسرة.

قديماً لاحظ الإيرانيون في النار ملاحظات جعلتهم يعتبرونها رمزاً للإله، سواء من ناحية الإشراق والضياء، أم باعتبارها قوة نافعة نقية مطهرة، نشطة في استعارها وتوقدها، غير قابلة للفساد، وقد أكد زرادشت نبي الإيرانيين القدماء على قدسية النار وطالب أتباعه أن يحافظوا عليها متقدة في صدورهم ومعابدهم، وأن يمتنعوا عن إحراق الموتى فيها [١].

النظافة الترتيب:

يقوم الإيرانيون بالاغتسال والتطيب وارتداء الملابس الجديدة ابتهاجا بالعام الجديد

أما ربة البيت فعليها واجب آخر، فهي تقوم بإعادة تنسيق منزلها وتجديد أثاثه وتزيين حجراته، حتى يبدو في منظر جميل يأخذ بالنفس ويشيع فيها البهجة والمسرة، كما تجمله بمختلف الورود والزهور، وتقوم بإعداد الحلوى والطعام والفاكهة، حيث اعتقدوا أن أرواح الموتى تأتي يوم العيد وتنظر للبيت وللمائدة " الهفت سين " وعلى الأطعمة الموجودة عليها، كما تتناول شيئاً من هذه

---

(١) محمد تقي خان حكيم، كنج دانش، ص ٣٧٥.

الأطعمة. وكلما كان المنزل نظيفاً ومرتباً، كلما سعدت تلك الأرواح ودعت بالخير والبركة لأهل المنزل، وباركت لهم. أما إذا كانت غير ذلك، لعنت أهله ورجعت لأماكنها مهمومة وظلت كذلك إلى العام القادم.

ومن التقاليد المرعية في هذا العيد، قيام رب الأسرة بشراء الملابس الجديدة لأسرته، وبر أصدقائه وأهله، ويساعد الفقراء كي يسرهم في هذا اليوم بما يقدمه لهم ولذويهم من طعام وثياب.

*** النوروز في الكتب المدرسية الإيرانية:**

تتحدث الكتب الإيرانية بتعمق عن عيد النوروز، وتبدأ بتلقين الطلبة عن العيد، آدابه ورسومه... منذ نعومة أظفارهم ؛ خصوصا حول تاريخ هذا العيد الذي يعود إلى ألفي عام، ويقول الدرس أن كثيرا من شعوب العالم القديمة كانت تحتفل به، ويستعرض الدرس أهمية هذا العيد، توقيته، ومراسمه... وترسم صورة هذا العيد من خلال صورة القرآن، الحلوى، الفاكهة، المرآة، الشمع " النار"... وتقوم المدارس الإيرانية كافة بتعليم الطلبة طقوس هذا العيد ، وكيفية ممارساتها ، غايات هذه الطقوس ، والاسهاب في شرح أهدافها.....

غرس القيم القومية والمذهبية من خلال عيد النوروز:

تحاول كتب الأدب الفارسي ترسيخ المفاهيم المتعلقة بالنوروز، من حيث تاريخ العيد وقدمه، أسباب ظهوره واستمراره، العادات والتقاليد ومراسم هذا العيد [1].

---

(١) درس " در سبب عيد نوروز " أسباب عيد النيروز " در آمدى بر نثرفارسى ""مقدمة في النثرالفارسي "، ادبيات فارسى، سال سوم متوسطه، جاب جهاردهم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهاى درسى ايران، ١٣٨٩، ص٦٢-٦٤.

تقول الكتب المدرسية: قصيدة الربيع للشاعر الفذ والمفكر رودكي سمرقند توفي سنة ٣٢٩ شاعر كبير من العصر الساماني ويعتبر أبو الشعر الفارسي.

يصف الشاعر في هذه القصيدة أحد مظاهر الإبداع الإلهي، لغة القصيدة لغة سهلةٌ وسلسة وبسيطة، وهي من النماذج البسيطة لخراسان، يصف رودكي في هذه القصيدة الطبيعة ويسعى إلى أن يكون قريباً من الطبيعة ويصورها بشكلها الجميل، هذا الوصف الجميل للطبيعة أدى إلى اشتهار رودكي بالضرير، وعقيدة أصحاب هذه النظرية أن رودكي أصبح فيما بعد ضريراً، نقرأ معاً مقتطفاتٍ من هذه القصيدة.

قصيدة الربيع:

١- جاء الربيع بالثمار والألوان والروائح الجميلة مع آلافٍ من الزينة العجيبة.

٢- مثل عجلات عربة الجند الكبيرة، عاد من خلف الغيوم السوداء.

٣- هذه الغيوم ستذهب وتصرخ مثل رجل حزين، والرعد سوف ينوح مثل عاشق كئيب.

٤- الشمس تتنفس من تحت الغيوم السوداء لأنها سوف تتخلص من الحصار.

٥- عاني العالم عدة أيام، ليحصل على الراحة الطيبة لرائحة السمن.

٦- أيها المطر الجديد براحة المسك، وسأصنع لنفسي حلةً من الثلج الكثيف.

٧- وزهور اللالة نمت بين السهول، مثل أصابع العروس المخضبة بالحناء.

٨- البلابل تغرد معاً أغصان الأزهار والعصفور يرد عليه من فوق شجرة السرو(١).

---

(١) فارسى بخوانيم، سوم دبستان، مرجع سابق، ص ١٨٢.

أبيات من بابا طاهر:

يقول النص: يا رب الحقنا في بستان الزهور، حتى ولو في المنام، الجميع يضحك، قلوبنا تنزف دماً، نحن ننوح في السهول، عيوننا تقتلها نوافير الماء، هم قالوا وهم صرخوا إنه ينبغي أن نُقتل في هذه البراري، وعلى قول البستنجي لن يكون هناك عذر من أن تنمو شجرة الصداقة، إلهي نار الحب أحرقتني ووصل شرارها إلى عظمي، مثل شمعة على نار العشق وفراشتها تطير على قلبي مثل فراشة تطير فوق النيران [1].

*أسطورة تقديس الكواكب والنجوم في الكتب المدرسية الإيرانية:

لمحة تاريخية:

عبد الإيرانيون القدماء الشمس والقمر والرعد فقد كان أكبر الآلهة في الدين المجوسي السابق للزادشتية مترا إله الشمس[2]. كانت هناك حرمة عظيمة للشمس في الديانات الفارسية، فيزدجرد يقسم بالشمس الإله الأعلى الذي ينير الدنيا بأشعته، والذي يدفئ بحرارته المخلوقات جميعا. وفي مناسبات أخرى كانوا يهبون الخلع في عبادة الشمس، وذلك بتقديم القرابين وبجميع مراسيم المجوسية، وكان على المغان أن يأمروا بعبادة الشمس. ويرى كرستنسن أن الشمس التي كان يعبدها الفرس ليست" خور" ولكنها مهر، ميترا اليشتات. وميترا هذا هو إله العقد ونور الصباح الذي عرفه البابليون بشمس. يصرح بذلك على لسان صاحب خلوة ملك فارس:" إنه لا سلطان لك لترفض عبادة الشمس التي تضيء

(١) ادبيات فارسى، سال سوم متوسطه، مرجع سابق، ص ١٤٨.

(٢) ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٢، ص٤٢٥.

بنورها الكون كله، والتي تنضج بحرارتها غذاء الناس والحيوان، والتي سميت بالآلة مهر"[1].

ودامت عبادة الشمس إلى أن ظهرت الزرادشتية، فتقلصت، لكنها لم تتلاشى، فعادت إلى الانتعاش بعد زرادشت حتى ذكرت في الأسفار المقدسة الزرادشتية[2].

اشتهر الفرس بأنهم ميَّالون إلى عبادة المظاهر الطبيعية، فالسماء الصافية والضوء والنار والهواء والماء ينزل من السماء كل هذا جذب أنظارهم وعبدوها على أنها كائنات إلهية[3].

قدس الزرادشتيون العناصر الأربعة والشمس، وتعلق هذا التقديس أحياناً بالعقيدة، وأحياناً أخرى بالشريعة.

يقدس الزرادشتيون النار على أنها ليست رمزاً للإله فقط، بل على أنها ابنة الإله أهورامزدا، والشمس على أنها هي روح الإله؛ يقول صاحب كتاب ميثولوجيا وأساطير الشعوب: "تعتبر الشمس روح أهورامزدا، وتمثل النار القوة العليا له، وهي قوة مهلكة لا يمكن أن يصلها الفساد"[4].

وهكذا قدس الزرادشتيون النار والشمس، بل توجهوا إلى كلٍ منهما بالعبادة، في دعائهم وتضرعهم أمامها، وحرصوا على ممارسة بعض العادات والتقاليد قبل الدخول عليها وعند الوقوف أمامها.

---

(١) إيران في عهد الساسانيين، ص١٣٢-١٣٣.

(٢) بيومي، جذور الفكر المادي، ص١٣٨؛ غانم، الزرادشتية، ص٤١.

(٣) غانم، الزرادشتية، ص٤٣.

(٤) نعمة، مثولوجيا وأساطير الشعوب، ج١، ص٩٠.

ولأثر القمر في حياتهم سموا شهراً من شهور السنة باسمه "روزماه". فالقمر مسؤول عن قسمة الخير والنعيم في الدنيا، حيث تزيد المياه، وينمي الحيوان والأشجار والنبات من حين يهل إلى أن يأخذ في النقصان[1].

أما الشمس، فهي رمز الضياء وهي المنوط بها تطهير الكون من الدنس الشيطاني، وهي المنوط بها رعاية النور المقدس في أجساد البشر وسوف تستعيده منهم في نهاية الكون، ومن علامات **نهاية الكون في الزرادشتية انكساف الشمس**، والعودة إلى حالة الظلمة الأبدية، بوصف الضياء رمزاً للوجود. فزرادشت مخلوق من نور الإله الذي انتقل إلى السماء السادسة إلى الشمس والقمر إلى النجوم إلى النار، إلى بيت النار المقدسة التي يُقدسها الفرس بوصفها رمزاً للنور الإلهي وليست معبودة في ذاتها، ثم إلى رحم زوجة صاحب بيت النار أو القائم عليه، التي كانت حاملاً بفتاةٍ هي أم زرادشت، وعندما وُلدت كانت تشع نوراً، ثم تتزوج الفتاة وتنجب زرادشت الذي أتى يتكلم في المهد، ويبشر بالإله، ويشع نوراً ومعرفة أينما ذهب. فكان هو المعلم المكلم لأهورامزدا المبشر بالعدل السماوي أي أن **فكرة النور** هي الأساس في المذهب الزرادشتي. **وإذا اتجهنا للتشيع، نلاحظ أن النور الإلهي** ورد في كتب المذهب الشيعي بعد مرحلة التشيع الإيراني، والذي يُشكل ما جاء فيها أساساً للمعتقد الشيعي للآن، روي أن محمداً صلى الله عليه وسلم، وعلياً وفاطمة، والحسن والحسين مخلوقين قبل الوجود بأكمله وأن نور العرش من نور محمد، ونور الملائكة من نور علي، ونور السماوات والأرض من نور فاطمة، ونور القمر، من الحسن، ونور الجنة وحور العين من نور الحسين)، أي أن الوجود مخلوق من نور الخمسة الرئيسيين في المذهب الشيعي، كما ورد أن أول خلق الله كان الأربعة عشر معصوماً الإثنا

---

(١) البيروني، الآثار الخالية، ص٢٠٠.

عشر إماماً وفاطمة والنبي، فكانوا نوراً يفيض من الله، ثم يحدث تكوين العالم بحيث يقيمون أسفل العرش الإلهي ومنهم يخلق العالم بالترتيب الآتي، مكان الأمكنة، العرش الكوني، السماوات، الملائكة، الهواء، الأبالسة، وأخيراً أدم فنور الأئمة موجود قبل خلق البشرية، وآدم مخلوق من دمج هذا النور الإلهي بالطين، وسيتحول هذا النور من نبي لنبيٍ وصولاً للأولياء وهم الأئمة على المستوى البشري. فلهم مستويان في الفكر الشيعي، المستوى الأسطوري المقدس الموجود قبل الوجود والمستوى التاريخي البشري الفاني، أي فكرة الفناء الإنساني وخلود العنصر الإلهي في العالم المقدس السماوي، ولكن كلها اعتماداً على فكرة قدسية النور. أي أن الديانة الزرادشتية والمذهب الشيعي متوحدين من حيث العناصر المقدسة، ولا أقصد بالتمام والقطع أن الزرادشتية هي أصل التشيع، بوصف أن أحدهما يسبق الأخر تاريخياً ولكني أقصد أن العقل الإيراني حال تشيعه قد وحَّد بين مقداساته الخاصة القومية وبين التشيع، فالمضمون واحد ولكن الشكل مختلف. وفي الحكايات المذهبية، ورد أن الأئمة عندما يموتون يصعدون للشمس، وأن الشمس قد كُسفت يوم مقتل الحسين دليلاً على زوال الوجود من العالم وتحوله لعدمٍ بموته بل إن نوراً قد تصاعد من جسد الحسين بعد موته وصولاً للسماء أي عودة النور لأصله السماوي المقدس كما الزرادشتية، كما أن الشمس قد توقفت لعلي حتى يُتم صلاته، بل إنها سوف **تشتعل ناراً يوم مجيء المهدي.** حاول غلاة الشيعة تأصيل هذه الآراء بدسِّ الأحاديث المزعومة كحديث نسبوه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من فقد الشمس فليتمسك بالقمر، ومن فقد القمر فليتمسك بالفرقدين، فإذا فقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة بعدي، فسألته عن ذلك، فقال: أنا الشمس وعليٌّ القمر، فإذا فقدتموني فتمسكوا به بعدي، وأما الفرقدان فالحسن والحسين، إذا فقدتم القمر فتمسكوا بهما، وأما

النجوم الزاهرة فهم الأئمة التسعة بعدي، أئمة أبرار، عدد أسباط يعقوب وحواريي عيسى، قلت: فسمهم لي يا رسول الله؟ قال: أولهم وسيدهم علي بن أبي طالب وسبطاه، وبعدهما زين العابدين، وبعده محمد بن علي باقر علم النبيين، والصادق جعفر بن محمد، وابنه الكاظم سميّ موسى بن عمران، والذي يقتل بأرض الغربة على اسم ابنه محمد، والصادقان: علي والحسن، والحجة القائم المنتظر(1).

كما فسروا الشمس بأنها عليٌّ، فيروون عن جعفر الصادق في قوله: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ قال: "الشمس أمير المؤمنين، وضحاها: قيام القائم". فهل يعني هذا أنه لما مات أمير المؤمنين اختفت الشمس من الوجود والناس في ظلمة حتى يشرق ضحى القائم المنتظر(2).

*نماذج لأسطورة تقديس الكواكب والنجوم في الكتب المدرسية الإيرانية:

الشمس الغائبة:

تقول الكتب المدرسية الإيرانية تحت عنوان الشمس الغائبة"ولد سيدنا المهدي عجَّل الله تعالى فرجه في فجر يوم الجمعة من منتصف شعبان سنة ٢٥٥ هجري في مدينة سامراء، عاش مع والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وكان لديه مهمتان، الأولى الحفاظ على ابنه من أذى الخلفاء العباسيين، والثانية إثبات وجوده وإعلان إمامته بصفته الإمام الثاني عشر، وكان يقوم بهاتين المهمتين من خلال إظهار ابنه لإتباعه الأوفياء والذين يثق بهم، بعد استشهاد

---

(١) البحار، ج٣٦، ص٢٨٩.

(٢) البرهان، ج ٤، ص٤٦٧.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠، بدأت إمامة سيدنا المهدي عليه السلام، استمرت مدة إمامته الأولى حتى سنة ٣٢٩.

(الغيبة الصغرى) كان للإمام خلال هذه الفترة حياة بالخفاء، ولكنه كان يرتبط بالشيعة ويقودهم من خلال أحد أتباعه المقربين والموثوق بهم عثمان بن سعيد عمر، بعد وفاة هذا الشخص تولى عنه المسؤولية ثلاثة أشخاص بالترتيب محمد بن عثمان بن سعيد، حسين روح نوبختي وعلي بن محمد سمري، هؤلاء الشخصيات الأربع العظيمة عُرفوا باسم (النواب الأربعة).

لم يبق من حياة النائب الرابع سوى ستة أيام، كتب له إمام العصر (عج) رسالة، طلب منه فيها أن لا يعين لنفسه خليفة، لان مرحلة (الغيبة الكبرى) قد بدأت.

حول هذا الأمر، سنجيب على الأسئلة المطروحة بالترتيب بخصوص إمامة إمام العصر (عج) [1].

تقول الكتب المدرسية الإيرانية تحت عنوان " **بانتظار الشروق للشمس: أمل الشروق**: الاعتقاد به (الموعود) و(المنجى) هي عقيدة راسخة وقوية في الإسلام وخاصة في التشيع، هذه العقيدة نشاهدها وتتجلى جذورها في الحياة اليومية لمحبي العترة وأهل البيت عليهم السلام، منذ الصباح وحتى المساء، بعد كل صلاة يذكرون إمام العصر (عج) ويدعون لسلامته هذا العزيز ويدعون بتعجيل ظهوره لهم برنامج دائم ومستمر، في هذا الدرس نطرح ونبحث ونجيب على موضوعين:

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى، سال سوم دبيرستان، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، جاب ششم، ١٣٨٩، ص١٣٥.

١- هل الاعتقاد بالموعود يختص بالمسلمين؟

٢- كيف يؤثر هذا الاعتقاد في حياة الإنسان؟ (١)

كيف ستكون قيادة وإمامة الإمام المهدي (عج) في عهد الغيبة؟

تقول الكتب المدرسية الإيرانية:للإدراك الصحيح للقيادة في زمن الغيبة، يجب أن نتوجه في البداية إلى أن (الغيبة) هنا هي مقابل (الظهور) وليس (الوجود)، الإمام يسمى الغائب؛ إذن هو غائب عن الأنظار لا أنه غير موجود في المجتمع، إنه الشمس التي تتأرجح في العالم ونور الهداية والقيادة المضيئة وخاصة للشيعة، بعبارة أخرى، إن الشعب لا يرون الإمام، ليس لأنه غير موجود، ورد في الأحاديث أنه يوجد كل عام في موسم الحج ويؤدي مناسك الحج، إلا أن الشعب لا يعرفونه.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

إن حجة الله موجود بين الشعب، يمر من الشوارع والمعابر، يذهب إلى مختلف أنحاء العالم، يستمع إلى أحاديث الشعب ويلقى السلام على الشعب، يراهم إلا أنه لا يرى؛ حتى يحين وقت الظهور والوعد الإلهي ونداء السماء، هذا اليوم هو يوم سعادة أبناء علي عليه السلام وأتباعه.

تضيف الكتب المدرسية الإيرانية: لهذا فقد شبهوا قيادة الإمام في عصر الغيبة مثل الشمس وراء الغيوم، قام إمام العصر (عج) الاستفادة مني في عصر الغيبة مثل مثل الاستفادة من الشمس عندما تكون خلف الغيوم)، هذا

---

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى، سال سوم دبيرستان، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، جاب ششم، ١٣٨٩، ص١٤٥.

الاختفاء خلف الغيوم سببه عدم كفاءة وقدرة الإنسان في رؤية حقيقة الشمس المشرقة [1].

قارن كل حالة في الحالات التالية تشبه أي حالة من حالات الشمس، ووضح نتيجة كل شبه؟

١- وجود الإمام مع ظهوره أمام الشعب.

٢- وجود الإمام وغيابه عن الشعب

٣- عدم وجود الإمام

تعتبر الولاية المعنوية جزءًا أساسياً من أجزاء القيادة، القائد مطلع وبإذن الله على أحوال الشعب وبأشكال مختلفة، الشعب الذين عندهم الاستعداد ومحبوه يستطيعون الاستفادة من إرشاداته المعنوية من أجل الوصول إلى الكمال وسمو الروح، قال إمام العصر في رسالة إلى أحد كبار علماء الإسلام الشيخ مفيد:

نحن على علم بجميع أخباركم وأوضاعكم، ولا يوجد شئ من أوضاعكم يخفى علينا.

وقال في تتمة في هذه الرسالة:

نحن لن نقصر بالاهتمام بكم وبقيادتكم، ولن ننساكم، وإلا لكانت نزلت عليكم المصائب والمشاكل، وقام أعداؤكم بإبادتكم.

نجد في رسالة الإمام (عج) أنها في صالحنا وأن حبه ولطفه يرافقنا، طالما لم يتعرض إلى اعتقال أو مشاكل، عندها سيتم القضاء على المسلمين والشيعة، في الحقيقة فان إمام العصر (عج) قائد وحافظ ومساعد للشيعة.

---

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى، المرجع السابق، ص١٣٨.

هذه المحافظة والمساعدة تصلنا بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق هذا العظيم أو عن طريق وسطائه ومساعديه الخاصين به، ويعتبر التوجية الباطني للأفراد أمراً قد حل وترسخ (١).

*** المهدي هو الشمس في الكتب المدرسية:**

تصور الكتب المدرسية الإيرانية المهدي بالشمس المضيئة المنيرة التي تشع في عتمة هذا الكون الفاني (٢).

*** أسطورة تشبيه الأنبياء بالشمس:**

نجد في قصة سيدنا يوسف ووصفه بالشمس التي ألقيت في البئر، الشمس أيضا حاضرة من خلال قصيدة خورشيد در جاه " الشمس في البئر" (٣).

*** أسطورة تشبيه آل البيت بالشمس والنجوم:**

" تشبيه الحسين بن علي" بالشمس:

قصيدة مثل الشمس، حيث تشبه الكتب المدرسية الحسين بن علي بالشمس، حيث تثني القصيدة على دور الشمس مصدراً للنور والطاقة، والسعادة (٤).

---

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٢) درس " خورشيد بنهان " " الشمس المختفية " قرآن وتعليمات دينى دين وزندكى، سال سوم متوسطه، مرجع سابق، ص١٤٩ كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، سوم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٨، ١٤.

(٣) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، بنجم دبستان، جاب ششم، ١٣٨٩، ص ١٦-١٨.

(٤) كتاب هديه هاى آسمان: تعليم وتربيت اسلامى، دوم دبستان، جاب هشتم، ١٣٨٨، ص٢ .

وتبرز صورة الحسين من خلال درس" آخرين ياور آفتاب "" آخر أعوان الشمس "حيث يصور قصة عبدالله بن الحسن المجتبى ووقوفه إلى جانب الحسين حتى استشهاده في معركة كربلاء (١).

ونجد نصوصا شعرية من الشاهنامه، فيها صور وتشبيهات واستعارات من الشمس (٢).

ثم يطلب الدرس تمثيل صورة معركة كربلاء من خلال مسرحية (٣).

كثرة الإعلاء من الشمس في الكتب المدرسية الإيرانية:

أما درس الصف الثاني الابتدائي الذي جاء تحت عنوان " هميشه با من " دائما معي، فهي تتحدث عن جمال الدنيا، لأنها كل يوم ترى الدنيا، وترى الشمس الذهبية، والنجوم المضيئة، ونجد التغني بالنجوم الساطعة المتلألئة في السماء في قصيدة اميد من " أمنيتي " (٤).

ونجد التغني بالشمس والنار من خلال درس " سفر به ياد ماندنى " رحلة لا تنسى " فالشمس يعم خيرها وضيائها، فغدت كالعملة الحمراء المتوهجة بالنار، والإشادة بالتلذذ بالعبادة أثناء غروب الشمس (٥).

---

(١)فارسى بخوانيم، جهارم دبستان، جاب يزدهم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص ١٠٣-١٠٦.

(٢)باهم بخوانيم، نقرأ سويا، فارسى بخوانيم، بنجم دبستان، جاب ششم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص ٩٣.

(٣) باهم بخوانيم، نقرأ سويا، فارسى بخوانيم، بنجم دبستان، مرجع سابق، ص، ١٠٧.

(٤) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، جهارم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٩، ص١٢-١٣.

(٥) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، مرجع سابق، ص٢٢-٢٣.

وعند المعركة والانتصار في درس به جاى " بدلا عن " نجد صورة الشمس تغرب في الأفق بهدوء[1] وكذلك نجد الشمس والشهب والنور والضياء حاضرة إلى جانب الطبيعة بما تحويه من النبات والزرع عند الحديث عن غار حراء[2] ونجد صورة غار حراء، وعليها حجر مكتوب عليه سورة " العلق"[3]، ونجد الشمس حاضرة في قصيدة " سلام دوست من" "سلام صديقي "، حيث تصف الصداقة بالدفء وفيها شيء من العطف كالشمس دافئة وحنونة على البشر[4].

أما في كتب تعليم اللغة العربية فنجد في تعليم تكوين الجمل عبارة هذه نجمة، وكلمة النجمة ترسيخا للمفاهيم التي يتم غرسها في أذهان الطلبة [5].

ونفس الأمر نجده في كنب تعليم اللغة الفارسية، ففي قصيدة "كل بكو وكل بشنو" قل حسنا، واسمع جيدا، نرى الشمس تبتسم في الصورة المرفقة بالقصيدة[6]. كذلك الأمر في قصيدة " نشانه هاى خدا " " علامات الله " الشمس بارزة في الصورة المرفقة بالصفحة. [7] إضافة لذلك نجد صورة الشمس في قصيدة " وقت نماز است " " موعد الصلاة " في نفس صفحة القصيدة[8]،

---

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، جهارم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٩، ٣٤.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، جهارم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٩، ص ٥١.

(٣) كتاب تاريخ، دوم راهنمايي تحصيلي، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، ١٣٨٩، ص٣.

(٤) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، بنجم دبستان، جاب ششم، ١٣٨٩، ص ١٠-١١.

(٥) عربي، سال أول، دوره يراهنمايي تحصيلي، جاب جهارم، ١٣٨٩، ص ٩، ١٢.

(٦) فارسى بخوانيم، دوم دبستان، جاب يزدهم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص ٣٣.

(٧) فارسى بخوانيم، دوم دبستان، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٨) فارسى بخوانيم، دوم دبستان، مرجع سابق، ص ٩٦.

ونلاحظ أيضا صورة الشمس والنجوم في درس " بهترين سر آغاز " " أفضل البداية " والتغني بها إحدى نعم الله [1].

وصف عامل النظافة بالعطوف مثل الشمس، مهربان... مثل آفتاب " العطوف.. مثل الشمس [2]، ونجد صورة الشمس في درس آسمان، آب، زمين " "السماء، الماء، الأرض" [3].

ونلاحظ أيضا وجود الشمس من خلال درس " يك خط در ميان " " خط بين " حيث يتحدث الدرس عن الخط بين الفرح والحزن، حيث تعبر القصيدة عن الحالتين من خلال الوجوه المرسومة على الشمس. [4]كذلك نرى تجسيدا لصورة الشمس والنجوم من خلال تجسيد الوجوه [5].

وتبرز صورة الشمس درس " الصحة وسلامة البدن " " سلامتي وتندرستي " للدلالة وتشبيه الصحة ببهاء الشمس [6]، ونجد صورة الشمس والتغني بها أيضا تبرز من خلال قصيدة " سوار تازه رسيده " [7].

---

(١) فارسى بخوانيم، سوم دبستان، مرجع سابق، ص ٢-٣.

(٢) فارسى بخوانيم، دوم دبستان، مرجع سابق، ص ٤١.

(٣) فارسى بخوانيم، سوم دبستان، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٤) درس سال هاى فارسى بخوانيم، جهارم دبستان، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٥) درس" علم وهنر " " العلم والفن " فارسى بخوانيم، جهارم دبستان، جاب يزدهم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص ٩٢، ونرى درسا حول التفكر بخلق الشمس، والحديث عن الاعجاز الرباني بحركتها. درس " جهان آفرينش" " خلق العالم "فرهنك اسلامى وتعليمات ديني، سال دوم دوره ى راهنمايى تحصيلى، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ص ٦-١٠.

(٦) فارسى بخوانيم، بنجم دبستان، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٧) فارسى بخوانيم، جهارم دبستان، مرجع سابق، ص ١٢١.

إيران هي الشمس:

وتظهر الشمس وهي تحتضن العلم الإيراني، في درس يمجد الفردوسي إيران ويعظمها من خلال قصيدته " إيران " [1].

وتبرز الشمس" تشبيهاً بإيران " كذلك في قصيدة "از خاك تا خورشيد " " من التراب حتى الشمس "، ونجد صورة الشمس في الكتب المدرسية من خلال دروس عديدة وكثيرة.

أمثلة [2]:

نجد صورة الشمس في دروس الأدب الحماسي، حيث يوصف الشهداء بالشمس المضيئة، وأنهم قضوا دفاعاً عن الشمس " إيران " وتصف دمائهم بدماء الشمس [3].

*** الأسطورة المهدوية في الكتب المدرسية الإيرانية:**

يشكل مبدأ الانتظار جزءًا مهماً من عقيدة الشيعة في إيران، فعقيدة الانتظار تكاد تكون هي القاسم المشترك الأعظم بين جميع الإيرانيين الشيعة على اختلاف توجهاتهم الفكرية والثقافية.

---

(١) فارسى بخوانيم، جهارم دبستان، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٨-١٦٩. درس " تواى ايزدى مرز ايران من "" فارسى، سال دوم دوره ى راهنمايى تحصيلى، جاب سوم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ١٤٥.

(٣) درس " خط خورشيد " " خط الشمس "ادبيات فارسى، سال اول دبيرستان، جاب جهاردهم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ص ٦٣-٦٤. درس " سايه خورشيد " ظل الشمس "ادبيات فارسى، سال سوم متوسطه، جاب جهاردهم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ص ٨٣.

من النظريات التي تحكم الشخصية الإيرانية أيضا نظرية مبعوث آخر الزمان وتقوم على عقيدة إيرانية قديمة تعمقت عبر السنين والأجيال وغذَّتها الأساطير والروايات، حيث تسيطر على وجدان الشعب وتحرك عقله وتوجه فكره وآماله لتدرأ عنه الإحباط والضعف وتمنع عنه الظلم. بحيث أصبحت أمنية قيام ثورة المهدي فلسفة مذهبية ملهمة جسدتها طقوس التشيع لدعم القيم الدينية وخارطة طريق العمل للمستقبل ومرآة يرى فيها الإيراني نفسه جندياً مدججاً بالإيمان، والعزم، والتعبئة ضد الآخر، كونه جندياً من جنود المخلِّص.

والانتظار لدى الشيعة الإيرانيين هو انتظار ظهور الإمام أحمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر لدى الشيعة الإثنى عشرية.

إن عقيدة "الانتظار" تكاد تكون هي القاسم المشترك الأعظم بين جميع الإيرانيين الشيعة وإن اختلفت توجهاتهم الفكرية، الثقافية، السياسية..... بمعنى أنه لا فرق بين رجل الدين والمفكر القومي، والليبرالي، والشيوعي... الخ، فيما يخص عقيدة الانتظار فكلهم "منتظر" ولكل منهم فلسفة خاصة تحركه وتقوده ولكنه يبقى في النهاية من "المنتظرين".

وفي هذا الاتجاه تمضي الأُطُر والمؤسسات كافةً في المجتمع الإيراني في قيادة المجتمع انطلاقا من عقيدة أساسها الإدراك بأن هناك دورا ما يجب عليها أن تفعله سواء على المستوى الداخلي أم الدولي وهذا الدور يفرض على إيران أن تجند كل الأدوات والوسائل الممكنة لتحمل أعباء المهمة والنيابة عن ولى العصر.

ومن هنا كان الدافع قوياً للكلام على الديانات والمعتقدات الإيرانية القديمة بهدف إثبات الأثر الواضح لها على العقائد الجديدة المتسربلة بالتشيُّع والمُلْصَقة بالإسلام، فإن المتتبع لها سوف لا يجد أدنى صعوبة في الوقوف على أوجه الشبه العديدة والتي تكاد تصل إلى حد التطابق بين العقائد الإيرانية القديمة

وبخاصة الزرادشتية وبين عقائد الشيعة الإيرانيين اليوم؛ مع الأخذ في الاعتبار أن إثبات الأثر والتأثير لا يعنى بالضرورة التماثل فى الحكم بين المؤثِّر والمتأثِّر، وإنما غاية الأمر أن العداء للسنة والبغض للصحابة والتعصب ضد العرب لدى الإيرانيين أدى إلى حرمانهم من كثير من حقائق الإسلام ومعالم الدين فاستعاضوا عن ذلك بموروثاتهم القديمة الناطقة بعنصرهم والصارخة بهويّتهم، فقام العقل الإيراني بشيء أشبه بعمليات الاستنساخ لتلك العقائد القديمة، أو عمليات إعادة الصياغة، لينشأ مناخ من التصالح مع الذات والتاريخ والهوية، فيستريح بذلك من شعور الاستلاب الذى يعذبه أشد العذاب، ويمزقه كل ممزق كلما نظر إلى الهوة الواسعة العميقة التى تشكل الفرق بين ماضيه القيادى وحاضره التبعى.

الزرادشتية:

ديانة فارسية نسبة إلى موطن مؤسسها زرادشت، يقول صاحب كتاب قاموس المذاهب والأديان: إنها "ديانة فارسية قديمة، تنسب إلى سبيتاما زرادشت"(١)، وهي "ضرب من الإصلاح للديانة الوثنية الفارسية، وترمي إلى تنمية الحصاد، والرفق بالحيوانات المستأنسة"(٢).

والزرادشتية تقول: "النور والظلمة أصلان متضادان، وكذلك يزدان وأهريمان، (هما مصدر الخير والشر، في الزرادشتية)، وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحدثت الصّور من التراكيب المختلفة، وإن الله خالق النّور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له، ولا

(١) حمد، قاموس المذاهب والأديان، ص١٠٧.

(٢) الندوي، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، ص٢٠٣.

ضد ولا ند، والخير والشّر، والصلاح والفساد، إنما حصلت من امتزاج النّور والظلمة، ولم لم يمتزجا لما كان وجود العالم، وهما يتقاومان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة، والخير والشر، ثم يسمو الخير إلى عالمه، والشر ينحط إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص، والله هو الذي مزجهما، وخلطهما لحِكَمٍ رآها في التراكيب"[1].

ثم تطورت هذه العقيدة على يد الزرادشتيين "فجعلوا للخير إلهاً وهو أهورامزدا، وللشر إلهاً وهو أهريمان"[2]، ولكنهم يعتقدون الألوهية المطلقة في نهاية الكون لأهورامزدا. ولذا، فهي تقول: إن "العالم في قوتين هما: الخير والشر، ويُرمز لإله الخير بالنور، ولآله الشر بالظلمة"[3]، ولهذا نظرت "إلى الوجود من حيث تكوينه من نور وظلمة، وخير وشر، وحسن وقبيح"[4]، وهي ديانة تدعو إلى إنماء النسل، والعمل للدنيا والآخرة، بغية السعادة فيهما. وعلى هذا، فإن الزرادشتية نسبت إلى زرادشت مؤسسها، الذي نادى بالتوحيد، وقام بثورة على معبودات بني قومه، سرعان ما شابها التحريف، وخالطها الباطل، حتى عبد أتباعها بعض مظاهر الطبيعة.

هذا ويقول الزرادشتيون "إن عقيدتهم هي أفضل عقيدة في العالم، بل إنهم يُحرّمون على من لم يولد زرادشتياً أن يعتنق هذا الدين (وخاصة المنبوذين من الديانات الأخرى)، حتى لا تنقلب الزرادشتية، ولهذا قرروا أنه من الخير لهم ألا

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٢٨٣.

(٢) الغزالي، فلسفة التبشير، ص٩٣.

(٣) الشناوي وآخرين، دائرة المعارف الإسلامية، ج٦، ص٢١٦.

(٤) الغزالي، فلسفة التبشير، ص٩٣.

يكون هناك سوى قلة من الأتباع الجديرين بالعقيدة الزرادشتية، فذلك أفضل من كثير ليسوا أهلاً لها"[١].

*** المولد، وما رافقه من أساطير:**

اختلف الباحثون حول القرن الذي وُلد فيه زرادشت، لكن الذي عليه الرأي أن أمر زرادشت قد ذاع وازدهر في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد[٢]، واختلفوا أيضاً في تحديد سنة ميلاده، فمنهم من قال: "إنه شرع في إصلاح العقائد الرائجة في إيران عام ٦٥٠ق. م"[٣]، فإذا كان قد نزل عليه الوحي في الثلاثين من عمره، وأنه بدأ دعوته في عام ٦٥٠ ق. م، إذن فقد وُلد على حد هذا القول نحو عام ٦٨٠ ق. م.

وتبقى معرفة تاريخ ميلاد زرادشت محل جدل علمي، ولم يتوصل أحد إلى تحديده بطريقة قطعية[٤]، إذ لا يوجد سند سليم، ولا يرى الباحث نصاً صحيحاً، يقدّم رأياً سديداً قاطعاً، سوى الاحتمال لا اليقين، بيد أن الرأي الذي عليه كثير من الباحثين أن زرادشت وُلد نحو سنة ٦٦٠ ق. م، وهو على ما يبدو أصح التقديرات[٥].

حُكِيَت حول ميلاد زرادشت القصص، وأخذ أتباعه يرون حوله روايات؛ فامتزجت الحقائق بغيرها، حتى أضحى لا يُعرف الحق من الباطل، حيث لا سند

(١) مظهر، قصة الديانات، ص٢٩٧-٢٩٨.

(٢) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٢٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٧.

(٤) فهمي، مرجع سابق، ص٣٤.

(٥) غانم، الزادشتية، ص٦٠.

سليم، ولا متن مجمع على صحته، ومن هذه البشريات حول مولد زرادشت في اعتقاد الزرادشتيين، وكما ذكر ذلك بعض الباحثين:

١- أن ثوراً ظهر -وقتذاك- وتكلم، وتنبأ بمولد منقذ ينقذ العالم من سيطرة قوى الشر.

٢- ما روي عن جمشيد أنه حارب قوى الشر، وأنذرهم باقتراب مولد رجل سيكون على يديه فناؤهم.

٣- وما روي أن ثوراً آخر تكلم وأعلن أن ساعة مولد زرادشت قد اقتربت، وأن ظهوره في المستقبل القريب قد قضت به إرادة الرب.

٤- وأنه تراءى لأبيه شبحان نورانيان، وقدّما له غصناً من نبات مقدس، وأمراه أن يجعله في الطعام، فحملت زوجته بزرادشت[١]

٥- ورأت الأم -وهي حامل فيه- كأن سحابة سوداء قد هبطت، وانتزعت منها ولدها، وإذا بجبل من النور يهبط من السماء، فيقضي على السحابة، ومن جبل النور يخرج شاب متلألئ يحمل الطفل ويسلمه إلى أمه، ويوصيها أن تحافظ على نبي أهورامزدا[٢].

ولذلك قالوا إن قوى الشر حاولت اغتيال هذا الطفل، لكن العناية الإلهية حرسته[٣]. ومن هنا، قيل: إن أمه حملت به حملاً إلهياً، حيث دخل شعاع من

---

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٣٣-٣٥.

(٢) العربي، الديانات الوضعية، ص٢١٠.

(٣) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٣٧.

أشعة العظمة السماوية إلى صدر فتاة سامقة في الشرف، وامتزج مع الملاك، فنشأ زرادشت من هذا المزيج"[1].

"قصة مولد زرادشت من الينبوع الأسطوري، استمدت المخيلة الفقهية مداداً انفرجت به شفاهها تتحدث؛ إن زرادشت حملت به أمّه وهي في سن الخامسة عشرة بطريقة إعجازية"[2]. ومن هنا رويت أساطير كثيرة –في اعتقاد الزرادشتيين- حول مولده ومنها؛

١- أنه لما وُلد ضحك عقب ولادته بصوت عال، واهتزت له كل جدران البيت، وسُمع في كل نواحيه ترنيمات ملائكية، وعَبِق برائحة إلهية عطرت كل أرجائه[3].

٢- وأنه لما ولد زرادشت "أحاط بالدار نورٌ وهّاجٌ، وهبط من السماء نجم عظيم، ودنا من الأرض وأعلن النبأ السار، وظهر في السماء كوكب عظيم ملأ ضياؤه جميع أنحاء الفضاء، ونبض نبضة قوية –حين ولادته- دفعت أيدي الأطباء بعيداً عنه"[4].

هذا، ولم تقف الحكايات عند حد مولده، بل أخذت تسري حتى بعد مولده، ومنها:

"لما وُلد زرادشت وعلم بمولده "دوران سرون" سحب خنجره ليريق دمه، ولما

(١) سعفان، معتقدات أسيوية، ص١٠٤.

(٢) السقاف، الدين في الصين والهند وإيران، ص٣٠٣.

(٣) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٣٦.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٦.

أمسك بخنجره جمدت يده، وغمرته هيبة ورهبة فترك الطفل"[1]، وعاد دون أن يمسّه ضر، ثم أعدوا -أي الملك والسحرة- له ناراً عظيمة ووضعوه فيها، ولكن النار لم تحرقه، وخرج منها سليماً معافىً"[2]، ولما وُضع في طريق البقر -بأمر الملك- إذا ببقرة تجعله بين قوائمها الأربع، وتظله بجسمها حتى مر القطيع بأكمله دون أن تمسه بقرة واحدة برجلها. ولما وُضع أمام السباع لتفترسه، لم تقترب منه، وأقبلت عنزتان إليه دون خوف، ومالتا عليه إحداهما تلو الأخرى حتى شرب من لبنهما وشبع... واستمرت المؤامرات حول قتله، وكان ينجو منها كل مرة[3].

ويعتقد الزرادشتيون أنه لما مرض زرادشت -قيل في السابعة من عمره- وعَلِم زعيم السحرة -وكان اسمه "برتروش" - بذلك، "انتهز هذه الفرصة، وصنع له دواءً مهلكاً وقدّمه إلى أبيه، وقال له: إن هذا دواء ناجع فيه شفاء لزرادشت من مرضه، فقدّمه الأب لابنه ليتناوله، فأخذه وألقاه على الأرض"[4]، وأخبرهم بهذه المكيدة.

وهكذا -كما يعتقد الزرادشتيون- باءت كل الدسائس بالفشل، وناءت جميع المؤامرات عليهم بالكلل، فكلما حفروا لزرادشت حفرةً نجا منها ووقعوا هم فيها.

ورغم كل هذا -على فرض صحته- يعيش زرادشت ويكبر وينشأ.

وهنا يظهر بجلاء كيف تدخل العقل الإيراني ليقوم بحشر صورةٍ من صور

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٨.

(٣) مظهر، قصة الأديان، ص٢٦٧.

(٤) المرجع نفسه، ١٢٧.

الاستنساخ لهذه الأسطورة فى صميم معتقده المهدوى، إذ رسم أحداثاً مشابهةً فى جوهرها لتلك، تتعلق بطفولة المهدي، ثم ألصقها بجدار التاريخ زوراً وبهتاناً؛ إذ لا تمل الكتب المدرسية الإيرانية وغيرها من كتب الشيعة من تكرار أسطورة الغيبة لإمامهم الثاني عشر، وكيف أن الجنود العباسيين تتبعوه وهو بعد طفلٌ صغير فى الخامسة من عمره بغية قتله، ولكنه ينجو منهم ويدخل السرداب ليبقى فيه إلى يومنا هذا.. !

نشأة زرادشت:

رغم هذه الأمواج الهائلة حول زرادشت، والتي تريد أن تتخطفه من كل جانب، وتتقاذفه يميناً وشمالاً، ورغم هذه الرياح الثائرة التي تريد أن تهوي به في مكان سحيق.. ينجو من جميع المهالك المدبرة له، والدسائس التي تحاول أن تفتك به.

فعندما بلغ السابعة من عمره خرج من بلده إلى الحكيم بورزين؛ ليأخذ عنه الحكمة، ويدرس العلم، فبقي في صحبته ثمانية أعوام أظهر فيها قوةَ حافظةٍ، وعظيمَ وعيٍ، وحسنَ التلقي للدرس والمعرفة، وعاد إلى بلده وقد أُوتي لساناً طليقاً، وسؤالاً حكيماً، فجعل يسأل العلماء، ويناقش العقلاء[1].

وهكذا، "بلغ زرادشت الخامسة عشرة فذاع أمرُه بين الناس، وعلم به القاصي والداني في طول البلاد وعرضها، وحينما بلغ العشرين من عمره –كما ذكر بعض الباحثين– آثر العزلة، فهجر قومه، وراح بعقله وفكره يتأمل في خالق هذا الكون، وذهب بنفسه بعيداً عن الناس –بغية تزكيتها– وكان هذا –على ما

(١) المرجع نفسه، ص١٢٧.

سيأتي إن شاء الله تعالى -قرابة عشر سنين. ثم لما بلغ الثلاثين من عمره قيل إنه نزل عليه الوحي في اعتقاد الزرادشتيين(١).

وعلى هذا، فقد نشأ زرادشت في بيئة مليئة بالسحر والكهانة، وسط أناس يكنون له العداء، ويتربصون به، ويحاولون الفتك به أو النيل منه، كي يسقط في الهاوية، أو يقع في مأزق، أو -على الأقل- يفقد ثقة الناس به، فلا يلتفون حوله، بل ينفضون عنه.

*** أسطورة نزول الوحي على زرادشت:**

لو فكر الناس بأناةٍ لعلموا أن لهذا الكون رباً وخالقاً يعلم السر وأخفى، فأصلحوا نفوسهم ومجتمعاتهم، ولذا، انبعث من التفكر والعزلة عند زرادشت أن وصل إلى ماهية الوجود، وحقيقة الكون، ولم يتم له ذلك إلا بنزول الوحي عليه -في اعتقاد الزرادشتيين- ومن هنا، تذهب الأساطير حول نزول الوحي على زرادشت كل مذهب، وتجول معه في مناحٍ عدة.

"ففي الأساطير الزرادشتية أن النبوة نزلت أولاً على جمشيد ملك الفرس، ولكن لم يستطع حملها، فحملها زرادشت"(٢). وهذا الكلام لا يقره الإسلام من ناحيتين: الناحية الأولى أن هذه الأسطورة تنسب الجهل إلى الله تعالى -والله سبحانه منزّه عن ذلك- إذ كيف يصطفي الله- جلّت قدرته- أحداً من البشر لأمر النبوة ثم يخالف مراد الله فيه؟!!

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٤٠.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص١٠٢.

والناحية الثانية أن هذه الأسطورة تنسب النقص البشري –الذي يعتري الإنسان العادي- إلى بشرٍ اصطفاه الله –سبحانه- والأنبياء جميعاً منزّهون عن ذلك.

تقول أسطورة نزول الوحي على زرادشت: لم يستطع جمشيد حمل أمر النبوة، وحملها زرادشت، فلما "بلغ الثلاثين من عمره، وهو منغمس في تأملات فكرية، ورياضيات روحانية، تُشعره بنشوة غامرة، وبينما هو كذلك إذ تبدَّى له كائن نوراني يهبط من السماء وكأنه عمود من نور، حجمه تسعة أمثال حجم الإنسان يحمل في يده عصا من اللهب، حلّق فوق رأسه، ودنا منه وأنبأه أنه "فاهومانا Vahumana كبير الملائكة، وأنه قد جاءه ليقوده إلى الملأ الأعلى ليحظى بشرف المثول لدن أهورامزدا، ولم يلبث أن وجد نفسه هناك يتلقى عن الإله أسرار الوحي، واستمع إلى أمر النبوة"[١].

وما زالت تلك الأسطورة تستمر في سيرها فتقول: "تكرر المثول أمام أهورامزدا ثلاث مرات، تحقق له بها أمر النبوة[٢]، وبعد المرات الثلاث قال: "الآن سأنزل إلى الناس، وأقود شعبي باسم أهورامزدا من الظلام إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الشر إلى الخير"[٣]، ثم انطلق يكمل رحلاته عشر سنين، وأهورامزدا يثبت عقيدته بالوحي المتوالي، فقد نزل عليه الوحي سبع مرات –في هذه الفترة- ظهر فيها لزرادشت أهورامزدا، والملائكة الستة، كبار

---

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٤٣-٤٤، صعب، الأديان الحية، ص١٠٨.

(٢) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٤٤.

(٣) مظهر، قصة الاديان، ص٢٧١.

الملائكة"[1]. ولقنوه مضمون الوحي: "وقد لقنه كل فرد من أفراد هذه الجماعة الروحانية حقيقة من الحقائق الكبرى؛ فتعلم حقيقة النار المقدسة، والأسرار التي تنطوي عليها الأرض، وحياة الحيوانات والنباتات، وخواص المعادن، والسر في وجوب العناية بالماء، وفي الصّراع الأزلي الأبدي بين الخير والشر، ومنح زرادشت طلسماً يقيه غواية الشر التي حذره إياها أهورامزدا، ويؤيده في ساعات الحرج، وينقذه مما يقع فيه من ضيق، ذلك الطلسم هو الدعاء "مانترام" Mantram المسمى أهونافيريا Ahunavairya، وهو دعاء قصد به أن يحصن النفس، ويجعلها في أمان من الغواية والفتنة وها هي ذي ترجمته: "إن إرادة الرّب تقضي بإتباع قانون التقوى والاستقامة، وإن عطايا "فاهومانا" تُوهب لمن يعمل في هذا العالم الأعمال الطيبة حباً في "أهورامزدا"، وكل من يقدم المعونة للفقراء من إخوته، يمده أهوار بقوته"[2].

حقائق كبرى -في اعتقاد الزرادشتيين- وتحذير من غواية الشيطان، ووحي، وبجوار هذا الوحي المعلن له بالعقيدة الزرادشتية، يوحى إليه، ويؤمر بالذهاب لأناس معروفين عساهم أن يؤمنوا به، فيذبون عن دعوته، وهذا من دواعي هجرته.

---

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٤٥، الملائكة الستة العظام: هم أساطين عرش أهورامزدا نفسه، وسيأتي بإذن الله تعالى التعريف بهم حين الحديث عن الملائكة عند الزرادشتيين، ص١٦٧-١٧٠.

(٢) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٤٦.

هجرة زرادشت: (التماثل مع المهدي، والخميني)

كانت لزرادشت هجرتان: الأولى هجرة عزلة عن الوطن والناس، حتى تصفو روحه، وتشرق نفسه، وذلك قرابة عشر سنين إلى أن نزل عليه الوحي وكان من المصطفين الأخيار لدى أهورامزدا.

والثانية هجرته لتبليغ دعوته، بدأت هذه الهجرة عندما بلغ الثلاثين من عمره، ونزل عليه الوحي، "وأحس بشيء من اليأس حينما لم يظفر في بلاده بأتباع يدخلون في دينه، فهاجر إلى طوران والهند، وأخذ يجوب إيران كلها، وأبعد في السير حتى وصل إلى الصين"[1].

ويقول صاحب كتاب "الكامل في التاريخ"، عن هجرة زرادشت: "فسارت من أذربيجان إلى فارس والهند ثم أتى الصين والترك، وقصد فرغانة، فأراد ملكها أن يقتله فهرب منها". وظل يجوب البلاد حتى جاوز الأربعين من عمره، وإلى هذه الفترة لم تثمر دعوته أي ثمرة سوى أنه في العالم الحادي والأربعين –من عمره– "بدت في أفقه طلائع النجاح، فآمن به ابن عمه ميتيوماه Metyomah، وانتصر لدينه، فشد به أزره، وقوّى به دعوته"[2]. إضافة إلى ذلك "أن الأبستاق يذكر من بين السابقين الأولين من أتباع زرادشت رجلاً من الطورانيين اسمه افرايانا Frayana ويقال إن زرادشت قد نجح في زرادشته هو وأهل بيته"[3].

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٤، ٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٦-٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٩.

"ولما لم يستطيع زرادشت أن يؤثر في قومه [أكثر من هذا] هجر الميديين، وذهب إلى الفرس"(١)، بحثاً عن أمير أو حاكم يؤمن به وبما يدعو إليه، ووجد ما أراده في جهات إيران الشرقية"(٢). وكان ذلك -كما يعتقد الزرادشتيون- بوحي من أهورامزدا، فبعد "أن بلغ زرادشت الثانية والأربعين أوحى إليه أهورامزدا أن يتجه إلى كشتاسب ملك إيران"(٣). وعلى هذا، فإن زرادشت لما ضاق صدره ذرعاً لعدم إيمان قومه به، وتكذيبهم له، تركهم وذهب ليدعو أناساً آخرين، عسى أن تثمر دعوته فيهم، ويجني ثمار صبره. وكان في ظل هذا كله، يلجأ إلى ربه أهورامزدا، سائلاً منه العون، وراجياً منه الحول والطول، فذهب في طريقه إلى ملك إيران الملك كشتاسب، فدعاه وبعد محاورة طويلة وشديدة آمن به. ثم توالت جموع من الناس يلتفون حول زرادشت، ويؤمنون به.

هكذا كانت هجرته في ظاهرها هزيمة وفراراً، وفي باطنها تأييداً وانتصاراً!! أجل... كانت هجرته -في الحقيقة- بداية الفوز المكين، وغلبة الخصوم والمكابرين، فانحنت هاماتهم له إجلالاً وإكباراً، وخضعوا لعقيدته إذعاناً وانكساراً.

لقد كانت حياة زرادشت، كما ذُكر في روايات الزرادشتيين وكما ذكر ذلك بعض الباحثين في كتاباتهم، حافلة بالصبر والمثابرة، والعطاء والكفاح في سبيل نشر دعوته. ظل زرادشت على هذا الدرب طوال حياته إلى أن جاءته الحقيقة الكبرى التي يقف أمامها الجميع في صمت رهيب، وهم يعلنون الذل والانكسار والعبودية لقهار السموات والأرض وهو الله وحده... جاءته منيته،

(١) الحيني، في العقائد والأديان، ص١٦٣.

(٢) غانم، الزردشتية، ص٧٢.

(٣) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٤٩.

وحان أجله، وأدركه الموت. وبهذا كانت حياة زرادشت ذات نصيب في كتب التاريخ والأديان القديمة، حتى بدا التباين في آراء الباحثين حول شخصيته.

١- مقتل زرادشت وأثره على أتباعه:

بعد حياة مليئة بالجهاد في سبيل نشر الدعوة الزرادشتية، يحين أجل زرادشت. "ففي هيكل النار وأمامها هجم الأعداء على الثمانين كاهناً، وعلى زعيمهم زرادشت، وطعنوهم بسيوفهم، فخر الجميع صرعى، وسالت دماؤهم فلطخت جدران موقد النار"(١)، وقُتل زرادشت من قبل الطوراني "براتقاركش" Bratcarkch في المعبد.

٢- إيمان ابن عم زرادشت، والملك كشتاسب Vistaspa وحاشيته وقيام ملوك الفرس والدعوة الزرادشتية:

ظل زرادشت متوقد الحماسة، جميل الصبر، يتحلى بشيم المصلحين، ولم يفتر عن دعوته قط –رغم الذين آمنوا به في بادئ الأمر- سائلاً العون من إلهه، وداعياً إياه التأييد.

"وقد رأى زرادشت –في بدء دعوته- رؤيا فيها ابن عمه ميتيوماه يقود جيشاً عَرمرماً (كثيراً)، ويحارب في سبيل دعوته، وينتهي أمره بانتصاره على أعدائه"(٢).

وبانقضاء العشرة الأولى من سنين دعوة زرادشت، بدأت تتحقق رؤياه، أو على الأقل بدأ بصيص نور دعوته يبزغ وينتشر. فما إن بدأت "السنة الحادية عشرة بعد اجتلائه نور الحقيقة الإلهية، حتى بدت في الأفق طلائع النجاح، فها هو ذا ابن عمه ميتيوماه يلبي نداءه، ويهُب لنصرته، ومساعدته في نشر

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص١٠٤، حميد، عالم الأديان، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٢) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٧.

دعوته[1]، فكان أول من اعتنق دينه، فاتخذ زرادشت ابن عمه هذا صديقاً ووزيراً ووزيراً من أهله، يشد أزره، ويشاركه في أمره، ويؤيده في نشر دعوته، وهو يوقن أن رؤياه سيأتي لها يوم تتحقق كاملة، إن عاجلاً أو آجلاً.

ومن هنا كان إيمان ميتيوماه بدعوة زرادشت عاملاً مساعداً في نشر الزرادشتية، وبإيمان ابن عمه هذا يبدأ النصر ويستمر حتى آمن الملك كشتاسب. فلقد ذهب زرادشت إلى بلخ لدعوة أهلها وركز دعوته –أولاً- في القائم على أمورها وملكها كشتاسب –دون خوف أو وجل- لعله يؤمن، فتنقاد رعيته وحاشيته إذعاناً وإيماناً. وها هو ذا بين يدي الملك، وأمام حاشيته، حتى وصل إلى سرير الملك وبيده مجمرة، وجلس بجانبه، واشترك في الحديث، وظهرت عليه أمارات النباهة، والمهارة في الجدل والمناقشة، فغضبت الحاشية لذلك، فأرادوا أن يحطوا من قدره أمام الملك، فوجهوا له في اليوم التالي ثلاثة وثلاثين سؤالاً، لكنه أجاب عليها بلباقة فائقة مما أدهش الحاضرين، وأخمد أنفس الحاقدين، ولما خلا المجلس، تلا زرادشت على الملك بعض عبارات الأبستاق وعرض عليه دعوته، فأعجب الملك بها، وعظمت منزلة زرادشت عنده"[2].

ثم بدأ زرادشت في بيان دعوته للملك "وقال له: جئتك أيها الملك لأحول قلبك عن الأصنام الشريرة إلى مجد إله حق واحد خالد حكيم، فقال له: فما برهانك على صدق دعواك، قال زرادشت: أجمع لي الحكماء والكهان لأظهر النور الذي يبدد ظلامهم، والحق الذي يزهق باطلهم... فلما اجتمعوا سألوه عن عقيدته فقال: إلهي واحد هو أهورامزدا إليه الحكمة، والحاكم الأعلى للعالم، خالق كل

---

(١) المرجع نفسه، ص٦، غانم، الزرادشتية، ص١١٧.

(٢) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص١٠٥٠.

شيء وهو على كل شيء قدير. قالوا: وآلهتنا الشمس والقمر والنجوم والنار. قال: هذه ليست آلهة بل هي صنع الخالق القادر، ومثلها كمثل رجل بنى بيتاً، هل تصفون البيت أنه الرجل أم صنع الرجل؟"[1].

ومن خلال هذه المحاورة والمناقشة التي دارت بين زرادشت وهؤلاء الكهنة الذين يبدو أنهم المجوس، بانت عقيدة زرادشت في الإله، وأن مظاهر الطبيعة ليست آلهة، بل هي من صنع الإله الحكيم، وشتان بين الصانع والمصنوع، والخالق والمخلوق، فتميز الكهنة غيظاً، وانتفخت صدورهم ضغينة وحقداً، وبدا الشّر والغدر على قسمات وجوههم، وفلتات ألسنتهم.

وبعد أن كاد الملك كشتاسب يؤمن بدعوة زرادشت، أوقعوا بينه وبين زرادشت، وتقوّلوا عليه بأنه ساحر يتوصل إلى أغراضه بممارسة السحر الذي ينهي عنه الملك، ونجحوا في هذه الدسيسة، ووقع زرادشت في الشرك، ولبث في السجن عدة أيام، يتضرع إلى ربه أن يظهر الحق، ويكشف عنه السوء، واستجيب الدعاء، وتحقق الرجاء، وذلك لما مرض جواد الملك، وتقلصت قوائم الجواد الأربع، ودخلت في بطنه، ولم يظهر منها إلا أطرافها وعجز الأطباء أن يعالجوا الجواد، فأرسل الملك إلى زرادشت -بعد أن أشار عليه بعض الناس بذلك- وطلب منه أن يدعو ربه أن يبرئ الجواد من مرضه، فإذا تم له ذلك كان صادقاً فيما يدّعيه، فوافق زرادشت في مقابل قبول الملك لشروطه الأربعة، على أن يعقب تنفيذ كل شرط خروج إحدى أرجل الفرس من بطنه، فأذعن الملك لهذا الطلب، وكان الشرط الأول: أن يعلن الملك على ملأ من قومه دُخوله في دين زرادشت، والثاني: أن يقدم الملك ابنه اسفنديار قرباناً لدين زرادشت، فيجعل

---

(١) مظهر، قصة الديانات، ص٢٧٩، غانم، الزرادشتية، ص١١٨.

حياته وقفاً على نشر هذا الدين، والثالث: أن تدخل الملكة في دين أهورامزدا، والأخير: أن يطلق الملك سراح زرادشت، ويأخذ حقه ممن ظلمه، وبقبول الملك لهذه الشروط وتنفيذها، خرجت قوائم الجواد من بطنه"[1]. وبخروج قوائم الجواد الأربعة أذعن الملك كشتاسب لتنفيذ شروط زرادشت الأربعة، فآمن بزرادشت، وكذلك ابنه "اسفنديار" والملكة، وأطلق سراحه.

ومن هنا، كان إيمان كشتاسب من أعظم العوامل التي أيدت زرادشت، "فسارعت رعية الملك جميعها إلى الدخول في دينه، وجاء الناس من جميع أنحاء إيران إلى بلخ يبتغون اعتناق الدين الجديد". بل آمن به "رجلان من حاشية الملك، قُدّر لهما أن يكونا الحواريين المخلصَين للزرادشتية، المجاهدَين في سبيل نشرها والدفاع عنها، وهما "جاماسب" وزير الملك، و"فراشا أوسترا" أخو جاماسب والوزير الثاني للملك"، مما ساعد في نشر الزرادشتية، حتى قيل: إن جاماسب -هذا- نسخ بيده عدة نسخ من الأبستاق[2]. وبإيمان كشتاسب وحاشيته بدين زرادشت "أعلن الدين الزرادشتي الدين الرسمي للدولة"[3]. ولذا، نجد عبارات المدح والثناء لكشتاسب مدونة في بعض أسفار الأبستاق، ومنها: "لقد كان هذا الملك هو الذي صار لدين زرادشت- دين أهورامزدا -اليد اليمنى والسنده المقدس"[4].

كل ذلك ليطمئن قلبه من غبش عقيدة قومه، وفساد آلهتهم، ويزداد هو إيماناً

---

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٥١-٥٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٧.

(٤) جوزيف كاير، حكمة الأديان، ص٢٥٩.

في أن خالق كل هذا وغيره هو أهورامزدا ربه. كل هذه الأسئلة التي تنطوي تحت مناجاته السالفة الذكر، خرج منها بأن الذي أوجد كل هذا هو إله واحد حكيم.

بل إن أي فرد –في معتقد الزرادشتية- لا يستطيع أن يدخل في الزرادشتية إلا بعد الإقرار بوحدانية أهورامزدا في العبادة، وأخذ العهد على نفسه، وذلك بترديد العبارات الآتية: "لن أقدم على سلب أو نهب، أو تخريب أو تدمير، أو أخذ بالثأر، أقر أني أعبد أهورامزدا، واعتنق دين زرادشت، وألتزم التفكير في الخير، والكلام الطيب، والعمل الصالح"[1]. ولذا، فإن الزرادشتية –كما ذكر بعض الباحثين- لَتَعُد الوثنية والإشراك الجريمة لكبرى؛ لأنها تتضمن إنكار مبدأ وحدة الواحد أهورامزدا[2].

وعلى هذا، فإن الزرادشتية الأولى نادت بالتوحيد الذي خالطته الوثنية والشرك، فقد كانت نظرة زرادشت إلى الشمس والنار أنهما رمز للإله، يقول صاحب كتاب قصة الديانات: حتى تتقرب إلى أذهان الزرادشتيين صورة الإله فقد رمز زرادشت له برمزين ماديين مشابهين تقوى عقولهم على إدراكها، ويستطيعون بالتفكير فيهما وتصور صفات أهورامزدا على وجه التقريب.

هذان الرمزان هما: الشمس والنار، فالشمس في السماء تمثل روح أهورامزدا، والنار في الأرض هي العنصر الذي يمثل للناس تلك القوة العليا"[3]. لكن النظرة إلى هذين الرمزين قد تغيرت؛ فصار الزرادشتيون يتوجهون إليهما

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٨٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٦.

(٣) مظهر، قصة الديانات، ص٢٩١.

بالعبادة، بل اعتقدوا -فيما بعد- أن النار هي ابنة الإله.

تاريخ العقيدة الزرادشتية بعد زرادشت:

تبدأ هذه المرحلة فيما بعد زرادشت، وبخاصة حينما دخل المجوس في الزرادشتية، وكذلك بعد حرق الأبستاق، فلقد "ظل [دين زرادشت] سائداً حتى عام ٣٣١ ق. م إلى أن أخمده الإسكندر الأكبر بعد غزوه لإيران، وانتعش مرة أخرى في عهد الأسرة الساسانية عام ٢٢٦م"[١]. هذا وقد ذكر أحد الباحثين بداية هذه المرحلة فقال: "بدأ تحول الزرادشتية، وتبدلت هذه العقيدة في عام ٤٠٤ق.م"[٢]. وبهذا بدت العقيدة الزرادشتية في ثوبها الجديد تطل برأسها، فبداية حرفوا اسم الإله وما يهدف إليه، ولذا فقط "سموا إلههم أهورامزدا الإله الحكيم ثم سموه فيما بعد "أرمزد" [أهورامزدا] وهو الكائن الروحاني الأول"[٣].

ويبدو أن تحريف العقيدة بدأ عندهم من اسم الإله وما يرمي إليه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وليس هذا فحسب، بل نادوا بالتعدد وقالوا بإله الخير وإله الشر. يقول صاحب كتاب (الأسفار المقدسة): "يظهر أنه قد دخل الزرادشتية فيما بعد كثيرٌ من التحريف والتبديل، فانتهى بها الأمر في عصورها الأخيرة، إلى أن أصبحت ديانة مثنوية، أي تعتقد بوجود إلهين أحدهما "أهورامزدا إله الخير" والآخر "أهريمان إله الشر"[٤]. وتقول صاحبة كتاب (الدين في الصين والهند وإيران) "الإله الواحد لا يقف الآن منفرداً في قدرته، منفرداً في مطلقتيه، فإنما

---

(١) محمد علي، ديانات ومذاهب أهل العالم، ص١١٣.

(٢) السقّاف، الدين في الصين والهند وإيران، ص٢٩٧.

(٣) عبد القادر زرادشت الحكيم، ص٢٢.

(٤) عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص١٤٢.

أمامه وهو مصدر للخير، يقف له مناوئاً مصدرُ الشر..

وعلى هذه الساحة يقف أهورامزدا في ناحية، وفي مرتبة أدنى يقف أهريمان، وتحيط بأهريمان الكائنات النورية أو الملائكة، وتحيط بأهريمان الكائنات النارية أو الشياطين، وكل منهما -مزدا وأهريمان- يقف بجنوده لتؤلف هذه الجنود حزب الإله"، و"حزب الشيطان"، هذه هي الثنائية اللاهوتية"[1] في الزرادشتية، والحرب -بين الحزبين- سجال، والمعارك مستعمرة، إلى أن ينتصر له الخير على إله الشر -كما يعتقد الزرادشتيون- وتصبح الحياة خيِّرة.

يقول صاحب كتاب (عظماء قادة الأديان): "إنه منذ بدء الخليقة تقوم معركة مستمرة بين أهورامزدا إله النور، وأهريمان إله الظلام، يقول أهورامزدا: إنني أبداً لم أذق طعم الراحة من أجل رغبتي في أن تستمر حمايتي لهذا الكون الذي خلقته بيدي، وكذلك لم يسترح أهريمان من أجل رغبته في أن يحطم المخلوقات التي خلقها أهورامزدا"[2].

ها هو ذا التعدد الذي لحق الزرادشتية مؤخراً، وبدَّل العقيدة الزرادشتية الأولى أيام زرادشت، فالكون، في العقيدة الإسلامية، يستحيل أن يكون شركةً بين إلهين -أو بين أكثر من إله- إذاً لفسد نظام الكون، وتفكك إحكامه، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3]. وهكذا تطورت عقيدة الزرادشتيين في الإله، ووصلوا بها إلى الثنائية، بل -أكثر من هذا- تحولت صفات أهورامزدا إلى أشخاص، لهم القدرة

---

(١) السقاف، الدين في الصين والهند وإيران، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٢) شلبي، عظماء الأديان، ص٤١.

(٣) سورة الأنبياء، جزء من الآية رقم ٢٢.

على الخلق والإيجاد، والسيطرة على العالم -وذلك بالطبع- تحت رعاية الإله الأكبر "أهورامزدا".

"فبعد أن كان معبود زرادشت" "أهورامزدا" يحيط مكانه بالسموات كلها، وجسمه هو الضوء والمجد الأعلى، وعيناه هما الشمس والقمر، صُوّر بعده بصورة الملك الضخم ذي الجلال المهيب، يستعين بطائفة من الأرباب التي كانت تصور من قبل على أنها أشكال وقوى للطبيعة مثل النار والشمس والماء والهواء، والمطر والريح، وتحولت صفات "أهورامزدا" التي هي: النور والعقل الطيب والحق والسلطان والتقوى والخير والخلود من الصفات والمعاني المجردة إلى اعتبارها أشخاصاً سموها "أميشاسبندات" أو القديسين الخالدين[(١)].

وبهذا بدأت المرحلة الثانية للزرادشتية، وانتهت بصورة التعدد، وإشراك في الألوهية والعبادة، وانحرفت نظرتهم إلى النار والشمس، وأضحى كُل همّ الزرادشتيين إقامة هياكل النار في كل مكان، رغم ذيوع بيوت النار في حياة زرادشت، بل -كما ذكر بعض الباحثين- "كان زرادشت نفسه- في أثناء سنوات رسالته -يجول في البلاد، ويقيم هياكل النار، فكان يحمل الشعلة الموقدة من هيكل إلى آخر"[(٢)].

وعلى هذا الرأي إذا كان زرادشت عمل -فعلاً- على إقامة هياكل النار، وأمر بذلك، فإن الزرادشتيين على المثل صاروا، والبون شاسع بين الهدف من إقامة هياكل النار قبل زرادشت وبعده، وبين إقامته -نفسه- لهياكل النار، وذلك من خلال دراسة عقيدته ومناجاته لأهورامزدا، ومن خلال معتقدات الزرادشتيين

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٢، ص٤٢٨-٤٢٩.

(٢) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٨٦.

في الوقت الحاضر، فهؤلاء أقاموا هياكل النار بغية العبادة، والخضوع لها، والنظر إليها على أنها كائن حي مزود بحياة وروح، وزرادشت أقامها بغية أن يقرب حقيقة الإله أهورامزدا إلى أذهان الناس، وعقول متبعيه. الأمر الذي جعل بيوت النار تبلغ كثرة كاثرة قبل وبعد زرادشت وراجت[1]، وفي النهاية عبدوا هذه النيران الموقدة بداخل هياكلها عُبدت على أنها ابنة الإله أهورامزدا، وحافظوا على إشعالها وإضرامها، وأوصوا ببعض الآداب أثناء الوقوف أمامها، وتوجهوا بالدعاء إليها، وكذلك قدسوا الشمس وعبدوها.

عقيدة المخلص ،المهدي المنتظر:

لقد بدأ العقل الزرادشتي يفكر كيف يتخلص من مشكلة الزمن المحدد عندهم وانتهائه، وإلا فستقع الزرادشتية ونبيها وهم في حرج؟! فقالوا: "إن الفكرة التي علقت بالذهن عن موت زرادشت خاطئة؛ لأن زرادشت لم يمت إلا في الظاهر، وإنما هو حي، أما إذا سأل أحد أين؟! فالجواب؛ إن زرادشت قبل أن يقضي نحبه نزل للاغتسال في البحيرة المقدسة، فنزلت في مياهها بذرته الخصبة، ومن ثم فهو بها وفيها حي، وستظل هذه البذرة في هذه البحيرة المقدسة ثلاثة آلاف سنة من بعد زرادشت حتى قبيل نهاية العالم، فإذا ما حان الحين نزلت عذراء طاهرة البحيرة للاغتسال فتتعلق هذه البذرة بها، وتحمل بمن سيجيء إلى العالم مخلصاً وهادياً، وينعت بـ"ساؤشيانت" أو المهدي، وبه ستنتصر العدالة، ويمحق الشر فترة من الزمن مقدارها سبعة وخمسون عاماً، وبانتهائها ينتهي الوجود، وعلى أثر ذلك يبدأ البعث، فصارت عقيدة عندهم أن يوم البعث

(١) الإمام الألوسي، روح المعاني، مج٧، ج٩، ص١٢٣.

مرهون لا بذكرى موت زرادشت، وإنما بظهور المهدي المنتظر"[١]، ومن هنا ينتظر الزرادشتيون "ولادة ساؤشيانت" المظفر من بحيرة كاسو"[٢].

وعلى هذا ففكرة المخلص أصبحت عقيدة الزرادشتيين، "ولكن الفكرة قد أخذت أشكالاً جديدة خلال الفترة اللاحقة، ففي العصر الأخميني قال اللاهوتيون بظهور ثلاثة مخلصين، وذلك في نهاية كل ألفية من الألفيات الأخيرة من عمر الزمن الأرضي.

في نهاية الألفية الأولى يظهر المخلص المدعو "أوخشاتريتا"، وفي نهاية الألفية الثانية يظهر المدعو "أوخشيا تنيما"، وفي نهاية الألفية الثالثة يظهر المخلص "شاو شنياط" [أي ساؤشيانت] من نسل زرادشت من عذراء البحيرة، ولكن هذه التصورات اللاهوتية اللاحقة لم تتأصل في صميم المعتقد الشعبي، وبقي الناس مثبتين قلبهم [قلوبهم] على المخلص الأخير منتظرين ظهوره"[٣]. أي المخلص ساؤشيانت، ولم يكتف الزرادشتيون بهذا، وإنما اعتقدوا بالحلول.

الحلـول:

يعتقد الزرادشتيون أن روح الإله أهورامزدا قد حلَّت في زرادشت، فيعتقد قدامى الزرادشتيين "أن زرادشت هو من جوهر روح الله، التي تقمصت جسد هذا المخلوق البشري، بعد أن مر جوهر الروح بسلسلة الكائنات والأجرام العلوية، وحلت في رحم المرأة التي قُدر لها أن تكون أُمّاً لهذا الرجل الرباني،

---

(١) السقاف، الدين في الصين والهند وإيران، ص٣٠٩-٣١٠.

(٢) غانم، الزرادشتية، ص١٦٠.

(٣) السواح، الرحمن والشيطان، ص٨٨-٨٩.

وتروي الأساطير أن أمه كانت تشع نوراً وإجلالاً مما يبعث الرهبة في قلوب من رأوها، وتزوجت من رجل يُدعى "بوروشاسبا" الذي تبدى له شبحان نورانيان وهما (وهمونو) فوهمان Vohuman، وآشافاهيست Ashavahist (آشاوهيشتا)، إلا أن وهومو يكشف له عن شخصيته، ويُقدّم له غصناً من أغصان نبات الهوما ليحمله إلى داره، ويقدمه إلى زوجته بعد أن يمزجه باللبن؛ ليشرب هو وزوجته، فتحمل بزرادشت"[1]، الكائن الروحاني. ومن هنا صارت أسطورة حمل زرادشت وولادته معتقداً عَلِق بأذهان الزرادشتيين بأن روح الإله أهورامزدا حلت في رحم الأم، ثم في جسد الابن زرادشت.

وعلى هذا، فقد بدا واضحاً جلياً معتقد الزرادشتيين في نبيهم زرادشت، من خلال أهم النقاط البارزة في حياته.

الزرادشتية والغيبيات:

خطت الزرادشتية خطوة أخرى نحو العقيدة في الإيمان بالسمعيات، وهي الأمور التي تتعلق بالسّماع، ويتم الإيمان بها غيباً وسماعاً، فلا تُرى بالعين المجردة ولا بغيرها، ولكن تؤخذ سماعاً ويؤمن بها غيباً. ومن الأمور السمعية التي آمن بها الزرادشتيون -إجمالاً وتفصيلاً في بعض الأحيان- الملائكة والشياطين، واليوم الآخر. ونظراً لأنه لا يوجد في مصادر الزرادشتيين ولا في المصادر التي تحدثت عنهم -بالنسبة للأمور الغيبية السمعية- سوى الحديث عن الملائكة والشياطين، وبعض أمور اليوم الآخر. فإن هذا المبحث يحتوي على نقطتين:

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٣٣-٣٥.

١- الملائكة والشياطين[١]:

يؤمن الزرادشتيون بأن لأهورامزدا ملائكة موكلين بأمور عدة من أمور الدنيا، وأن ثمة شياطين تقف في وجه كل خير وتعترضه، بل تغوي وتغري بالشر، وتحاول إفساد الكون.

أولاً: الملائكة:

-عندهم- منهم الذكور ومنهم الإناث. يقول صاحب كتاب (الديانة الزرادشتية): "نجد في الزرادشتية إناث الملائكة اللائي يقدسهن الرجال والنساء على حد سواء"[٢]، ويذكر صاحب كتاب (تاريخ الزرادشتية): "وردت أسماء في الأفستا الحالية تحمل ذكور الملائكة وهم فوهوماناه، وآشا، وخشاترا، وأسماء تحمل إناث الملائكة وهن أرميتي، وهورفتات، وأميريتات[٣]. وعالم الملائكة عند الزرادشتية يمتاز بالحصافة والروحانية والخير المطلق وهم على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الأميشا سبندات (الأميشا سبينتا): الخالدون المقدسون:

وهؤلاء "ينفذون أوامر أهورامزدا، وكل واحد منهم موكل بحماية عنصر -أو أكثر- من عناصر الطبيعة، وعددهم ستة ملائكة، ورغم أن لهم تجسيدات إلا أنها تعتبر مظاهر للصفات الأهورامزدية، فهي تجليات القدرة الإلهية وأسمائها

(١) غانم، الزرادشتية، ص١٦١.

(٢) سوراجي، مرجع سابق، ص٩٠.

(٣) غانم، الزرادشتية، ص١٦٢.

العديدة"[١]. فهذه الملائكة الستة تمثل وجود أهورامزدا -على حد زعمهم- وهم على التوالي[٢]:

١- وهومنو - فوهوماناه (بهمن) "ويعني الروح الخيرة، العقل الخير، روح الطبيعة الخيرة، وهو الذي أوحى لزرادشت الأناشيد (الترانيم)، اتخذ في البداية موقفاً متقدماً رئيساً للملائكة الستة، ومن ثَمَّ دُفِع إلى موقعٍ تابعٍ ليتقدم عليه آشا، وكان وهومنو اسم اليوم الثاني والشهر الحادي عشر"[٣].

وفوهوماناه: هو الذي علّم زرادشت الحكمة؛ لأنه هو الحكمة، "ومسكنه في السماء مع مزدا وآشا، وعن طريقه يصل الإنسان إلى الفردوس، "وذلك حين يعارض الأعمال الشريرة".

وفي الأفستا نص يمدح الملَك "إلى فوهومانو الذي أكثر قوة للتحطيم من كل المخلوقات الأخرى، وإلى الحكمة التي اكتسبها من قبل مزدا"[٤].

٢- آشا (اردیبهشت): "وقد ذكرت أحياناً بإضافة صفة إليها "آشا وهيشتا"، وتعني الروح الحق، الدين الحق، الصدق والاستقامة، وهو الأكثر عطفاً وحسناً، والموكل على النار، وهو اسم اليوم الثالث والشهر الثاني لدى الزرادشتيين"[٥]،

---

(١) غانم، الزرادشتية، ص١٦٧.

(٢) يذكر العلامة الشهرستاني: إن أول ما خلق من الملائكة -في معتقد الزرادشتيين- هو بهمن ثم أرديبهشت، بنفس الترتيب المذكور، راجع العلامة الشهرستاني، الملك، ١، ص٢٨٧.

(٣) غانم، الزرادشتية، ص١٥٩.

(٤) المرجع نفسه، ص١٦٢.

(٥) المرجع نفسه، ص١٦٢.

وفي الأفستا: "إلى فاهيشتا (آشا وهيشتا) الأعدل".

٣- "وهوخشترا (شهريور): أي روح القدرة الإلهية الكاملة والسلطة والجبروت الرباني، وهو موكل على المعادن، ويطلق اسمه على اليوم الرابع والشهر السادس، فالملك خشترا موكل على المعادن، وهو روح قدرة أهورامزدا، ومن هنا فهو "يحمل اسم أحد كبار الملائكة الذي يمثل عظمة أهورامزدا". وفي الخردة: "إلى خشاترا، إلى المعادن، إلى الرحمة والصدق"[(١)].

٤- سبنتا آرميتي (سبندارمذ): أي روح الخير والطاعة والتقوى والورع والمحبة وهو موكل بالأرض، ويطلق اسمه على اليوم الخامس والشهر الثاني عشر، وفي الأناشيد يُفهم من كلمة آرميتي معنى الإرادة أحياناً، وفي الأفستا: "إلى سبنتا آرميتي الجيد الذي أصبح مقدساً من قبل أهورامزدا"[(٢)].

٥- "هروتات (خرداد): روح الكمال والسعادة والصحة، موكل على المياه، ويطلق اسمه على اليوم السادس والشهر الثالث"، وفي الخردة "إلى هورتات السيد، إلى ازدهار الفصول، وإلى السّنوات"[(٣)].

٦- "امرتات (مرداد): روح ومظهر الخلود الإلهي والأبدية ودار الخلود، وهو موكل على النباتات، ويطلق اسمه على اليوم السابع والشهر الخامس، ويذكر دائماً اسمه مع هروتات، فهما يترافقان دائماً، وعلاقتهما متينة مثل علاقة المياه والنبات"، ومن هنا قال صاحب كتاب تاريخ الزرادشتية: "هورفاتات

---

(١) غانم، الزرادشتية، ص١٦٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٥.

(٣) المرجع نفسه، ص١٦٣.

وأميريتات الزوج المتلازم للكمال والخلود، ويشكل هورفاتات وأميريتات زوجاً روحياً غير قابل للذوبان، وفي الأفستا تمجيد لأمرتات: "إلى أميرتات السيد، إلى السمنة والقطعان، إلى الكثير من الحبوب"[1].

فالأسماء الستة السابقة هي أسماء الملائكة الخالدون (الأميشا سبندات)، -وكما ذكر آنفاً. منهم ثلاثة ذكور وهم الأول والثلاثة الباقون إناث: "الذكور يقفون عن يمين العرش، والإناث يقفن عن شمال العرش" -كما يعتقد الزرادشتيون- "وتدل أسماؤهم على أنهم ليسوا إلا خصائص مجسدة للإله، فهم: فوهومانا الفكر الحسن، وآشافاهيشتا الحقيقة الناصعة، وكشاترا فايرا الملكوت القادم، وسبينتا آرميتي الإخلاص، وهورفات الكمال، وإيرميتي الخلود، وقد شارك هؤلاء الخالق -على ما يعتقدون- في ما تلا من أعمال الخلق والتكوين، وصاروا حافظين لخلق الله ووسطاء بينه وبين الناس، وجميع مظاهر الوجود، ثم إن الأميشا سبنتا خلقوا عدداً من الكائنات القدسية الطيبة تُدعى بالأهورا، فعهد إليهم أهورامزدا بمهامهم، وأوكلهم بمكافحة الشر، كل في مجال.

لأجل هذا وغيره، كان هؤلاء الستة خالدين ومقدسين، وتربعوا على الدرجة الأولى بين الملائكة[2].

الدرجة الثانية الأرواح الخيرة الفرافاشي Faravashes:

لم ينته تعداد الملائكة وأصنافهم عند الزرادشتية بصنف اليازاتا، بل يؤمن الزرادشتيون بوجود مجموعة أخرى من الكائنات، وعددها كبير جداً وهي الأرواح المجردة الفرافاشي، وهي أرواح العادلين المؤمنين، وفي الوقت نفسه

---

(١) إسماعيل، الديانة الزرادشتية، ص٣٥.

(٢) غانم، الزرادشتية، ص١٦٤.

نماذجهم السماوية تتولى حراسة ورعاية كل رجل وامرأة وطفل من المؤمنين، وتصارع تجسد الشر، إذ أنهم يبدون كأنهم فرسان مسلحون يحمون السماء، وهم يقومون بمساعدة الإله"[1]، في التغلب على قوى الشر، والوقوف بجوار الزرادشتيين -كما يدعون- وهذه الأرواح الخيرة نظراً لما تقدمه من خير للمخلوقات، وتدفع عنهم الشر -كما يعتقدون- فإن الزرادشتيين يتوجهون إليها بالدعاء والتضرع والعبادة، بل يقرون لها بعبادتهم إياها، وذلك في بعض احتفالاتهم الدينية[2].

وكيف لا، وهذه الأرواح الخيرة -كما يعتقدون- "الفرافاشي موجودة لدى كل مؤمن وعادل، ويوم يموت المرء تعود هذه الروح التي هي من ذرات النور الإلهي إلى مقرها العلوي، وهي تتميز عن روح الإنسان بأنها لا تقدم حساباً عن أعمالها؛ لأنها طاهرة وترشد المؤمن إلى طريق الحق والصواب دائماً[3]"؟! وهناك جماعة "الأرواح المقدسة تتألف من ستة ملائكة ذكور، وست ملائكة من الإناث"[4]، ملائكة كثيرون الأمر الذي جعل بعض الباحثين يذكر أن الزرادشتيين "يطلقون أسماء على ألف ملاك يعيشون في السماء"[5].

وهكذا، فإن الملائكة -على اختلاف درجاتها- كائنات خيرة تحفظ أشياء كثيرة في الكون، وتقف وجهاً لوجه ضد الشيطان، وتعاون الإله.

---

(١) إسماعيل، الديانة الزرادشتية ص٤٠-٤١.

(٢) غانم، الزرادشتية، ص١٦٥.

(٣) إسماعيل، الديانة الزرادشتية ص٤٢-٤٣.

(٤) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٩٢.

(٥) مظهر، قصة الديانات، ص٢٩٥.

ثانياً: عالم الشياطين:

الشيطان في الزرادشتية هو رأس الشر، ومنبع الإثم، وباعث الفساد، ويسمى في الزرادشتية أهريمان (أهرمان) وهي: كلمة فارسية يراد بها "إله الشر، شيطان"(١).

وعلى هذا فإن، أهريمان هو "مبدأ الشر والروح المدمر، وأول من أدخل الموت -كما يعتقد الزرادشتيون- إلى العالم عندما قاد قوى الشر ضد سبنتامينو Spenta Mainyu"(٢).

والشيطان أهرمان هو إله الشر في معتقد الزرادشتيين، وهو يقف نداً ومناوئاً لأهورامزدا، لكن أهرمان محدود في المكان والزمان(٣). والشيطان بداية "يستنهض عدداً من الكائنات المتفوقة تدعى بالديفا، ويعمد إلى ضلالتهم، فانحازوا إلى جانبه، وراحوا يتهيئون للانقضاض على كل عمل طيب يصدر عن الله، [الإله عند الزرادشتية] ومن هنا تم تكوين عالم الشياطين قبل أن يظهر العالم المادي(٤).

والديوات عموماً هي تجسيد "لكل الصفات والمزايا السلبية التي يتمتع بها الإنسان مثل الكذب والغضب، والطمع والجشع.، وأن كل ما يعتري الإنسان والطبيعة من موت وجذب وضعف ومرض تسببه هذه الشياطين، ومن خلال

---

(١) غانم، الزرادشتية، ص١٦٦.

(٢) عبد الفتاح، مرجع سابق، مج١، ص٦٥.

(٣) العقيدة في الإله، ص١٥٢.

(٤) السواح، الرحمن والشيطان، ص٨٤.

الإيمان والطهارة، يتم التخلص من المرض والشيخوخة والجدب والقحط، ومن هنا، فلا يُقدم لهم العبادة في أي مكان"[1].

وعلى هذا، فإن عمل أهرمان وأعوانه، يكمن فيما اشترطه على نفسه. يقول صاحب كتاب (الملل والنحل): "واشترط الشيطان أهرمان لنفسه وشياطينه ثمانية عشر شرطاً: الأول: أن تصير معيشة خلقه من خلق الله، والثاني: أن يكون ممن خلقه على خلق الله، والثالث: أن يسلط خلقه على خلق الله، والرابع: أن يخلط جوهر خلقه بجوهر خلق الله، والخامس: أن يصير له السبيل إلى أن يأخذ الطين الذي في خلق الله، والسادس: أن يصير له من النور الذي في خلق الله ما يريد، والسابع: أن يصير له من الرياح التي في خلق الله حاجته، والثامن: أن يصير له من الرطوبة التي في خلق الله، والتاسع: أن يصير من النار التي في خلق الله، والعاشر: أن يصير له من المودة والمصاهرة التي في خلق الله ليخلط الأشرار بالأخيار، والحادي عشر: أن يصير له من العقل والبصر الذي في خلق الله ليعرف خلقه مسالك المنافع والمضار، والثاني عشر: أن يصير له من العدل ليجعل للأشرار فيه نصيباً، والثالث عشر: أن تخفى على الناس معرفة عمل الصالحين والأشرار إلى يوم القيامة، والرابع عشر: أن يصير له السبيل إلى أن يبلغ بأهل بيت الشر غاية الغنى، ويصيرهم عند الناس صالحين، والخامس عشر: أن يصير له السبيل إلى أن يجعل كذب الأشرار مقبولاً على الأخيار، والسادس عشر: أن يصير له السبيل إلى من أراد من أهل الأرض أغنياء أقوياء ألف سنة أو ثلاثة آلاف سنة، وأن يلهم الناس إعطاء الأشرار أكثر من إعطاء

(١) إسماعيل، الديانة الزرادشتية، ص٤٤.

الأخيار، والسابع عشر: أن يصير له السبيل إلى إفناء الصالحين، الثامن عشر: أن يملك أمر من يحيي الأموات ويبقي الأخيار، وينفي الأشرار إلى يوم القيامة"[1].

ومن هنا فأهرمان -عند الزرادشتية- له أعوان وجنود كثيرون، وكل شيطان موكل على رذيلة من الرذائل، وله ابن يدعى "اره زورا" الذي ورد اسمه في الفنديداد فعندما سأل زرادشت أهورامزدا "أي مكان تخزن فيه الأرض أكثر؟ أجاب هرمزد: هو في مضيق "اره زورا" يا سبيتاما زرادشت حيث تتصاعد رمز الشياطين من حجر الدروج، فالشيطان اره زورا في معتقدهم- "ابن أهريمان قتله كيومرث أول البشر، وانتقاماً على هذا القتل صار كيومرث عرضة لضربات أهريمان"[2].

ويوجد شيطان الوثنية وهو ذكر وأنثى، وقد ورد اسمه في الفنديداد أيضاً "ضربت (بوئيذي)، ضربت بوئيذ يزا"، ومن ثم فإن الزرادشتيين يعتقدون أن كل فساد وبلاء وشر ومرض في هذا الوجود من فعل الشيطان، بل له شيطان خاص به، وهم كثيرون[3].

وهناك عدا الشياطين "زمرة من الكائنات الشريرة مكونة من الدروج ومن أتباعه المسمين باسمه، والدروج الكذب، ومن جملة الدروجات الـ(نسو)، وهي شيطان تسبب فساد الجثث، وهذا أقذر الأعمال -في معتقد الزرادشتيين- تتخذ لأجل الدخول في الجثث صورة ذبابة، والـ(ياتو) هم سحرة، والـ(بائيريكا)

---

(١) الشهرستاني، الملل، ج١، ص ٢٨٩.

(٢) غانم، الزرادشتية، ص١٦٨.

(٣) المرجع نفسه، ص١٦٩.

"برى": هن الجنيات يؤثرن تأثيراً سيئاً في التراب والماء والنار وبالماشية والنبات، ويسحرن النجوم كي لا تمطر، ويجعلنها تسقط شهباً[1].

وعلى هذا، فإنه يوجد جم غفير من الشياطين -في معتقد الزرادشتيين- والأرواح الشريرة والمسماة بالدروج والنّسو، وجميعهم يسعى لإفساد الكون وما فيه، والأرض وما فيها ومن فيها، حتى قيل: إنهم -وذلك في معتقدهم- بلغوا "٩٩٩٩ شيطاناً أسود يساعدون روح الشر في الجحيم تحت الأرض"[2].

وأهريمان وجنوده يحاولون إفساد الكون، ويعيثون في الأرض فساداً، وإذا سأل أحد ما هي الشرور التي يستخدمها أهرمان الشيطان لإفساد الكون؟! يجيب العقل الزرادشتي قائلاً: "إنها أشهُر الشتاء التي تجمِّد الماء والأرض، وتؤخر الأشجار عن إنضاج ثمارها، وغيرها من النباتات المفيدة للجنس البشري، كما يستخدم الأفكار الشريرة، والشك في الخالق وإنكاره، والكسل والفاقة، وكذلك عبادة الأوثان والتصاوير، والشعوذة، والأذى، والظلمة والروائح النتنة، والدمار والوباء، والحيوانات المتوحشة، والدبور السام، والأفعى الضخمة[3].

عودة المهدي:

ومن مظاهر تأثر التشيع بالديانات القديمة فكرة المهدية. كان أول من أطلقها هو المختار بن عبيد الثقفي على محمد بن الحنفية[4] بوصفه صورة جديدة

---

(١) المرجع نفسه، ص١٧٠.

(٢) مظهر، قصة الديانات، ص٢٩٥.

(٣) غانم، الزرادشتية، ص١٧٠.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٥٠٩.

من محمد ﷺ للتشابه القائم بينهما في الاسم والكنية[1]. ولما مات ابن الحنفية قالت الكيسانية-من بقايا أنصار المختار- برجعة ابن الحنفية. وقد ربط جولد تسيهر هذه الفكرة برجعة إيليا وماسينيون بالفرس[2]. وما لبثت فكرة المهدية أن صارت من طابع الشيعة عموماً فصار كل إمام شيعي من شتى الفرق مهدياً: إما في حياته أو مماته ليعود من جديد[3]. ولما حل القرن الثالث وأُعلنت غيبة المهدي الاثنى عشري أُدخل فيها تطور جديد هو وَصْلُ ظهوره بنزول المسيح، وذلك لكون المهدي ابن امرأة من نسل الحواريين. وكانت هذه الفكرة الأخيرة إسلامية متصلة بالمسيح ومستقلة عن المهدية[4]. ومما يؤكد الأثر المسيحي في فكرة المهدي عند الشيعة ما قاله ابن بابويه القمي (من علماء القرن الرابع الهجري) بأن الحسين لم يقتل وأنه شبه للناس كعيسى بن مريم[5].

ويعلق آدم متز على انتشار أفكار الرجعة والتناسخ بين الشيعة بقوله: "ومثل هذه المقالات وخصوصاً القول بالرجعة والتناسخ يوجد في مذاهب الغنوصيين المسيحيين. وكثيراً ما نجد في العراق حوالي عام ٣٠٠هـ. من يقول أن اللاهوتية اجتمعت في عليٍّ... كما اجتمعت في عيسى عليه السلام من قبل.. وكذلك ذهب الشيعة في السيدة فاطمة.. إلى ما يشبه صفات السيدة مريم"[6].

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٦٦.

(٢) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج١، ص٢٢.

(٣) انظر: فرق الشيعة، ص٢٠، ص٢٤، ص٢٦.

(٤) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج١، ص٢٢.

(٥) متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص١٢٦ نقلاً عن ابن بابوية.

(٦) متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص١٢٥-١٢٦.

ويقول جولد تسهير "فعند اليهود والنصارى أن النبي إيليا قد رفع إلى السماء وأنه لا بد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة الحق والعدل. ولا شك أن إيليا هو الأنموذج الأول لأئمة الشيعة المختفين الغائبين.. والذين سيعودون يوماً مهديين منقذين للعالم"[1].

المهدوية وخصوصية إيران المذهبية الفارسية:

كان دخول إيران تحت راية الإسلام بعد جهاد وقتال شديد. فقد كانت معركة القادسية من أعظم الملاحم التي انتصر فيها الحق على الباطل.

كان موقف أهل بلاد فارس من الإسلام واحداً من أمرين: فئة اعتنقت الإسلام عن عقيدة لاعتقادها بمبادئه الهادية التي ستخلصها من الجبروت والطغيان الساساني ومن الطبقية الاجتماعية المغلقة ومن فداحة الضرائب المفروضة عليها فهي إذن أمنت بدعوة الإسلام للعدالة والحرية بصدق ويقين. وفئة تعلقت بعقيدتها المجوسية وتمسكت بشعائرها الفارسية ولم تعر أية أهمية لمبادئ الإسلام الجديدة. وهؤلاء كما يؤكد كتّاب الفرق نوعين منهم "إما راموا كيد الإسلام بالمحاربة"، أو أنهم "رأوا أن كيده على الحيلة أنجح فأظهر قوم منهم الإسلام"[2]. أي تستروا بالإسلام ورفعوا شعاراته لتحقيق طموحاتهم في عودة "الدولة إلى ما كانت عليه أيام العجم" قبل الإسلام.

ولا بد لنا أن نستدرك ونشير هنا إلى ظاهرة تشمل الفئتين من أهل فارس وهي أن الدعوات الجديدة –ومنها الدعوة الإسلامية- تحتاج إلى وقت ليس

(١) جولد تزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢١٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٤، ص١٩٠ – ١٩١.

بالقصير لكي تهضم وتتمثل في وجدان الناس وعقولهم. ومعنى ذلك فإن الدعوة القديمة (المجوسية) لا بد أن تصارع الدعوة الجديدة (الإسلام) صراعاً يختلف من إقليم إلى إقليم ومن جماعة إلى أخرى في بلاد إيران نفسها. وقد ظهرت آثار هذا الصراع بين القديم والجديد في ناحيتين مهمتين في بلاد فارس: في تطور الإسلام عقيدةً أولاً وفي تطور تاريخ إيران السياسي والاجتماعي، ثانياً عبر العصور الوسطى الإسلامية. ولا يمكن لأي مؤرخ البحث في هاتين النقطتين دون أن يفهم أبعاد هذا الصراع الذي كان جلياً حيناً ومستتراً أحياناً أخرى.

إن هذه الفئة التي تسترت بالإسلام ورفعت مبادئه شعاراً ظاهرياً دون أن تؤمن بها هي التي تمثل التيارات المجوسية في إيران سواء كانت مزدكية أو مانوية، التي حولت سخطها على الساسانيين إلى سخط وثورة على العرب المسلمين الذين – وحسب رأيهم أيضاً- لم يبدلوا شيئاً يذكر في الأوضاع القائمة وحالفوا الزرادشت والدهاقين على حساب جماهير الإيرانيين. ثم بعد ذلك كله – ومن نفس وجهة النظر الفارسية المتسترة بالإسلام -فإن حكم العرب المسلمين يُعد حكماً أجنبياً لبلاد فارس[(١)].

لذا فقد وجد الفرس في التشيع بغيتهم. حيث التف هؤلاء حول آل البيت طمعا في إعادة أمجاد الماضي من خلال إضفاء الشرعية على فكرهم وعقيدتدهم. وقد حاول الفرس أن يسبغوا العقائد الدينية التى أمنوا بها وقولبوها حول مفهوم التشيع بما يوافق عقائدهم ومبادئهم التي اعتادوا عليها.

لقد دخل الفرس الإسلام بكل ما تحمله العقلية الفارسية من رواسب الديانات الزرادشتية والمزدكية، وما نشأ عنهما من علاقات وثيقة بين الدين

(١) المرجع نفسه.

والسياسة [1]. فقد استطاع أكاسرة فارس- ولأغراض السياسة- أن يوائموا بين الدين والسياسة من خلال تبني الفكر الديني وخاصة الزرادشتية وجعلها دينا رسميا لأهل فارس وخاصة في الفترة الساسانية.

لقد نجحت جهود الأكاسرة في نشر فكرة تأليههم بين أفراد شعبهم، حتى صار ذلك اعتقاداً لا يقبل النقاش في الوجدان الفارسي، بحيث اعتقد الفرد الفارسي بأن الأكاسرة تجري بعروقهم دماء إلهية، وأنهم فوق البشر، وفوق القانون، فكانوا يعظمونهم؛ فكان الرجل إذا دخل على كسرى ارتمى ساجدًا على الأرض، فلا يقوم حتى يؤذن له. خلقت الهالة القدسية التي أحاط بها الملوك الساسانيون أنفسهم، الحاجة إلى وسيط بين هؤلاء الملوك وبين العالم الخارجي، وقد كان هذا الوسيط هو كبير الوزراء[2].

لذلك، فإن الفرس لم يستطيعوا- بقصد أو بغير قصد- التخلي عن الأفكار والمعتقدات الدينية القديمة القائمة على تقديس الحاكم وتأليهه. فنجد صدى هذا التقديس واضحا في عقيدة الإمامة الغالية والتي تصل حدودها وأبعادها إلى تقديس أئمة آل البيت.

فالصفوية بدأت طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ صفي الدين الاردبيلي (ت ٧٣٥ هـ- ١٣٣٤م) الذي اشتهر في مدينة أردبيل بإيران وعرف عنه الوعظ والإرشاد حيث كان مريدوه يعرفون (بالإخوان) وقد ازداد عددهم في أذربيجان ثم انتشر من هناك إلى الأناضول[3].

---

(١) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٥١-٦١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٥٣؛ خطّاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٠.

(٣) أبو مغلي، إيران، ص ٢٤٤.

لم يكن الشيخ صفي الدين الأردبيلي من ذوي الطموحات السياسية ولم يستغل الدين لأغراض دنيوية وكذلك كان ابنه صدر الدين، إلا أن أول من استغل الدين لتحقيق مكاسب سياسية من هذه الأسرة هو الشيخ جنيد بن علي بن صدر الدين الصفوي الذي رفع شعار التشيع لآل البيت للتمويه على أهدافه ومخططاته. وقد أصبح لهذه الطريقة الصفوية تنظيمات ومراتب فكان الأتباع والمريدون يدعون بالدراويش ويضعون على رؤوسهم قلنسوة مخروطية مصنوعة من الجوخ الأحمر ولذلك عرفوا (بالقزل باشية). ويعد الشاه إسماعيل بن حيدر بن جنيد الصفوي مؤسس الدولة الصفوية في إيران التي تبنت التشيع بطبيعته الصوفية.

فبعد أن سيطر الشاه عباس على الحكم في إيران سنة ٩٠٧ هـ/ سنة ١٥٠١م أعلن المذهب الإمامي مذهباً رسمياً لدولته لأسباب سياسية ومصلحية بحتة رغم أن أكثر سكان إيران كانوا على المذهب الشافعي، وقد أنذر الناس بقوله: "إنني لا أخاف أحدا.. فإن تنطق الرعية بحرف واحد فسوف امتشق الحسام ولن أترك أحدا على قيد الحياة".

لقد استطاع الصفويون تأسيس دولة إيران ومعنى ذلك أنهم سخروا كل الإمكانات المادية والبشرية والاقتصادية لدى شعوب إيران لخدمة أغراضهم وسياساتهم. كما أن الصفويين رفعوا شعار "التشيع لأسباب سياسية " كذلك فحرفوه وأساءوا إليه تماماً كما فعل الباطنية والغلاة قبلهم. ومن المعروف أن الصفويين ليسوا فرساً بل هم من قبائل التركمان في أذربيحان وشمالي غربي إيران وشرقي الأناضول ولكنهم ما أن سيطروا على مقاليد الحكم في إيران حتى تبنوا العقدة الفارسية ضد العرب فكانت سياستهم في عهود ملوكهم معادية للعراق والأحواز وعرب الخليج العربي. كما أنهم من جهة ثانية أكدوا على

المفهوم الفارسي للتشيع وجعلوه مذهباً رسمياً لهم بل أكثر من ذلك أدخلوا عليه طقوساً وتقاليدَ وبدعاً جديدة فوسعوا الشقة بينه وبين التشيع العربي أكثر مما فعل البويهيون والإسماعيلية قبلهم. ومن هنا كان العدوان على العراق ومنطقة الخليج العربي سياسة دائمة لكل حكام إيران عبر العصور وقد استمر هذا النهج كما أشرنا حتى يومنا هذا[1].

فقد كان إسماعيل الصفوي ينشر بين مريديه من القزل باش أنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة ولهذا فإن أفعاله وأقواله معصومة عن الخطأ. وزعم أنه ليس بينه وبين المهدي حاجز وادعى أنه هو المقصود بالآية القرآنية ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ..﴾!! وكان من المغالين في الإمام علي رضي الله عنه وادعى بأن علي بن أبي طالب قد تنبأ بظهوره وولايته وأفسح في المجال لأتباعه أن يغلوا فيه إلى حد العبادة والسجود له[2].

الواضح أن الذين يعتقدون بانتساب الصفويين إلى آل البيت، أرادوا أن يُكسبوا الأسرة أحقيتها في الحكم، وقد حدث ذلك بتوجيهٍ من جانب أفرادها، وأما الذين يعتقدون بانتساب الصفويين للآريين إنما هدفوا إلى تأكيد دور الصفويين في بعث القومية الإيرانية التي ظهرت على أيديهم[3].

والمعروف أن الصفويين اعتمدوا على فكرة الحق الإلهي للملوك الإيرانيين قبل الإسلام وذلك بوراثة هذا الحق، وعندما تزوج الحسين بن علي بن أبي طالب ابنة يزدجر الثالث آخر ملوك الفرس أنجب منها ابنه زين العابدين علي، فاجتمع

---

(١) عمر، الخمينية، ص ١١٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٥.

(٣) راجر سيوري، إيران في العصر الصفوي، ص ٦٤.

عندهم حقان:

الأول: حق أهل البيت في الخلافة وفقاً لنظرية الإمامة عند الشيعة.

الثاني: حق ملوك إيران وفقا لنظرية الفرس القائلة بالحق الإلهي لهؤلاء الملوك بالحكم. والواقع أن انتساب الشيخ صفي الدين إسحاق إلى الإمام موسى الكاظم، شابَهُ الضعف، والشواهد التالية دليل على ذلك:

- إن زوجة الشيخ صفي الدين إسحاق لم تكن تعلم بهذا الانتساب.
- بدأ واضحاً من نصوص ابن بزاز الذي ارّخ له، أنه لما فسر الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] التي تَرُدُّها الشيعة إلى حديث الغدير واستخلاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب من بعده؛ لم يقف الوقفة الشيعية المعهودة[2]، كما لم يقف عند تأويل [وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ] [3] على التفسير الشيعي أيضاً.
- لم يتطرق الشيخ صفي الدين إسحاق إلى ذكر مصنف شيعي واحد في الوقت الذي أشار فيه لمؤلفين سنة مثل: الغزالي والسهروردي ونجم الدين الرازي[4].
- لا ينبغي التسليم مباشرة بتشيع الشيخ صفي الدين إسحاق بفعل أن أكثر سكان أردبيل كانوا آنذاك سُنَّةً، على مذهب الإمام الشافعي، وهم من مريديه، كما أن عبيد الله خان زعيم الأوزبك كتب في عام (٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م) إلى الشاه

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) الشيبي، كامل مصطفى: الصلة بين التصوف والتشيع، ج٢، ص٣٥٥.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

(٤) طقوس الدولة الصفوية، ص٣٧، نقلا عن صفوة الصفا: ص١٤٠، ١٤٦، ١٥٢.

طهماسب يعاتبه ويشير إلى أن الشيخ صفي الدين إسحاق كان من أهل السنة والجماعة[1].

- الملفت مع صراحة اتصال سلسلة النسب التي سجّلها أصحاب الكتب في العصر الصفوي، بالحسين بن علي بن أبي طالب، فقد رُوي عن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفي الدين إسحاق ووارثه، أنه لم يكن يدري أحسني هو أم حسيني[2]، ما يشكك في النسب ابتداء من فيروز شاه، الجد الأكبر للشيخ صفي الدين إسحاق إلى الإمام الكاظم.
- ليس مستغرباً أن يدعي الشيخ صفي الدين إسحاق النسب العلوي في ذلك الوقت، فقد فعل شيخه إبراهيم الجيلاني ذلك، كما فعل ذلك أحفاد عبد القادر الجيلاني، وغيرهم.

وفي المقابل، أورد ابن بزاز أن الشيخ صفي الدين إسحاق علّق على أشعار الرومي والعطار وأوحد الدين الكرماني وفخر الدين العراقي وأحمد الجامي وروزبهان البقلي والسنائي والخاقاني، وشرحها، وروى له أبياتاً فارسية في وحدة الوجود ورباعية واحدة في حب علي بن أبي طالب، وقد يكون ذلك من ابتكار هذا المؤرخ لأن الشيخ صفي الدين إسحاق كان تركياً لم يثبت له من النظم الفارسية إلا بيت واحد[3]، وكان الترك بخاصة يعدّونه زعيماً روحياً لهم. ويبدو أنه كان سُنّيَّ المظهر على مذهب الإمام الشافعي، شيعيَّ الميل على مذهب الإمام جعفر الصادق، متأثراً بالظروف الدينية والسياسية التي كانت تمر بها إيران آنذاك، والمعروف أن المغول الإيلخانيين حكام البلاد توزعت ولاءاتهم الدينية

(١) طقوس، الدولة الصفوية، ص ٣٨. نقلا عن المستوفي، نزهة القلوب، ص٨١.
(٢) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج٢، ص٣٥٣، ٣٥٤.
(٣) طقوس، الدولة الصفوية، ص٣٨.

والمذهبية على: البوذية (هولاكو- أباقا) والإسلام على المذهب السني (محمود غازان وآخرون) والإسلام على المذهب الشيعي (أولغايتو).

ولا بد لنا من التساؤل في هذا المقام، متى اعتنق شيوخ الأسرة الصفوية المذهب الشيعي؟

الواقع أن الأفكار الشيعية بدأت تتسرب إلى فرق التشكيلات الصفوية في الوقت الذي بدأ فيه التصوف ينتشر في المجتمع الإيراني في عهد الشيخ صفي الدين إسحاق، وذلك ردَّ فعلٍ على حال الفساد الذي تفشى في البلاد من واقع ممارسات أصحاب السلطة من المغول الإيلخانيين ثم التيموريين والأمراء المتغلبين أمثال شروان شاه في شروان، والآق قوينلو في أذريبجان وجزء من غربي إيران، ومراد بك البايندري في يزد، وغيرهم كثير، ما ترك آثاراً مدمرة في نفوس الإيرانيين الذين ضاقوا ذرعاً بالظلم والإجحاف الواقع عليهم. وإذا لم يثبت على وجه اليقين تشيع كل من الشيخ صفي الدين إسحاق وابنه صدر الدين موسى، فإن حفيد الأول خواجة علي سياه بوش جاهر بالدعوة الشيعية[١]، وأدرك حفيده الجنيد مدى الاستفادة السياسية من واقع تحويل الدعوة المذهبية إلى حركة سياسية تعتمد في إثبات وجودها على الأعداد الضخمة من المريدين. وأكد ابنه حيدر صلة نسب أجداده بالإمام موسى الكاظم وألبس أتباعه قبعة حمراء ذات اثنتي عشرة ذؤابة، رمزاً إلى اعتناق المذهب الشيعي على المذهب الاثني عشري[٢].

---

(١) طقوس، تاريخه الدولة الصفوية، ص٣٨، نقلاً عن أبدال، حسين بسر: سلسلة النسب صفوية، ص٤٦.

(٢) طقوس، تاريخ الدولة الصفوية، ص٣٨.

ويبدو أن هذا التحول إلى المذهب الشيعي كان يهدف إلى استقطاب الشيعة في إيران وتوسيع قاعدتهم الشعبية وبخاصة السربداريين المعارضة للحكم الإيلخاني، والمعروف أن المعارضة للإيلخانيين اعتمدت على العناصر الشيعية، وأدى ذلك إلى تحول الصفويين من التوجه الصوفي المحض إلى العمل السياسي والذي تُوّج بتأسيس دولة صفوية شيعية المذهب على يد إسماعيل الصفوي[١].

ويظهر تأثير الجانب الصوفي على الحركة الصفوية، فقد زوّد الفكر الصفوي بالمنامات والكشوفات، فيذكر الصفويون أن أحد مشايخ الصوفية وهو الشيخ (زاهد الكيلاني) والذي تربى على يده جدهم "صفي الدين الأربيلي" تنبأ على أثر رؤية لصفي الدين الأردبيلي "أن أولاد هذا الزعيم سيملكون العالم، ويترقون يوماً بعد يوم إلى زمان القائم المهدي المنتظر[٢]".

بعد أن تسلم الصفويون الحكم في إيران أخذت سياسة العداء والتوسع في التطبيق العملي، حيث قام إسماعيل الصفوي باحتلال بغداد سنة ١٥٠٨م[٣]. لم يتوقف الأمر عند الاحتلال فقط، فلأجل المصالح السياسية، نجد الصفويين يتحالفون مع البرتغاليين ويعقدون معهم اتفاقية عام ١٥١٥ تنص على جعل السفن البرتغالية تحت تصرف الفرس في شن هجماتهم على البحرين والقطيف[٤]. وفي سنة ١٦٢٢ قام الشاه (عباس الصفوي) بغزو العراق وقام بأعمال تخريب وهدم[٥].

---

(١) طقوس، تاريخ الدولة الصفوية، ص٣٨.

(٢) راجر سيوري، إيران في العصر الصفوي، ص٢٢٦.

(٣) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق، ص١٨.

(٤) للمزيد: انظر: بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص٦٣؛ طقوش، الدولة الصفوية، ص٨٤؛ مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص٨٠-٨٢.

(٥) الدجيلي، العلاقات العراقية الإيرانية، ص٢٦.

إن إيران الحالية في ظل نظام العمائم هي امتداد طبيعي يجسد روح الاستعلاء الفارسي على العرب والعروبة، وحتى على الشيعة العرب أنفسهم، لأن الإيرانيين لم يعتبروا أبدا دخول الإسلام على بلدهم فتحاً إسلامياً وإنما غزواً عربياً؛ ولذا يمتنعون عن تعلم العربية أو التحدث بها ويمعنون في الاعتماد على اللغة الفارسية حتى يتميزوا بشكل استعلائي على العرب باعتبارهم آريين وفرساً في المقام الأول الذي يسبق حتى انتماءهم إلى الإسلام.

ويلعب النظام في إيران على ثلاث هويات مختلفة فهو فارسي في الأصل، ويدعي أنه إسلامي بشكل عام، ويتعصب للمذهب الشيعي في جوهر تحركاته وتوجهه، وفي الإطار الثقافي الإيراني العام ما تزال ملحمة الشهنامة – التي ألفها الفردوسي- تحتفظ بمكانة عالية في صدر التراث الشعري الإيراني الفارسي وهي تمجد ملوك الفرس مقابل تحقير العرب والاستخفاف بهم، وتصفهم بالأعراب الحفاة ولم تستثنِ في ذلك حتى قائد معركة القادسية سعد بن أبي وقاص، ولم تقتصر هذه النزعة العنصرية الاستعلائية إلى العرب على الماضي الفارسي لإيران لكنها ما تزال سارية المفعول حتى الآن، وما تزال الثقافة الإيرانية المعاصرة تحط من قدر العرب وتحقر صورتهم في الأدب الفارسي الحديث ولا تعترف الجمهورية الإيرانية للعرب الأهوازيين بحقهم الطبيعي في استخدام لغتهم العربية بعد أن فرضت اللغة الفارسية على كل القوميات الأخرى، وهي تواصل بذلك نفس النهج الشاهنشاهي الذي ابتدعه الإمبراطور رضا شاة البهلوي.

لقد وجد هؤلاء الفرس في حادثة كربلاء حدثاً يمكن توظيفه لخدمة أهدافهم ومصالحهم. لذا فلا يمكن فهم الجوانب النفسية لأتباع المذهب الشيعي دون الرجوع إلى حادثة كربلاء التي استشهد فيها الحسين رضي الله عنه

وعدد كبير من آل بيت النبي، حيث تعتبر هذه الحادثة من اللحظات شديدة التكثيف والترميز والإيحاء والتأثير، فهذه لحظة فاصلة تتحدد من خلالها قيمٌ ومعانٍ هائلة تؤثر في التاريخ الإسلامي بل والتاريخ الإنساني كله. ومما يزيد من كثافة هذا الحدث وعمقه غدر أهل الكوفة الذين وعدوا الحسين رضي الله عنه بالنصرة ثم خذلوه وتركوه هو وعدد من خيرة آل بيت النبي يواجهون الموت في الصحراء عطشى وجوعى.

لقد رسخ هذا الحدث في الوجدان الشيعي الشعور الشديد بالذنب تجاه الحسين رضي الله عنه فهم يشعرون أنه قتل وحيداً ولم يهبوا أو يهب أحدٌ غيرهم لنصرته، وأنهم تركوه يلاقي هذا المصير المؤلم وحده بيد عدو لدود لم يرع فيه إلاً ولا ذمة وهو من هو فى شرف النسب ونبل المقصد.

لذا فإن ما نراه حتى اليوم مما يسمى إحياء يوم عاشوراء بالشكل الشائع - أي رواية سيرة الحسين في محافل شعبية- ابتدعه الصفويون بعد أن سيطروا على إيران، واتخذوا من التشيع عقيدة رسمية لدولتهم، واتخذ الاحتفال بذكرى استشهاد الحسين صفة رسمية(١). وإلى جانب مواكب العزاء أقيمت مجالس العزاء في بيوت الوجهاء من الناس، ويقوم خطيب بقراءة قصة من قصص واقعة كربلاء من ويستمد الخطيب معلوماته عن الواقعة من كتاب مشهور عندهم يدعى (روضة الشهداء). وهو أول كتاب مشهور عندهم، من تأليف حسن واعظ كاشفي المتوفى سنة ٩١٠هـ. ثم أخذت المجالس بالتطور والانتشار حتى أقيمت الحسينيات لذلك. وخلال المائتي سنة الأخيرة نمت الاحتفالات بعاشوراء

(١) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص١٣٨.

وتوسعت، وأخذت أبعاداً شعائرية وطقوساً، وتحولت المواكب بالتدريج إلى مسرحيات دينية شيعية، حتى عُدَّ مسرح عاشوراء بداية المسرح الشعبي في إيران[1].

لم تحظ ذكرى عاشوراء وواقعة كربلاء بإحياءٍ واهتمام حيوي في أي مكان كما حظيت به في إيران، فمنذ أن ظهرت الدولة الصفوية واتخذت التشيع مذهبًا رسميًا لها، أضحت عاشوراء وواقعة كربلاء الحدث التاريخي العظيم طقساً مذهبياً دينيا وطابعاً شيعياً في صدر اهتمامات الدولة، وقد أفرطت الدولة في ذلك الاهتمام والاعتناء بالذكرى والواقعة واستغلالها لإرساء قواعد سيطرتها على الشعب، وربما كان من نتائج ذلك الإفراط في تشديد الخلافات بين أهل السنة والشيعة في المجتمع الإيراني.

وتولد عن ذلك الحزن الذي لا تخطئه العين في وجوه أتباع المذهب الشيعي، وقد عبر علي بن الحسين (زين العابدين) عن ذلك حين سأله الناس عن سر ذلك الحزن فقال: " إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ولم يعلم أنه مات، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غداة يوم واحد، أفترون حزنهم يذهب من قلبي[2] ".

لم يتوقف تأثير مقتل الحسين رضي الله عنه في الوجدان الشيعي على ذلك، بل تعداه ليكون عقدة الإحساس بالظلم والغدر والشعور بالمرارة تجاه ما حدث والرغبة في الثأر ممن فعلوا ذلك أو تواطئوا عليه أو سكتوا عنه. وفي الوقت نفسه

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٢٨١.

الخوف من الآخر والتشكك فيه واعتباره قابلاً للغدر في أي لحظة، وأخذ الحيطة والحذر إلى أقصى حدٍ ممكن ليس فقط في الأفعال ولكن حتى في الكلام، وهذا ما نشأ عنه مبدأ " التقيّة " الشهير في السلوك الشيعي.

*** الشيعة بين الإمامة وولاية الفقيه:**

لم يكتف الفرس بما أدخلوه من أفكار مغالية في التشيع. لذلك نجد أن زعماء التوجه الشيعي الفارسي، وجدوا في فكرة المهدوية حلاً لاستمرار نفوذهم وتأثيرهم الديني على أتباعهم من العوام دافعي ضريبة الخمس.

كان أول من أطلق فكرة المهدي هو المختار بن عبيد الثقفي على محمد بن الحنفية[1] بوصفه صورة جديدة من محمد ﷺ للتشابه القائم بينهما في الاسم والكنية[2]. ولما مات ابن الحنفية قالت الكيسانية، من بقايا أنصار المختار، برجعة ابن الحنفية. وقد ربط جولد تسيهر هذه الفكرة برجعة ايليا وماسينيون بالفرس[3].

وما لبثت فكرة المهدية أن صارت من طابع الشيعة عموماً فصار كل إمام شيعي من شتى الفرق مهدياً: إما في حياته أوبعد مماته ليعود من جديد[4]. ولما حل القرن الثالث وأُعلنت غيبة المهدي الاثنى عشري أُدخل فيها تطوُّرٌ جديد؛ وهو وصْلُ ظهوره بنزول المسيح وذلك لكون المهدي ابن امرأة من نسل

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٥٠٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٦٦.

(٣) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج١، ص٢٢.

(٤) انظر: فرق الشيعة، ص٢٠، ص٢٤، ص٢٦.

الحواريين، ووصْله كذلك بنهاية العالم، وكانت هذه الفكرةُ الأخيرةُ إسلاميةً متصلةً بالمسيح ومستقلةً عن المهدية[1].

لما توفي إمامهم الحسن العسكري لم يُرَ له خلفٌ، ولم يُعرف له ولدٌ ظاهر، وقد تم استبراء زوجاته وإمائه للتأكد من ذلك، حتى تبين لهم بطلان الحَبَل، فقُسِّمَ ميراثُه بين أمه وأخيه جعفر، وأودعت أمه وصيته، وثبت ذلك عند القاضي والسلطان. فكانت هذه الواقعة قاصمة الظهر للتشيع، فمنهم من قال: انقطعت الإمامة. ومنهم من قال: إنَّ الحسن بن علي توفي ولا عقب له، والإمام بعده جعفر بن علي أخوه.

وفي خِضَمِّ هذه الحيرة والاضطراب التي عاشها علماء الشيعة، قام رجلٌ يُدعى (عثمان بن سعيد العمري) وادَّعى أن للحسن العسكري ولداً في الخامسة من عمره، مختفياً عن الناس لا يظهر لأحد غيره، وهو الإمام بعد أبيه الحسن، وأنَّ هذا الطفل الإمام قد اتخذه وكيلاً عنه في قبض الأموال، ونائباً يجيب عنه في المسائل الدينية.

ولما مات عثمان بن سعيد (سنة ٢٨٠) ادَّعى ابنه محمد بن عثمان نفس دعوى أبيه. ولما توفي محمد (سنة ٣٠٥) خلفه الحسين بن روح النوبختي في نفس الدعوى، ولما توفي (سنة ٣٢٦) خلفه أبو الحسن علي بن محمد السمري (سنة ٣٢٩) وهو آخر المدَّعين للنيابة عند علماء الشيعة الإمامية، ولما كثر المدَّعون للبابية من أجل الأرصدة الباهرة من الأموال، قال علماء الشيعة بانقطاع البابية ووقوع الغيبة الكبرى بوفاة السمري.

---

(١) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج١، ص٢٢.

وكان هؤلاء النواب عن الإمام يَتلَّقون أسئلة السفهاء، كما يتلقفون أموالهم !! ويأتون بأجوبتها وإيصالها من الإمام المنتظر ويسمونها (توقيعات) وهي خطوط إمامهم المنتظر بزعمهم. وأهل العلم والمؤرخون يقولون: إن الحسن العسكري لم يخلِّف وإنه مات وليس له ولد، لكن هؤلاء لما كانت العقيدة راسخة عندهم وأن نسله لا ينقطع جاءهم الشيطان وقال: إن له ولداً، ولكنه دخل هذا السرداب، ثم لابد أن يخرج فانتظروه، فصاروا ينتظرونه.

والآن له نحو ألف ومائتي سنة، وهم لا يزالون ينتظرونه! وكانوا في تلك المدة يُجلسون واحداً ينتظره، ويصيح: اخرج يا مولانا! اخرج يا مولانا! وليس عنده أحد، وقد جعلوا عند طرف السرداب فرساً، وجعلوا عليها سرجاً، وجعلوا مع الحراس الذين يحرسونها سيوفاً حتى يحمونه إذا خرج! ويدعون أنه سوف يخرج ويركب الفرس، ويذهب إلى مكانهم، ويقتل أعداءهم كما يزعمون، وينتصر لهم ممن خالفهم، ولا يزالون منذ ألف ومائة وخمسين سنة وهم على هذه الطريقة إلى اليوم! قبل خمسة أشهر أو نحوها جاءنا بعض الإخوان ومعه أوراقٌ أخذها من الشيعة الذين أسروا في حرب الخليج، وأودعوا في السجون، فوجدناها أوراقاً كلها غلو ومبالغة في التشيع، وإذا بواحدةٍ من الأوراق فيها ذكر الأئمة الاثني عشر: الإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين، إلى أن قال: والإمام محمد بن الحسن العسكري عجَّل الله بخروجه، فلا يزالون يُؤمِّلون أنه سوف يخرج، ولا يزالون ينتظرونه! وفي وقت الشارح -في القرن الثامن- يذكر أنهم يجعلون عند السرداب فرساً، والآن لا أدري هل استبدلوا بالفرس سيارةً من ذوات الدفع الرباعى أم لا يزالون ينتظرونه كما كانوا! الله أعلم.

وعلاوة على ذلك، فإن لأهل البيت موقفًا صريحًا حاسمًا في هذا الأمر. وهو من البراهين الواضحة على بطلان هذه الدعوى، حيث جاء في صلة تاريخ

الطبري في حوادث سنة ٣٠٢هـ أن رجلاً ادعى - في زمن الخليفة المقتدر - أنه محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر، فأمر الخليفة بإحضار مشايخ آل أبي طالب وعلى رأسهم نقيب الطالبيين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن طومار. فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن. وقد ضج بنو هاشم من دعوى هذا المدعي وقالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس، ويعاقب أشد عقوبة. فحمل على جمل وشهر يوم التروية ويوم عرفة، ثم حبس في حبس المصريين بالجانب[١].

ولأجل استمرار التفاف الشيعة حول مراجعهم، نادى هؤلاء المستفيدون أيضاً برجعة الأئمة وأرادوا بذلك أن يعود الإمام إلى الظهور بعد الغيبة أو الاختفاء أو إلى الحياة بعد الموت.

والرجعة بهذا المعنى لها جذور في اليهودية كما في قصة عزير وهارون وفي النصرانية التي يقول منتحلوها بأن صلب المسيح وقتله المزعوم، وقع على جزئه الناسوتي دون اللاهوتي، وأنه قام بعد ثلاثة أيام من صَلْبِه وصعد إلى السماء وأنه سيعود مرة ثانية للقضاء بين الأموات والأحياء[٢].

وقد ظهرت فكرة الرجعة أول ما ظهرت في دوائر الشيعة على يد عبد الله بن سبأ الذي نادى برجعة النبي ﷺ، ثم زعم رجعة "علي" قائلاً إنه لم يقتل بل رُفع إلى السماء كما رفع عيسى وأن ما ادعته الخوارج من قتله فكذب إذ أن شيطاناً تمثل لهم في صورته فظنوا أنه "علي" وأنه سيعود إلى الأرض فيملؤها عدلاً بعد أن ملئت جوراً[٣].

(١) عريب، صلة تاريخ الطبري، ج١١، ص٥١.

(٢) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص١٠٦-١٠٩.

(٣) الفرق بين الفِرق، ص٢٣٣-٢٣٤.

وقد أصبحت فكرة الرجعة معتقداً لدى طوائف كثيرة من الشيعة ونادت كل فرقة باستثناء "الزيدية" –بعودة الإمام الذي آمنت به فنادى الكيسانية، كما رأينا، بعودة محمد بن الحنفية بعد موته أو بظهوره بعد اختفائه عند من لم يؤمن بموته. وقالت الإسماعيلية برجعة إمامهم محمد بن إسماعيل وتقول الإمامية الاثنا عشرية برجعة آخر أئمتهم الإمام محمد المهدي المنتظر، الذي يعتقدون أنه دخل سرداباً بدار أبيه "بسامراء" وأنه سيخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً. ويقول ابن خلدون (توفي سنة ٨٠٨هـ)، عن انتظارهم لخروج الإمام: "وهم إلى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك يقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركباً فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج، حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية، وهم على ذلك لهذا العهد"[١]. ويردد الشيعة نداء يتوجهون به إلى الإمام الغائب ويتوسلون إليه بالظهور ويقولون: "أشهد أنك الحق الثابت الذي لا ريب فيه وأن وعد الله فيك حق، لا أرتاب فيك لطول الغيبة وبعد الأمد، اللّٰهُمَّ طال الانتظار وشمت بنا الأعداء الفجار، وصعب علينا الانتظار، اللّٰهُمَّ أرنا وجه إمامك في حياتنا وبعد المنون، اللّٰهُمَّ إني أدين لك بالرجعة بين يدي صاحب هذه البقعة... الغوث... الغوث"[٢].

وقد غالت طوائف من الشيعة في عقيدة الرجعة، ونادوا بعودة الأئمة وعودة أعدائهم معهم إلى الحياة الدنيا لكي ينال كلٌّ جزاءه الدنيوي ويعذب من اعتدى على الأئمة وغصبهم حقوقهم أو قتلهم. واستشهد هؤلاء بقول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص١٩٩.

(٢) النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٢، ص٣٠١.

نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل:٨٣]. ويقول الطبرسي في تفسير هذه الآية "واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال: إن دخول "من" في الكلام يوجب التبعيض فدل ذلك على أن اليوم المشار إليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه: ﴿ وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٧]. وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على أيدي شيعته... على أن جماعة من الإمامية تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات، وأوّلوا الأخبار الواردة في ذلك لما ظنوا أن الرجعة تنافي التكاليف وليس كذلك.. ومن قال إن قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ المراد به يوم القيامة، قال المراد بالفوج الجماعة من الرؤساء والمتبوعين في الكفر، حشروا وجمعوا لإقامة الحجة عليهم"[1]. وهذا التفسير الأخير للآية هو ما عليه جميع المفسرين من غير الشيعة[2]. وممن أيد المفهوم الأول للرجعة من الشيعة المعاصرين صاحب "عقائد الإمامية" الذي قال: "إن الذي تذهب إليه الإمامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيُعز فريقاً ويُذل فريقاً آخر، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين،

(١) الطبرسي، مجمع البيان، تفسير الآية ٨٣ من سورة النمل، ج٢٠، ص٢٥١-٢٥٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٧٦.

وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية في الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب والعقاب ويستشهد بالآية القرآنية: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ... ﴾ [غافر:١١][1]. ولا شك أن مثل هذه الأفكار التي قال بها فريق من الشيعة مناقضة للتصور الإسلامي الذي لا يقر بعودة أي إنسان إلى الحياة قبل يوم البعث، اللَّهُمَّ إلا في الحالات التي وردت في القرآن والمرتبطة بإظهار الإعجاز الإلهي في الخلق والإعادة.

وهناك من الشيعة، لا سيما المعاصرين منهم، من أيد الفهم الآخر للرجعة والمتمثل في رجعة الدولة والأمر والنهي، وأكد هؤلاء أن الرجعة بالمفهوم الأول ليست من معتقدات الإمامية ولا من الضروريات عندهم: "أما رجعة الأموات قبل المحشر فليست من عقائدهم، ولا من ضروريات مذهبهم، مع العلم بوجود المرويات عن الأئمة فيها، ولكن الكثير منهم، يدعون بأنها من الموضوعات بين أحاديث أهل البيت، وأكثر الذين قالوا بصدورها عن الأئمة عليهم السلام ألزموا بتأويلها وحملها على أقرب الاحتمالات التي لا تتنافى مع العقل بعد أن أعرضوا عن ظواهرها. وأولوا ذلك برجوع سلطان الأئمة ومبادئهم بظهور محمد بن الحسن الإمام الثاني عشر"[2].

ولكن الشيعة جميعاً لا يشكون في عودة الإمام المنتظر أو الإمام الغائب الذي يحقق دولة الإسلام في زعمهم ويرتبط به تطبيق الإسلام تطبيقاً كاملاً. إذ

---

(١) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص٨٠.

(٢) الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص٢٣٦-٢٣٧.

يعتقد الشيعة أن الدولة الإسلامية لم تقم في صورتها الكاملة خلال تاريخ الإسلام "فالنبي -كما يقول أحدهم- لم تمتد به الأيام إلى إنهاء عملية الهدم والبناء بالتطبيق الكامل، ولم يحدث ذلك لعلي ومن جاء بعده من الأئمة، أما الإمام المنتظر الذي انتهت النوبة إليه فلا بد من إنهائها على يديه لأنه خاتمة المعصومين، فيحقق ما أخبر به القرآن الكريم بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ... ﴾ [الفتح:٢٨]، ففي تلك الدولة التي ينشئها الإمام تتجسد تطبيقات التشريع الإسلامي كاملة عادلة وفي مختلف مجالات الحياة لدى الفرد وفي الأسرة وفي المجتمع وفي الدولة"[١].

ويزعم الشيعة أن هناك فروقاً بين دولة الإمام ودولة النبي ﷺ وتتمثل أهم الفروق فيما يلي: اتساع النفوذ السياسي للدولة، فدولة النبي ﷺ لم يتسع نفوذها السياسي اتساعاً ليشمل كل العالم، وإن كانت دولة النبي عالمية في أهم خصائصها -إلا أن الأجواء الاجتماعية والسياسية آنذاك لم تواتها ظروفها لتحقيق عالميتها. أما في دولة الإمام المنتظر عليه السلام فالذي نقرؤه في الأحاديث التنبؤية عن المعصومين عليهم السلام أنها سيشمل نفوذها السياسي العالم كله تحقيقاً لوعد الله تعالى بعالمية الإسلام في أمثال الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[٢]. وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ.. ﴾[٣]. وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[٤].

---

(١) عبد الهادي الفضلي، في انتظار الإمام، ص٤٧-٥٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٥).

(٣) سورة النور، الآية (٥٥).

(٤) سورة الفتح، الآية (٢٨).

ففي المروي عن الإمامين زين العابدين والباقر عليهما السلام، إن الإسلام قد يظهره الله على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام".

وفي دولة الإمام يتم تطهير العقيدة من الشرك، وينسب الشيعة إلى أئمتهم قولهم: "لم يجن تأويل: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ... ﴾ فإذا جاء تأويلها يُقتل المشركون حتى يوحدوا الله عزّ وجلّ وحتى لا يكون مشرك، وذلك في قيام قائمنا"، وقال "إذا قام القائم المهدي لا تبقى أرضٌ إلا تؤدي فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وفي دولة الإمام يعم العدل والأمن والرخاء، ويقول الشيعة، "إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها وردَّ كلُّ حقٍ إلى أهله ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان"[1].

لم تكن فكرة الإمامة من البداية محددة المعالم، كانت مفتوحة على التاريخ فقهاً واعتقاداً، ومن المفترض أن تمتد من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة يوصي بها كل إمام لمن بعده. فجوهر النظرية الإمامية يعتمد على القول بعدم جواز خلو الأرض من قائم لله بالحجة (الإمام)، ويجب أن يكون معصوما، وتفوق أحيانا تلك التي يثبتها أهل السنة والجماعة للنبيّ، وهو مشرِّع ومبلغ عن الله يتصف بالعلم اللدني الإلهي ويوحى إليه من الله بالإلهام، حتى ذهب بعض المناوئين للشيعة إلى اعتبار أن الإمامة هي النبوة وتخالف ما يسمى بعقيدة ختم النبوة. قال هشام بن الحكم أقدم المنظرين للإمامة وهو يحاور أحدهم: "ولا بد من أن يكون في كل زمان قائم بهذه الصفة (العصمة) إلى أن تقوم الساعة[2].

(١) في انتظار الإمام، ص٦١.

(٢) الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٤٠.

ولكن بعد وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري في سامراء سنة ٢٦٠هـ دون إعلانه عن وجود خلف له، أحدث شكاً وحيرة بشأن مصير الإمامة. فافترق الشيعة إلى أربع عشرة فرقة كما يقول النوبختي في "فرق الشيعة"، واحدة منها فقط قالت بوجود خلف للإمام العسكري، وأن اسمه محمدٌ، وقد أخفاه والده خوفاً من السلطة فستر أمره[١].

تعتقد الشيعة أن الإمام لابد أن يكون معصوماً، لأن إمامته راجعة إلى الله تعالى لا إلى اختيار الأمة، لأن الأمة ليست معصومة عن الخطأ، فكيف لها أن تختار معصوماً! وحيث أن الشيعة يرون هذا الرأي نلاحظ أن بدعتهم في ولاية الفقيه قد قلبت مفهومهم في الإمام المعصوم وعودته رأساً على عقب وخصوصاً في ما يتعلق باختيار الأمة لإمامها أو نائبه وصلاحيات هذا النائب الذي ينسخ عقيدة الشيعة في انتظار الفرج عن إمامهم المنتظر الذي طالت غيبته مما جعل اليأس، والإحباط يملأ قلوبهم. ونقرأ هذا جليا في قول الخميني: "قد مر على الغيبة الكبرى[٢] لإمامنا المهدي أكثر من ألف، وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر، في طول هذه المدة المديدة هل تبقى أحكام الإسلام معطلة يعمل الناس من خلالها ما يشاءون، القوانين التي صدع بها في الإسلام صلى الله عليه وسلم وجهد في نشرها وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة

---

(١) النوبختي، الشيعة ص ١١٨- ١١٩.

(٢) يدعي الشيعة أن لإمامهم غيببة صغرى وغيبة كبرى أما الغيبة الصغرى: فالإمام احتجب عن عامة الشيعة دون نفر قليل سموا رواة الحديث إذ كانوا هؤلاء - حسب دعواهم - ينقلون إلى الإمام المزعوم مسائل الناس ومشاكلهم، ويعودون بالأجوبة عنها. أما الغيبة الكبرى: فإن الإمام المزعوم احتجب عن جميع الشيعة.

وعشرين عاماً، هل كان ذلك لمدة محدودة؟ هل حدد الله عمر الشريعة بمائتي عام مثلاً؟ وهل ينبغي أن يخسر الإسلام بعد عصر الغيبة الصغرى كل شئ؟ الذهاب إلى هذا الرأي أسوأ في نظري من الاعتقاد بأن الإسلام منسوخ...) [1].

ومن خلال مقالة الخميني نستطيع أن نستنتج:

- أن غيبة الإمام المنتظر قد طالت وربما تطول قروناً ولا بد من مخرج من هذا . المأزق الذي وضعوا فيه أنفسهم جراء بدعتهم ومخالفتهم للإسلام وأصوله.
- أن الشيعة قد أصابهم اليأس من طول الغيبة المزعومة وخصوصاً أنهم لا يملكون شيئاً أمام هذه العقيدة التي صاغها الشيعة لأنفسهم.
- أن عقيدة الشيعة قائمة على عدم تطبيق الأحكام الشرعية إلا بوجود الإمام المعصوم حتى أنهم قالوا: "كل راية قبل راية القائم رضي الله عنه صاحبها طاغوت"[2].

وأمام هذه الحقائق الواقعية حاول الخميني ومن أخذ برأيه الخروج من هذا المأزق ببدعة جديدة أطلقوا عليها اسم " ولاية الفقيه ".

أدلة ولاية الفقيه. وعلى هذا كان لابد لهؤلاء النفر أصحاب بدعة ولاية الفقيه من أدلة نقلية وعقلية لتسويغ بدعتهم وتمريرها على أتباع المذهب الشيعي الرافضي ومن هذه الأدلة ما يلي:

---

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص٢٣-٢٤.

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية، ج٢، ص٧٣٨.

أولاً - القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨].

قال الخميني مستدلاً بهذه الآية لتسويغ بدعته: "إن الخطاب موجه إلى من يمسكون الأمور بأيديهم، وليس خطاباً للقضاة، لأن القضاة جزء من الحكومة"(١).

ثانياً - الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ:

وجاء القوم بحديث منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه:" اللَّهُمَّ ارحم خلفائي - ثلاث مرات - قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال الذين يأتون بعدي، يروون حديثي وسنتي فيعلمونها الناس من بعدي".

وقد قال الخميني: "إن المقصود بخلفاء الرسول أولئك الذين يسعون إلى نشر علوم الإسلام وأحكامه ولا علاقة له بنقلة الحديث ورواته المجردين عن الفقه، فالمقصود هم فقهاء الإسلام الذين يجمعون إلى فقههم وعلمهم العدالة والاستقامة في الدين ليصل في نهاية المطاف إلى تعليل نظرية ولاية الفقيه وصلاحية الفقيه لتعم جميع شؤون الحياة"(٢).

(١) الحكومة الإسلامية، ج ٢، ص٧٣٨.

(٢) الحكومة الإسلامية، ج٢، ص ٦٠- ٦٣.

ثالثاً - أقوال منسوبة للإمام الغائب:

كما استدل أصحاب هذه البدعة بتوقيع منسوب إلى الإمام المغيب والذي زعموا فيه أنه قال:" وأما الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله"[1].

قال الهمداني في شرح هذا القول: "يتضح من التأمل والتدقيق في الرواية المذكورة، التي هي الدليل الأساس على نصب الفقهاء في عصر الغيبة أن الفقيه الذي يأخذ روايات الأئمة ويتمكن منها، يكون في موقعهم، ليرجع الشيعة إليه في الأمور التي يجب أن يرجعوا فيها إلى الإمام"[2].

صلاحيات الفقيه في ولايته:

بعد أن أورد فقهاء الشيعة أدلتهم من أجل تسويغ وتشريع بدعة ولاية الفقيه، اختلفوا في حدود وسلطات الفقيه الولي إلى اتجاهات ثلاثة[3].

الاتجاه الأول: يرى أن للفقيه ولاية عامة، فالفقيه هو نائب الإمام الغائب وله أن يملكه الإمام الغائب.

إذ يرى الخميني أن سلطة الفقيه أثناء ولايته سلطة مطلقة، لا تختلف أبداً عن سلطة الإمام المعصوم، ولا حتى عن النبي صلى الله عليه وسلم ويستند في ذلك إلى التوقيع المزعوم للإمام المزعوم، الذي يقول فيه:"

---

(١) آراء في المرجعية الشيعية، ص ٦٥.

(٢) آراء في المرجعية الشيعية، ص ٦٥.

(٣) آراء في المرجعية الشيعية، ص ١٣٧-١٣٨.

فأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله".

فالخميني يرى أن الفقيه حجة على أهل زمانه ولا فرق بينه وبين الإمام الغائب مما يعني حقيقةً أن عقيدة ظهور الإمام أو عدم ظهوره أصبحت تحصيل حاصل عند الشيعة الرافضة ما دام هناك من يطبق شريعة الشيعة.

ثم يؤكد الخميني بدعته بقوله:" إن جميع شؤون الرسول صلى الله عليه وسلم قابلة للانتقال والوراثة، ومن جملتها الإمارة على الناس، وتولي أمورهم، من كل ما ثبت للأئمة من بعده وللفقهاء من الأئمة"(١)

ثم ينتهي إلى البدعة التي تمناها، فيقول: تبين لنا أن ما ثبت للرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة فهو ثابت للفقيه (٢).

وتبعاً لهذه المقدمات نجد أن الخميني أراد أن يُلبس ولاية الفقيه لبوسا مقدسا، لذا فإن الجاحد لولاية الفقيه يعتبر جاحداً للإمام المعصوم والجاحد للإمام المعصوم يعتبر جاحداً لحقوق الله والجاحد للحقوق الله يقع في حد الشرك الأكبر عند الشيعة. وهذا ما عبر عنه الخميني عندما قال:" إن الراد على الفقيه الحاكم يعد راداً على الإمام، والرد على الإمام رد على الله، والرد على الله يقع في حد الشرك بالله"(٣).

ومما يؤكد على البدعة الكبرى التي ابتدعها الخميني أن هناك أعلاماً من

---

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص٨٦.

(٢) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص٨٨.

(٣) الخميني، كشف الأسرار، ص ٢٠٧.

المذهب الشيعي رفضت فكرة الولاية. ومن هؤلاء الخوئي الذي عارض عقيدة ولاية الفقيه فأسس جمعية في إيران سماها (جماعة الحجتية) أي جماعة الإمام الحجة، والتي ترفض الولاية من حيث المبدأ وتدعوا إلى الالتزام بمبدأ الانتظار حتى يظهر إمامهم الغائب[1].

كما نجد محمد جواد مغنية ينتقد ولاية الفقيه في كتاب أسماه "الخميني والدولة الإسلامية" الذي قال فيه: "إن التفاوت في المنزلة يستدعي التفاوت في الآثار لا محالة ومن هنا كان للمعصوم الولاية على الكبير والصغير حتى على المجتهد العادل، ولا ولاية للمجتهد على البالغ الراشد، وما ذاك إلا لأن نسبة المجتهد إلى المعصوم تماماً كنسبة القاصر إلى المجتهد العادل"[2]. لذلك يصل جواد مغنية ومن أخذ برأيه إلى نتيجة مفادها أنه:" لا دليل على وجوب طاعة الفقيه كالإمام المعصوم، رغم ورود أخبار تبين أن العلماء كالأئمة فالإنصاف يقتضي الجزم بأن مقام العلماء لنشر الأحكام الشرعية، لا كون العلماء كالأنبياء والأئمة المعصومين"[3].

* الأسطورة المهدوية في الكتب المدرسية الإيرانية:

إن ذكرى ميلاد "إمام الزمان" هي تجديد للبيعة والعهد بالسعي إلى القضاء على "الكبر" و"الظلم" في العالمين وهي أيضا إحياء لسنة البيعة للولي الفقيه، وأخيرا هي عامل محفز للتحرك الدائم[4].

---

(١) فهمي هويدي، إيران من الداخل، ص ١٠٥.

(٢) الخميني والدولة الإسلامية، ص ٦١- ٦٢.

(٣) الخميني والدولة الإسلامية، ص٦٣.

(٤) فارسى بخوانيم، بنجم دبستان، جاب ششم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص١٠٥.

الموعود والمنجى في الأديان:

تقول الكتب المدرسية الإيرانية "تحدث أنبياء الله عن خطة محددة لنهاية التاريخ، قالوا إنه في نهاية التاريخ وعندما تكون الظروف مهيأة بشكل تام، سيظهر ولي إلهي، ويشكل حكومة عالمية وعادلة تدار حسب دين الله".

تضيف الكتب المدرسية" هذه العقيدة الأساسية للأنبياء الإلهيين، ولكن وكما رأينا فإن تعليمات كل رسول من بعد وفاته تقع فريسة للتغيير، ومن بينها الاعتقاد الخاص الذي كان سائداً بين أتباع كل رسول حول ظهور الموعود، ومع وجود هذه الاعتقادات المختلفة، إلا أنها تتفق في الأصل الإلهي حول نهاية التاريخ وظهور ولي الله لتأسيس حكومة عالمية" [١].

مستقبل التاريخ:

تقول الكتب المدرسية الإيرانية "كان تاريخ حياة البشر ميدان نضال دائم بين الحق والباطل، يوجد دائماً في جبهة الحق أفراد يعبدون الله، عادلين، يحبون الشعب، ويسعون للدفاع عن فضائل الأخلاق والدفاع عن حقوق المحرومين والمستضعفين، وصفحات التاريخ مليئة بصور جميلة لجهادهم وإيثارهم، ومنحتهم المجد، وفي جبهة الباطل يوجد أفراد أنانيُّون يحبون أنفسهم يتخذون الشرك والكفر والظلم حرفة لهم، ويستغلون الشعب لمصالحهم، فاسدين وغير ملتزمين، ماذا ستكون النتيجة لهذا، ما هي نتيجة هذا الصراع، لأي جبهة سيكون النصر؟ لجبهة الحق أم لجبهة الباطل؟

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى،، سال سوم دبيرستان، مرجع سابق، ص١٤٩.

الإجابة على هذا السؤال ترتبط بنظرة الإنسان الثاقبة إلى الكون. وتتم عن طريق معرفة خالق الكون ومديره المدبر والحكيم، ولا نستطيع بغير ذلك أن نتصور مستقبل تاريخ الإنسان بشكل واضح.

تضيف الكتب المدرسية الإيرانية "أما الذين يعبدون الله ويعرفون أن احد أسماء الله هو الحق وهو يدير الكون بحكمته، وحسب الوعد الإلهي، فهم يصدقون أن المستقبل النهائي للكون سيكون للحق، الهزيمة للباطل، وسوف يغادر المغلوب الميدان"[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ ﴾ [النور:٥٥].

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥].

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣][2].

---

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى،، سال سوم دبيرستان، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٢) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى،، سال سوم دبيرستان، مرجع سابق، ص١٤٦-١٤٧.

*** التفكير في الآيات:**

ما هو التوقع للتاريخ الإنساني؟

مقارنة:

قارن بين التوقعين حول تاريخ الإنسان، وحدد أيهما يظهر في تصرفات وخطط الأفراد؟[1].

تقول الكتب المدرسية الإيرانية "

- اليهود يعتقدون أن (المسيح) والمنقذ لم يأت بعد، وسيأتي المسيح في يوم وينشر دين موسى عليه السلام في العالم، وتسود العدالة في العالم.
- المسيحيون يصدقون أن سيدنا عيسى عليه السلام هو المنجى وموعود آخر الزمان، لقد قبلوا بأحد إتباع سيدنا عيسى عليه السلام باسم بولس الذي يقول، سيدنا عيسى عليه السلام هو منجي العالم، يعتقدون أنه عندما كان سيدنا عيسى عليه السلام في محبيه هاجم مأمورون للحاكم سيدنا عيسى عليه السلام واعتقلوه، وصُلب في اليوم التالي إلا أنه وبعد ثلاث أيام من وفاته عاش ورفع إلى السماء، وسوف يظهر مرة أخرى وينجي الشعب.
- في الدين الزرادشتي يعتقدون بـ(سوشيانت) وتعنى المنقذ والدليل، وهو اعتقاد شائع وقد بشرت كل النصوص الزردشتية بظهور هذا الموعود.

يعتبر الاعتقاد بظهور المنقذ بين الأنبياء فرصة ثمينة للتعاون بين هؤلاء، والسعي لتحقيق الأهداف الكبيرة للأنبياء الإلهيين مثل، المعنوية، عبادة الله،

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى، سال سوم دبيرستان، شركت جاب ونشركتاب هاى درسى ايران، جاب ششم، ١٣٨٩، ص١٤٨.

العدالة والأخلاق، ونفي حكام الظلم والقمع عن العالم، هذا التعاون سببٌ للتقارب، والتناغم بين المطالبين بالحق، ويمنع تآمر الظالمين"(١).

١- هذا في حالة إذا كان قد ذكر في إنجيل برنابا وإنجيل يوحنا، أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يخبر عن بعث رسول من بعده وهو المنقذ، كما أن القرآن الكريم رفض وبصراحة صلب وقتل سيدنا عيسى، وقال إن هذا الأمر اشتبه عليهم. (سورة النساء الآية ١٥٧).

٢- (خورشيد مغرب) لمحمد رضا حكيمي و(سوشيانت) أو (سير انديشه ايرانيان در باره موعود آخر الزمان) لعلي أصغر مصطفوي.

الموعود في الإسلام:

تقول الكتب المدرسية" نعتقد نحن المسلمين أنه سيظهر في آخر الزمان منجي الإنسانية الكبير من نسل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويشكل حكومة عالمية واحدة وعادلة، ومن أحد ألقابه أيضا (المهدي) (عج)، طبعاً أكدت كتب أحاديث أهل السنة أن سيدنا (المهدي) من نسل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والسيدة فاطمة سلام الله عليها، إلا أنه لم يحدد في أي زمان يولد هذا الولد.

أما باعتقاد الشيعة فإن هذا الأمر واضح، ومعروف ومن كل النواحي(٢).

تقول الكتب المدرسية الإيرانية "نحن نعتقد وبناءً على حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الواضح وكذلك الأئمة الأطهار عليهم السلام أن منجي

---

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى،، سال سوم دبيرستان، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٢) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى،، سال سوم دبيرستان، مرجع سابق، ص١٥٠.

البشرية هو الإمام الثاني عشر وابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، سيدنا المهدي (عج) يحمل اسم الرسول صلى الله عليه وسلم وكنيته الأصلية أيضا هي كنية الرسول صلى الله عليه – يعني أبو القاسم، وهو آخر ذخيرة، وحياته مستمرة بعناية الله حتى يظهر بإذن الله ويشكل الحكومة الإسلامية العالمية.

تضيف الكتب المدرسية" معرفة مميزات إمام الزمان (عج) ووجوده في المجتمع لها الفوائد التالية:

الأول: أن المهدي الموعود يطلعنا بكل محاولات ومغامرات الاحتيال التي ستقع، ونعرفها بسرعة ويأخذ الشعب حذرهم ولن يُخدعوا.

الثاني: أن أتباعه، يعرفون أن الإمام حاضر ومطلع، ويعلمون أنه مطلع على كل أعمال الشيعة وعن تضحياتهم وجهاد المؤمنين.

الثالث: بما أنهم يشعرون بوجود واطلاع الإمام فإنهم يستطيعون الحديث معه، ويطلعونه على رغباتهم الداخلية، ويسعون من أجل كسب رضائه بأمل ونشاط وديناميكية.

الرابع: وهو أن المجتمع يستفيد وبأشكال مختلفة من هداية الإمام وولايته المعنوية[1].

---

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى،، سال سوم دبيرستان، مرجع سابق، ص١٥٠.

دراسة:

كيف يستطيع أتباع الرسول أن يتعاونوا فيما بينهم للتمهيد لظهور منجي البشرية؟ اعرض اقتراحاتك [1].

طرح سؤال:

تقول الكتب المدرسية الإيرانية "بقاء الإمام على قيد الحياة يتطلب عمراً طويلاً جداً، هل يمكن أن يطول عمر الإنسان إلى هذا الحد؟

تقول اجابة الدرس : بعض الأمور غير مقبولة من الناحية العقلية ومستحيل أن تتحقق في العالم الخارجي، وكمثال العدد لا يمكن أن يكون عدد فردي وزوجي في آن واحد، وأيضا لا يمكن لأي جسم أن يكون في نفس الوقت موجود في مكان ألف وباء، من ناحية العقل فإن بعض الأمور من أجل تحقيقها ويقبلها العقل يجب أن تتوفر لها الكثير من الشروط والعوامل الخارجية حتى تتحقق هذه الأمور، من الناحية الفكرية، يستطيع جسم الإنسان أن يعيش آلاف السنين إلا أنه يجب أن تتوفر وتجتمع الكثير من العوامل والظروف الخارجية لتحقيق ذلك، هذه الأمور غير عادية لاغير عقلية، ومن بينها إطالة عمر الإنسان، من الناحية العقلية، يستطيع جسم الإنسان أن يبقى حياً آلاف السنيين، ولكن تحقيق هذا الهدف يقع تحت تأثير آلاف العوامل الطبيعية والبيئية في داخل وخارج جسم الإنسان، ويحاول العلماء اليوم أن يهيئوا هذه العوامل لإطالة عمر عدد قليل من الشعب، ويسعون أن يعرفوا أكثر يوماً بعد يوم حتى يستطيعوا إطالة عمر الإنسان، هنا والله يعلم عن هذه العوامل

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى،، سال سوم دبيرستان، مرجع سابق، ص١٥١.

والشروط وكلها هذه العوامل والشروط بيده، بقدرته وإرادته استطاع أن يحفظ الجسم المبارك لإمام العصر(عج) شاباً ليستمر في حياته، إذن عمر الإمام الطويل غير عادي، غير عقلاني ومستحيل، إلا أنه أصبح عملياً[1].

الدليل على المهدي من القرآن:

تعرض الكتب المدرسية كثيرا للآية القرآنية " وخواستيم بر مستضعفان زمين منت نهيم، وآنان را بيشوايان مردم ووارث زمين كردانيم "كدليل على المهدي.

الترجمة: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥][2].

*** مولد وغيبة وظهور الإمام الثاني عشر:**

تقول الكتب المدرسية الإيرانية "ولد إمام الزمان عليه السلام في وقت السحر منتصف شعبان، سنة ٢٥٥ هجري في مدينة سامراء، اسمه الجميل هو اسم الرسول، ولقبه المهدي، القائم، إمام الزمان وولي العصر، وهو الابن العزيز لحضرة الإمام الحسن العسكري – عليه السلام – نعرف أن الطغاة العباسين أبعدوا حضرة الإمام الحسن العسكري برفقة جده إلى مدينة سامراء ووضعوهم في ثكنة عسكرية تحت رقابتهم. أحيانا كانوا يضعوا هذا الإمام الكريم في السجن وبالنهاية استشهد في عمر الثامنة والعشرين.

(١) قرآن وتعليمات دينى " دين وزندكى، سال سوم دبيرستان، مرجع سابق، ص١٥١.

(٢) درس " غيبت وظهور امام دوازدهم " الغيبة وظهور الامام الثاني عشر" "فرهنك اسلامى وتعليمات ديني، سال دوم، مرجع سابق، ص ٧٥-٧٩.

تضيف الكتب المدرسية :كان العباسيون على علم بعلاقة الإمام مع الناس ودوره في توعية الناس، كانوا يضغطون عليه كثيراً، وكانوا يحققون كثيراً حول أمر خليفته ليقتلوه، لهذا السبب كانت ولادة إمام الزمان – عليه السلام – سريَّة وخفية وبأمر من الله اختفى عن الأنظار منذ ولادته، واستمر في الحياة بالخفاء.

وتذكر الكتب المدرسية : الرسول الكريم والأئمة الأطهار عليهم السلام، أخبروا المسلمين أن المهدي ابن الإمام الحادي عشر مجبرٌ على أن يختفى عن الأنظار، قال حضرة الصادق بهذا الخصوص:

" المهدي، قائمنا له غيبتان، إحداهما قصيرة والأخرى طويلة في الغيبة القصيرة (الغيبة الصغرى) فإن خاصة الشيعة على علم بمكان إقامته، ولكن في الغيبة الطويلة (الغيبة الكبرى) فلا أحد يعلم مكان إقامته إلا عددٌ محدود من أصحابه المقربين، وبأمر من الله قام الإمام الحسن العسكري بإظهار ابنه وتقديمه لعدد من أصحابه على أنه الإمام من بعده، الإمام الثاني عشر بعد استشهاد والده اختفى عن الأنظار[1].

*** الغيبة الصغرى والكبرى:**

تقول الكتب المدرسية : حضرة المهدي – عليه السلام – كان له غيبتان: الأولى: الغيبة الصغرى (قصيرة وصغيرة) والثانية: الغيبة الكبرى (طويلة الأمد)، بدأت الغيبة الصغرى منذ استشهاد الإمام الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هجري واستمرت حتى سنه ٣٢٩ استمرت (لمدة ٦٩ سنة) إمام الزمان – عليه السلام – كان خلال هذه الفترة مختفي عن الأنظار ولكنه كان على اتصال

(١) فرهنك اسلامى وتعليمات دينى، سال دوم، مرجع سابق، ص ٧٥.

بالناس عن طريق أربعة نائبين عيَّنهم ووكَّلهم عنه، كان الناس يستطيعون أن يتصلوا مع حضرة المهدي عن طريق هؤلاء الأشخاص، كانوا يرسلون له الرسائل ويتلقون الإجابة وبهذا الشكل كانوا يحلون مشاكلهم، وكلاء حضرة الإمام الثاني عشر المهدي – عليه السلام هم: عثمان بن سعيد، محمد بن عثمان، حسين بن روح، وعلي بن محمد، هؤلاء الأربعة أشخاص من أفضل أصحاب الأئمة، كان يعتمد عليهم بشكل كامل ويحفظون السر، وبهذا الشكل استمر تعيين نواب الإمام وكان يقال عنهم أيضا باب الإمام.

استمر ارتباط الناس مع حضرة المهدي – عليه السلام – حتى وفاة نائبه الرابع علي بن محمد، وقد صدرت رسالة من الإمام قبل وفاته بعدة أيام إلى الناس، وقد كتب في هذه الرسالة:

تضيف الكتب المدرسية : يا علي بن محمد إن الله سوف يعطيك في وفاتك أجراً عظيماً جزاء أُخوَّتك، اعلم أنك سوف تذهب من هذه الدنيا بعد ستة أيام، لذا نظِّم أعمالك، ولا تحدِّد خليفةً لك، لأن وقت الغيبة الكاملة (الغيبة الكبرى) قد حان، كن على علم أنني لن أظهر إلا بعد أن يمر وقت طويل وحتى يعطيني الله الإذن بذلك، علي ابن محمد أظهر هذه الرسالة إلى الشيعة ورحل عن الدنيا بعد ستة أيام، ومنذ ذلك الوقت بدأت الغيبة الكبرى.

الله تعالى بقدرته التي لا تنتهي أعطى لإمام الزمان عمراً طويلاً وأمره أن يختفي ويعيش مختفياً عن الأنظار، ويساعد المسلمين عند الحاجة وأن يوجه قلوبهم الطاهرة إلى الهداية. حتى الآن على الرغم من أن إمام الزمان غائبٌ عن أنظارنا إلا أنه يتحرك بين الناس ويساعدهم ويقوم بمسؤولياته الإلهية. سألوا الرسول: كيف نستفيد من الإمام الثاني عشر في زمان غيابه؟ قال الرسول في

جوابه كما نستفيد من الشمس خلف الغيوم، نستفيد من وجود إمام الزمان في زمان غيبته.

تسهب الكتب المدرسية بالشرح : لو كان إمام الزمان ظاهراً ويعيش علناً بين الناس، سوف يقتله الظلمة والمستكبرون، لهذا فقد أخبر الرسول الأكرم والأئمة الأطهار أن المهدي الموعود وقائم آل محمد يعتبر عدواً للظلمة والمستكبرين، وسوف يدمر قصور المستكبرين في أنحاء العالم كافةً بمساعدة أصحابه الأوفياء بثورة صعبة ودموية، وسوف يحقق حكومة المستضعفين على مستوى العالم وسوف يلوح علم التوحيد في العالم، لقد سمع الظلمة والمستكبرون بهذه الأخبار ولهذا فهم يبحثون عن شخص كهذا بحرصٍ وخوف، لو كان ظاهراً بين الناس ويعيش بشكل واضح، فإنه سوف يقتل على يد المستكبرين قبل أن يدرِّب أصحابة الأوفياء ويهيئ أساسيات الثورة العالمية، فتصبح الأرضُ خاليةً من الحجة والإمام.وهو الآن غائبٌ فهو أمل الشيعة والمستضعفين، هؤلاء يعيشون على أمل ظهوره لتأسيس حكومة إسلامية، على أمل أن يشاهدوا وجهه النوراني، وهم يسعون لإصلا ح أنفسهم وإصلا ح المجتمع ومحاربة الظلم لتمهيد الأرضية لظهوره المنتصر.

تضيف الكتب المدرسية : النائب العام لإمام الزمان أثناء الغيبة الكبرى (الفقيه العادل والعالم) وهو الذي يوضح أحكام الدين وهو الحارس لأحكام القرآن والقائد للمجتمع الإسلامي، ويفرض على المسلمين أن يقبلوا بحكمه ويساندوه حتى يستحقوا أن يدركوا ظهور إمام الزمان [1].

---

(١) فرهنك اسلامى وتعليمات دينى، المرجع السابق، ص ٧٦-٧٧.

الثلاث نقاط المهمة في الدرس:

١- الله عز وجل القادر على كل شيء، أعطى حضرة ولى العصر الحجة بن الحسن العسكري - سلام الله عليه - أعطاه عمراً طويلاً، وأصدر له الأمر أن يعيش في حالة غياب.

٢- كما يستفيد الناس من الشمس خلف الغيوم، نحن نستفيد كذلك من ألطاف وجود حضرة ولي العصر في غيابه.

٣- إمام الزمان حضرة الحجة ابن الحسن عليه السلام هو أمل المسلمين والمستضعفين في العالم لتمهيد الأرضية المناسبة لتأسيس حكومة عالمية إسلامية [١].

آية من القرآن:

تذكر الكتب المدرسية : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥].

فكر وأجب:

١- كم الفترة التى استمرت فيها الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر؟ كيف كانت تتم صلته بالناس خلال هذه الفترة؟ من هم نواب الإمام؟

٢- لماذا غاب الإمام الثاني عشر عن الأنظار؟

٣- كيف يستفيد الناس من وجود الإمام في زمان غيبته؟ بين قول رسول الله بهذا الخصوص.

---

(١) فرهنك اسلامى وتعليمات دينى، المرجع السابق، ص ٧٧-٧٨.

٤- في فترة الغيبة ما هي واجبات الناس تجاه القائد؟

٥- هل تعرف يوم مولد إمام الزمان – عليه السلام – ما هي أسماؤه؟ لماذا؟[١]

غايات عودة المهدي:

تركز الكتب المدرسية بشكل كبير على أهمية الإمام الغائب " الإمام الثاني عشر" حيث تتحدث عنه حيث الأدلة النبوية على شخص المهدي، سيرته الأسرية، غيبته، ومدة الغيبة،، دلائل طول عمره من الشرع، ظهوره، ماذا سيحقق عند الظهور من رفع الظلم، وتحقيق العدل في العالم [٢].

نشاط بعد الدرس يشتمل على طرح الأسئلة التالية على الطلبة:

ماذا يجب علينا أن نفعل، وماذا يستفيد البشر من غيبة المهدي، وما دلالات الاحتفال بولادة المهدي؟.

دروس مختلفة حول المهدي " وضع فرهنكى وسياسى عصر أئمة "" الوضع الثقافي والسياسي لعهد الأئمة، وتتحدث الدروس حول علل غياب المهدي، وقيادة المهدي في عصر الغيبة، انتهاء عصر الغيبة، أعوان المهدي، واستعراض مراقبة ظهور المهدي، وضرورة استمرار الأمة وتقدمها في عصر الغيبة، من خلال ولاية الفقيه العادل [٣].

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٩.

(٢) درس " غيبت وظهور امام دوازدهم " الغيبة وظهور الامام الثاني عشر، "فرهنك اسلامى وتعليمات ديني، المرجع السابق، ص ٧٥-٧٩.

(٣) قرآن وتعليمات دينى دين وزندكى، سال سوم متوسطه، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، جاب ششم، ١٣٨٩، ص١٠٥-١١٥، خورشيد بنهان " الشمس المختفية " المرجع السابق، =

نشاط بعد الدرس يشتمل على طرح الاسئلة التالية على الطلبة:

ماذا يجب علينا أن نفعل، وماذا يستفيد البشر من غيبة المهدي، وما دلالات الاحتفال بولادة المهدي.

دروس الاستفادة من غيبة المهدي:

التعظيم والمغالاة في الاحتفال بولادة المهدي ودروس الاستفادة من الغيبة، وضرورة التقدم في ظل الغيبة.

*** أسطورة تعظيم المهدي:**

نجد إغراق الكتب المدرسية باستعراض أسماء وسيرة آل البيت وعلى رأسهم الحسين بن علي، فاطمة الزهراء، علي بن موسى الرضا، صاحب الزمان " المهدي" في كتب تدريس القرآن، حيث يطلب منهم قراءة الأسماء وتشكيلها [1].

وتطرح الكتب أسئلة على الطلبة فى صورة نشاط علمي تركز فيه على المواضيع التالية:

١- ماذا سيحصل عندما يعود إمام الزمان؟

٢- الإنسان الذي ينتظر المهدي، ماذا يجب عليه أن يفعل؟

٣- ماذا تعرف حول حفل منتصف شعبان؟

ص١٣٥-١٤٣، درس در انتظار طلوع، في انتظار الطلوع المرجع السابق، ص ١٤٥-١٦٠، تداوم امامت در عصر غيبت، ديمومة الامامة بعد الغيبة، الرجع السابق، ص ١٦٣-١٧٣، ولايت فقيه در عصر غيبت، ولاية الفقيه في عصر الغيبة، ص ١٧٣-١٨٣.

(١) آموزش قرآن، سوم دبستان، جاب سوم، ١٣٨٩، ص ٤٠.

٤- يطلب نشاط من الطلاب القيام بنشاط صفي حول عرضٍ لإنشادٍ حول إمام الزمان، حيث تظهر صورةٌ لطلاب ينشدون، وخلفهم العلم الإيراني.

*** تقزيم الاحتفال بالمولد النبوي:**

الاحتفال بالمولد النبوي" جشن تولد" خصته الكتب المدرسية الإيرانية بقليل من الاهتمام، حيث يتم فيه الذهاب إلى بيت الجد، وتدعى العائلة، بعد الضحك واللعب والفرح، يجمع الجد الصغار، يجلسون حوله، ليقول لهم عن سبب جمعهم لأنه اليوم الذى يصادف عيد المولد، بعدها يقول لهم قصة عن سيرة حياة الرسول.[١]

ونجد الحديث عن عيد المولد من خلال الحديث عن قصة الرسول الأكرم، ونزول الدعوة عليه من الله تعالى بواسطة جبريل في درس سحركاه با شكوه الفجر مفعماً بالمجد، حيث تطلب من الطالب نشاطاً صفياً بتمثل فى إرسال كارت تهنئة إلى صديق بمناسبة عيد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم[٢].

*** تقزيم الاحتفال بعيد الفطر في الكتب المدرسية:**

عيدٌ عادي:

عيد الفطر نراه حاضرا وبشكل خجول في الكتب المدرسية الإيرانية، تظهر الكتب ذلك تحت عنوان " عيد المسلمين " جشن مسلمان " هذا العيد، يقول الدرس إنه بعد انتهاء شهر رمضان تبدأ الأفراح في الشوارع والأزقة، فى ليلة العيد تقوم الأم بتحضير اللباس النظيف بعد كويه (في عيد النوروز اللباس

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، دوم دبستان، جاب هشتم، ١٣٨٨، ص ٢٢-٢٣.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، جهارم دبستان، مرجع سابق، ٥٠.

الجديد)، والجوراب النظيف، تهيئة سجادة الصلاة لصلاة العيد، بعدها نأكل الحلوى ونبارك لبعضنا مكبرين الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

بعد الدرس هناك نشاطٌ يقوم على سؤال الطالب: كيف يتم الاحتفال بعيد الفطر في مدينتك أو قريتك؟ [1].

تعظيم عيد ولادة المهدي (جشن بزرك، الاحتفال الكبير):

تطلق الكتب المدرسية على هذا الاحتفال: الاحتفال بالعيد الكبير، فكل الصف، المدن، القرى يحتفلون به، لأنه ولادة إمام الزمان، هذا الاحتفال كم هو جميل، وعادة ما يرافق هذا الاحتفال من صورٍ لأطفالٍ وسط حدائق من الأزهار، وهم يحملون الورود احتفالاً بهذا العيد الكبير [2]، ونجد لافتات مرسومة في طي الدروس المدرسية " ياصاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه " لترسيخ وغرس هذه الصورة، حتى تبقى عالقةً في أذهان طلبة المدارس منذ نعومة أظفارهم[3].

*** رسالة المهدي:**

قدوم المهدي لمحاربة الظلم والاستغاثة به فى الكتب المدرسية الإيرانية:

تبشر الكتب المدرسية بقدوم المهدي من خلال القصائد الشعرية المزدانة بالصور " يامهدي أدركني "" يا قائد آل محمد " التي ينبغي على الطالب حفظها، بعودة حضرة المهدي، فقصيدة أو مى آيد " هو قادم " تجسد هذه الفكرة،

---

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، دوم دبستان، مرجع سابق، ص ٥٦-٥٧.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، دوم دبستان، مرجع سابق، ص ٥٠-٥١.

(٣) فارسى بخوانيم، بنجم دبستان، جاب ششم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص١٠٣.

فالقصيدة تغرس فكرة عودة المهدي " ابن الإمام الحسن "، فهو إمام الزمان، دليلنا وقائدنا، وصديقنا، يأتي ليحارب الظلم والاستبداد، حتى يزول من العالم أجمع ". تطلب في ختام الدرس من الطلبة الدعاء جماعيا بالاستعانة بالمهدي من أجل السلامة [١].

وتسهب الكتب المدرسية حول عالمية رسالة المهدي، وأن هدفه إنقاذ البشرية، محاربة الباطل... وتصور الصور شعارا غريباً بوصف المهدي بقائد آل محمد[٢]. نجد في الكتب المدرسية نشاطاً طلابياً يطلب من الطلبة وصف ميلاد المهدي شعراً [٣].

مثالية العالم بعد ظهور المهدي :

وتجسد الكتب المدرسية عودة المهدي شعراً، فنجد من خلال قصيدة رؤياهاى من " أحلامي "، فهي تجسد صورة فتىً يتأمل ويتصور بمحبة، مودة، عاطفة وبأخوة الرؤيا التي شاهدها في المنام، عودة المهدي، ويسرد الفتى حلمه الذي رآه في المنام، حيث شاهد الحب، العدل، الحق، رفع الظلم الذى يسود في العالم، لأن المهدي عاد. وعندما يسرد منامه وينتهي، يتحدث في الحقيقة عن صورة العالم المثالية، وكيف سيكون بعد ظهور المهدي.

المهدي في كتب تدريس القرآن ونجد أن أسماء آل البيت وعلى رأسهم

(١) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، دوم دبستان، مرجع سابق، ١٨-١٩.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، المرجع السابق، ١٨-١٩.

(٣) فارسى، سال سوم دوره ى راهنمايى تحصيلى، جاب دوم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ص٨ كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، جهارم دبستان، جاب هفتم، ١٣٨٩، ص ٥٨-٥٩.

الحسين بن علي، فاطمة الزهراء، علي بن موسى الرضا، صاحب الزمان " المهدي" في كتب تدريس القرآن، حيث يطلب منهم قراءة الأسماء وتشكيلها [1].

المهدي مع الأنبياء:

مرتضى، موسى، عيسى:

وهذا ما يطلب منهم في درسٍ آخر من دروس تعليم القرآن، مع الخلط أيضا مع أسماء الأنبياء، هذا بهدف الغرس في العقل الباطن للطلبة أنه لا فرق بين الأنبياء وآل البيت يضعوهم في مرتبة الأنبياء انسجاماً مع فكرة الخميني التي وضع فيها درجة الأئمة المعصومين في درجة أعلى حتى من الأنبياء[2].

ونجد هذا الأمر يتكرر موسى، عيسى، المصطفى، مرتضى[3].

ونفس الأسلوب يتكرر في كتب تدريس اللغة الفارسية مع توسع؛ موسى، عيسى، مصطفى، مرتضى، مجتبى، يحي [4].

علي بن موسى الرضا، عليه السلام، سيد الشهداء[5].

مرتضى، موسى، عيسى.

وفي مراحل متطورة من كتب تعليم القرآن، نجد أن هناك نشاطاً للطلبة يطلب منهم تهجئة الكلمات التالية بشكل صحيح وهي: أبو القاسم، بيت

(١) آموزش قرآن، سوم دبستان، جاب سوم، ١٣٨٩، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤.

(٣) آموزش قرآن، جهارم دبستان، جاب نهم، ١٣٨٨، ص ٢٣.

(٤) فارسى بخوانيم، دوم دبستان، جاب يزدهم، جابخانه شركة افست، ١٣٨٩، ص ٥.

(٥) آموزش قرآن، جهارم دبستان، جاب نهم، ١٣٨٨، ص ٣٨.

المقدس، نهج البلاغة (السطر الأول) أهل البيت، على الغيب، ذي العرش (السطر الثاني)[1].

الأمر الملفت وضع كلمات يطلب من الطالب إما وضعها في جملة، أو إكمال عبارة:

قرآن، إيران، فردوسي، أبو علي سينا

ونجد هذا الأمر يتكرر:

دار القرآن، نهج البلاغة، ذي العرش[2].

التسبيح بشعار الجمهورية الإسلامية مع الله !!!

ونفس الأسلوب:أربعين حسيني، شعار جمعيت " استقلال، الحرية، جمهورية إسلامية، جوهرة التسبيح " لله"، دهه ى فجر" عشرة الفجر" [3].

تحليل النصوص السالفة :

نكرر كلامنا مرةً أخرى حول المهدي المنتظر، ولكن هذه المرة سنورد كلام أحد الشيعة وانتقاداته حول ما أضافه غلاة الشيعة حول المهدي. يقول الموسوي:

تعتقد الشيعة الإمامية أن الإمام " الحسن العسكري " وهو الإمام الحادي عشر للشيعة عندما توفي عام / ٢٦٠ / هـ كان له ولد يسمى " محمداً " له من العمر

(١) فارسى، سال دوم دوره ى راهنمايى تحصيلى، جاب سوم، ناشر شركت جاب ونشر كتابهايى درسى ايران، ١٣٨٩، ص ٣٧.

(٢) آموزش قرآن، جهارم دبستان، جاب نهم، ١٣٨٨، ص ٢٨.

(٣) فارسى، سال دوم دوره ى راهنمايى تحصيلى، مرجع سابق، ص ٢٣.

خمس سنوات وهو " المهدي " المنتظر، وهناك روايات أخرى تقول: إن " المهدي " ولد بعد وفاة والده الإمام " العسكري " ومهما كان الأمر فإن " المهدي " تسلم منصب الإمامة بعد والده وبنصٍ منه وبقى مختفياً عن الأنظار طيلة خمسةٍ وستين عاماً وكانت الشيعة تتصل به في هذه الفترة عن طريق نواب عينهم لهذا الغرض، والنواب هم [عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد بن عثمان وحسين بن روح وآخرهم علي بن محمد السيمري] وهؤلاء النواب الأربعة لقبوا "بالنواب الخواص" والفترة هذه تسمى بعصر الغيبة الصغرى، وفي عام ٣٢٩ هجري وقبيل وفاة علي بن محمد السيمري بشهور قليلة وصلت رقعة إليه بتوقيع الإمام "المهدي" جاء فيها: لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله فمن ادَّعى رؤيتي فهو كذاب مفترٍ؟ وهذا العام هو بداية الغيبة الكبرى ومنذ ذلك الحين انقطع اتصال الشيعة بالإمام بصورة مباشرة وغير مباشرة، وحتى إذا ادَّعى أحدٌ ذلك فالشيعة تكذبه بسبب النص الوارد في آخر خطاب ورد إليهم من المهدي.

هذه هي خلاصة عقيدة الشيعة الأمامية في " المهدي " المنتظر ولا تزال الشيعة في كل عام وفي يوم الخامس عشر من شهر شعبان تحتفل بولادة " المهدي " احتفالاً كبيراً وهو الإمام الوحيد الذي تحتفل الشيعة بيوم ولادته فقط أما الأئمة الآخرين فتكون الاحتفالات في أيام مولدهم ووفاتهم على السواء(١).

وفكرة " المهدي " وظهور قائد في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلما وجوراً موجودة في كثير من الأديان، وهناك أحاديث روتها كتب الصحاح عن النبي الكريم عن ظهور " مهدي " من ولده في آخر الزمان ولكن

---

(١) الموسوي، الشيعة والتصحيح، ص٦١.

ليس على نحو التعيين، أما الشيعة فتستند على روايات نسبت إلى أئمتها أن " المهدي " المنتظر الذي أخبر به الرسول الكريم - صلى الله تعالى على وسلم - غنما [هكذا في الأصل ولعله حتماً] هو ابن الإمام " الحسن العسكري[1].

يقول الموسوي وهو شيعي:" نحن هنا لا نريد أن ندخل في ذلك الجدل البيزنطي القديم حول " المهدي. وإعطاء تفسير عقلي لبقائه آلاف السنين في هذه الدنيا فنحن معاشر الشيعة كسائر الفرق الإسلامية الأخرى ما دمنا نعتقد بالغيب وأن الله قادر على كل شيءٍ فلا نجد صعوبةً في الاعتقاد بأن إنساناً ما يعيش في هذه الدنيا خارجاً عن القوانين الطبيعية آلاف السنين، فالقرآن الكريم صريح بأن " نوحاً " عاش في قومه ألفاً إلا خمسين عاماً وأصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً وأن الله رفع " عيسى بن مريم " إليه وهو حي في رحابه ولنقرأ معاً هذه الآيات البينات: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[2]. ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾[3] ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ

---

(١) ذكر الترمذي في صحاحه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) وفي مسند " أحمد بن حنبل " عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) سيرة الأئمة الإثني عشر ج٢ ص٥٤٣ - هاشم الحسيني.

(٢) العنكبوت: الآية ١٤.

(٣) الكهف: الآية ٢٥.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1] وفكرة " المهدي " بحد ذاتها فكرة جميلة فهي توحي بالخير المحض والتطلع إلى عالم ملىء بالخيرات والفضائل والحسنات، عالم مثالي طالما دعا إليه[2]".

ويضيف الموسوي منتقدا ما أضفاه الشيعة على المهدي:" ولو أن الاعتقاد بوجود المهدي بقى محصوراً في الإيمان بوجود إمام غائب من نسل رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - يظهر في يوم من الأيام ما يملأ الأرض قسطاً وعدلاً لكان المسلمون بخير، ولكن مع الأسف الشديد فإن فقهاء المذهب الجعفري ألصقوا إلى المهدي جناحين شوهوا بهما صورة المهدي الرفيعة الوضاءة وهذا الجناحان بدعتان كبيرتان أُلصقتا بالمذهب الشيعى في عهد ظهور الصراع بين الشيعة والتشيع وهما تتناقضان مناقضة صريحة واضحة مع نصوص القرآن الكريم وسيرة الرسول - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - وعمل الإمام على والأئمة من بعدهن البدعة الأولى هي تفسير الخمس في أرباح المكاسب والبدعة الثانية هي ولاية الفقيه في المجتهدين، إن الزعامات المذهبية التى تولت أمور الشيعة الدينية بعد الغيبة الكبرى بسبب فتح باب الاجتهاد ولا زالت هي الماسكة بزمام العقيدة الشيعية حتى هذا اليوم كانت وراء هاتين البدعتين[3]".

إن بدعة ولاية الفقيه التى ظهرت داخل المسرح السياسي الشيعى المعاصر في إيران تبرهن على أن عقيدة الإمام المعصوم وعودته باطلةٌ شرعاً وعقلاً؛ ذلك أن تلك البدعة تبين يأس الشيعة من رجوع إمامهم المزعوم وبالتالي نسخ تلك العقيدة - الباطلة - عندهم بشكل عملي من خلال ما يسمى بولاية الفقيه.

---

(١) النساء ١٥٧ – ١٥٨.

(٢) الموسوي، الشيعة والتصحيح، ص٦٢.

(٣) الموسوي، الشيعة والتصحيح، ص٦٣.

فالإمامة عند الشيعة الإمامية تعتبر أس العقيدة والشمس التى تدور حولها كواكب عقائدهم الباطلة فهم يجعلون من الإمامة ركناً من أركان الإسلام وجزءاً مهم أًمن عقيدته. جاء في أصول الكافي عن أبي جعفر أنه قال: بنى الإسلام على خمس، على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعنى الولاية[1].

فالشيعة الأمامية جعلت الولاية أصلاً من أصول الإسلام وجزءاً مهماً من عقيدته محتجين بأنه ليس في الإسلام أمرٌ أهم من تعيين الإمام ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم - حسب زعمهم - أن يفارق الدنيا قبل أن يحسم هذا الأمر، ذلك أن الإمامة نص من الله تعالى وهي ليست بالاختيار والشورى بين أهل الحل والعقد كما هي عند أهل السنة والجماعة

ولما كان لابد لهذه الدعوة من أدلة فقد أكثر الشيعة منها لإثبات بدعتهم بالنص المؤول تأويلاً فاسداً تارة أو بالهوى المسمى عندهم عقلاً تارة أخرى.

*** أسطورة أهل بيت الرسول، حملة العلم الإلهي الغيبي:**

تقول الكتب المدرسية الإيرانية أن الله سبحانه وتعالى هو أصل ومصدر العلوم والأحكام الإسلامية والعلم الإلهي وبلا نهاية ، وصلت إلى الرسول الكريم عن طريق الوحي، وكانت تصل إليه تعاليم الدين من الله سبحانه وتعالى بشكل مباشر، وكان عليه أن يحمل هذه العلوم والأحكام الإلهية المتينة وأن يبلغها إلى الناس، وبذل قصارى جهده في هذا الطريق ولكنه كان مجبراً أن يتحدث إليهم على حسب فهمهم وإدراكهم، بالإضافة إلى تلك المشاكل التي كانت موجودةً

(١) أصول الكافي، ج٢، ص١٨.

في طريق نشر وتبليغ أحكام الدين، تعرفون أن رسول الإسلام منذ البعثة بقى في مكة مدة ثلاثة عشر عاماً، وقد واجهته خلال هذه المدة العديد من المشاكل. الرسول ولمدة سنوات لم تكن دعوته بشكل علني، وتمت محاصرته لمدة ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، تعرض المسلمون طوال الثلاثة عشر سنة هذه للمضايقة والتعذيب. هذه المضايقة والأذى كانت السبب في هجرة العديد منهم إلى الحبشة، بالإضافة إلى أن هؤلاء الناس لم يكن لديهم القدرة على فهم العلوم العالية للدين الحنيف، ولهذا كان الرسول مجبراً أن يخاطبهم على قدر عقلهم وإدراكهم [1].

تحليل النص:

الله تعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم للناس كافة، يبلغهم دينه الذي ارتضاه لهم. والمعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم مكث سنواتٍ طوالاً يدعوا الناس إلى الدين الجديد بكل بساطة وسهولة (وليس بالعلوم العلية) خاطب الناس بلغتهم، بلهجة لامست القلوب المتيبسة. لذا فلا يجوز التقعر في الطرح وإسقاط الألفاظ التي يرغب الكاتب من خلالها إلى أن الأئمة هم مستودع العلوم العلية.

انظر أيها الطالب إلى هذا الموقف والحوار بين سيد الخلق وأحد المسلمين في كيف يبسط الرسول الأعظم هذا الدين. روى البخاري في صحيحه:" حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال يا

(١) فرهنك اسلامى وتعليمات اجتماعى، سال سوم، مرجع سابق، ص٨٨.

رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة فقال الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا فقال أخبرني ما فرض الله علي من الصيام فقال شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا فقال أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة فقال فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام قال والذي أكرمك لا أتطوع شيئا ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق"[1].

وأسأل ما رأي الكاتب بقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣].

يقول سيدنا علي (منذ طفولتي كنت مع رسول الله وكل يوم كان يفتح لي باباً من العلم، ويوضح لي الأخلاق والآداب الحسنة، ويأمرني أن أتبع أوامره)[2] كان الرسول يقول لي (إن الله أوصاني بتربيتك وأن أعلمك العلوم الدينية وإن نفسك تقبل وتصون هذه العلوم)[3] سيدنا علي بكمال علمه ومعرفته، فإن رسول الله قال بشأنه (أنا مدينة العلم وعلي بابها، وأي شخص يريد أن يدخل مدينة العلم هذه يجب أن يدخلها من بابها)[4].

تقول الكتب المدرسية الإيرانية : علي ابن أبي طالب عليه السلام تعلم وعرف العلوم الدينية من منبعها، فتح عيونه على علم الغيب، وكان عنده أمرٌ أن

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ١٨٩١.

(٢) نهج البلاغة، ١٨٧.

(٣) غاية المرام، تأليف البحراني، ص ٣٦٧.

(٤) مناقب الخوارزمي، ص ٤٠.

يسمع الأحاديث والآيات من الرسول، وأن يكتبها بدقة، وأن يودعها للأئمة من بعده، ويُنقل عن سيدنا علي أن رسول الله قال له يوماً (يا علي اكتب ما أقوله) قلت يا رسول الله، أتخاف أن أنسى؟

قال: لا أخاف أن تنسى أنت؛ إرادة الله أن تكون أنت حافظاً لأحكام وعلوم الدين، لكن هذا ليس لك وحدك ولكنها للأئمة من بعدك، لذلك اكتب.

في ذلك الوقت أشار رسول الله إلى ابني الحسن وقال (أولهم، الحسن) وبعد ذلك نظر إلى الحسين وقال (ثانيهما الحسين والبقية أولاد الحسين)[1] وبالتالي، فإن علي بن أبي طالب وبأمر الرسول كتب وبكل دقة علوم وأحكام الدين ليضعها أيضا تحت تصرف الأئمة من بعده.

قال الرسول (تركت فيكم أمرين؛ (إني قد تركت الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[2].

تضيف الكتب المدرسية : نستنتج من هذا الحديث المعروف بحديث الثقلين وكل أحاديث الرسول الأكرم: أن القرآن والعترة (أهل بيت الرسول) المرجع والمصدر لهداية وسعادة الناس ويجب على المسلمين أن يرجعوا إليهم ويلجئوا لهم ليؤمنوا سعادة الدنيا والآخرة، كي لا يتجزأ أحدهما عن الآخر ويفتح الطريق لحل المشاكل الفردية والاجتماعية للمسلمين.

---

(١) ينابيع المودة ص، ٢٢.

(٢) ذخائر العقبى وكتب أخرى كثيرة.

وتقول أيضا الكتب المدرسية : الأئمة الآخرين أيضا مثل سيدنا علي عليه السلام استفادوا بأخذ العلوم الدينية من منبع الفيض الإلهي وارتبطت نفوسهم الطاهرة بعلم الغيب، وكلامهم كان كلام الرسول الطاهر والروحي، قال الإمام الصادق عليه السلام (حديثي هو حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الإمام حسين وحديث الإمام حسين حديث الإمام حسن، وحديث الإمام حسن حديث أبيه أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله وحديث رسول الله هو كلام الله تعالى)[١].

تقول الكتب المدرسية : يجب التذكير بأن الكثير من العلوم الغنية والفقهية المتينة وأخلاق وأدآب وأحكام الدين الواسعة للشيعة منبعها نصوص القرآن الكريم وسنة رسول الإسلام، وكنوز كلام أهل البيت، وأي شخص يستفيد من هذا المنبع سيصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكل من يقوم بغير ذلك سيكون متعطشاً ويخسر الدنيا والآخرة[٢].

ملخص الدرس:

١- الرسول الأكرم كان متصلاً بالله تعالى عن طريق الوحي وكان يأخذ الأحكام المتينة للإسلام من الله ويبلغها للناس، ولكن كانت تواجهه مشاكل عديدة، لم يستطع الرسول أن يُعلِّم التعاليم الرفيعة للدين إلى الناس بشكل كامل، وكان مضطراً إلى أن يخاطب الناس على مستوى قدرتهم على الفهم والإدراك، وكان يستغل الوقت المناسب لتعليمهم وتربيتهم.

---

(١) أصول الكافي مجلد ١، ص ٥٣.

(٢) فرهنك اسلامى وتعليمات اجتماعى، سال سوم، المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.

٢- رسول الله بالإضافة إلى تعليم وتربية عامة الناس، قام بتربية علي بن أبي طالب منذ طفولته وأوصل نفسه الزكية إلى مرحلة الرشد، وتعلم العلم الإلهي، وتفتحت عيونه نحو علم الغيب.

٣- سيدنا علي والأئمة من بعده عُيِّنوا حسب وصية الرسول، وتعلموا كنوز العلم، ويجب على المسلمين أن يلجئوا إليهم ليؤمِّنوا سعادة دنياهم وآخرتهم [(١)].

فكر وأجب:

١- عدد المشاكل التي كانت تقف في طريق الرسول لإبلاغ وتبيين أحكام الدين.

٢- ماذا قال سيدنا علي حول تعلمه العلوم والأخلاق الحسنة والآداب من رسول الله؟

٣- ماذا كانت وصية الله للرسول بشأن تربية وتعليم سيدنا علي؟

٤- ماذا قال الرسول الأكرم حول الأئمة بعد سيدنا علي، سيدنا حسن وسيدنا حسين؟

٥- بيِّن نقطتين من نقاط حديث الثقلين.

٦-أخذ الشيعة العلوم الغنية والفقه المتين لمذهبهم من ثلاث منابع مهمة، ما هي هذه المنابع الثلاثة؟ [(٢)].

---

(١) فرهنك اسلامى وتعليمات اجتماعى، المرجع السابق، ص ٩١.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٢.

تحليل النص:

يُستخلص من الدرس الرابع عشر والأسئلة التي طرحت حوله عدة محاور يريد الكاتب أن يرسخها في عقلية الطالب:

١) الوصية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة.

٢) أن الأئمة مستودع العلوم ويجب على المسلمين أن يلجئوا إليهم ليؤمِّنوا سعادة دنياهم وآخرتهم.

٣) أن الأئمة يعلمون الغيب.

٤) العصمة للأئمة.

هنا لا بد من شيء من الحديث عن رأي الشيعة في عصمة الأئمة:

نتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسئولاً أمام أحدٍ منَ الناس ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال. بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله خيرٌ لا شرَ فيه لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته. ومن هنا قرر الشيعة للإمام من ضمن ما قرروا.. العصمةَ. فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا يصدر عنهم أية معصية، ولا يجوز عليهم خطأً ولا نسيانٌ. ويقول محمد باقر المجلسي (توفي سنة ١١١٠هـ) -أحد علمائهم- "اعلم أن إجماع علماء الإمامية قد انعقد على أن الإمام معصومٌ من جميع الذنوب صغيرة كانت أم كبيرة، من أول العمر إلى آخره فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا سهواً ولا غير ذلك"(١)، ويقول عالم آخر من علمائهم: "إن الأئمة

(١) أمين، ظهر الإسلام، ج٤، ص١١٠.

القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع، وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذَّ منهم"(١). ويقول صاحب عقائد الإمامية: "إن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان"(٢)، بل إن جماعةً من الشيعة يزعمون أن الرسول ﷺ جائز عليه أن يعصي الله وأن النبي قد عصى في أخذ الفداء يوم بدر، أما الأئمة فلا يجوز ذلك عليهم، لأن الرسول ﷺ إذا عصى فالوحي يأتيه من قبل الله فينبهه على وجه الخطأ فيتوب منه، والأئمة لا يُوحى إليهم ولا تهبط الملائكة عليهم وهم من أجل ذلك معصومون لا يجوز أن يسهوا أو يغلطوا وإن جاز على الرسول العصيان"(٣).

والذي دعا الشيعة إلى القول بعصمة الأئمة هو خطؤهم في إعطاء الأئمة وظائف لم يقل بها أهل السنة لأمير المؤمنين أو الخليفة. إذ أسند الشيعة إلى الإمام –كما سبق أن أشرنا- حفظ الشريعة والقيام عليها بعد النبي ﷺ فهو الذي يفسرها ويقيد مطلقها ويوضح غامضها، ويمنع عنها التحريف والتزييف والضلال. ولا ينبغي أن يكون مثل هذا الشخص عرضة للخطأ وإلا لما أُمن أن يقوم بوظيفته. يقول الشريف المرتضى: "لقد ثبت عندنا وعند مخالفينا أنه لا بد من إمام في الشريعة يقوم بالحدود وتنفيذ الأحكام... وإذا ثبت ذلك وجبت

(١) الشيخ المفيد، أوائل المقالات، باب القول في عصمة الأئمة، ص٣٥.

(٢) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص٦٧.

(٣) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص٤٨.

عصمته، لأنه لو لم يكن معصوماً وهو إمام فيما قام به من الدين الذي من جملته إقامة الحدود وغيرها، وواجب الاقتداء به من حيث قام وفعل، لجاز وقوع الخطأ منه في الدين، ولكنّا إذا وقع منه ذلك مأمورين بإتباعه والاقتداء به في فعله وهذا يؤدي إلى أن نكون مأمورين بالقبيح على وجه من الوجوه. وإذا فسد أن نكون مأمورين بالقبيح وجب عصمةُ مَن أُمرنا بإتباعه والاقتداء به في الدين"[1]. ويقول الحلي في "نهج الحق" (ذهب الإمامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش، من الصغر إلى الموت، عمداً وسهواً، لأنهم حفظة الشرع والقوّامون به، حالهم في ذلك كحال الأنبياء، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للإنصاف للمظلوم من الظالم، ورفع الفساد وحسم مادة الفتن، ولأن الإمام لطف يمنع القاهر من التعدي، ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات، ويقيم الحدود والفرائض، ويؤاخذ الفساق، ويعزر من يستحق التعزير، فلو جازت عليه المعصية وصدرت عنه، انتفت هذه الفوائد وافتُقر إلى إمام آخر) [2]. وهكذا يحتج الشيعة لمعتقدهم هذا بأن العلة التي لأجلها كانت الحاجة للإمام هو عدم عصمة الأمة، فلو لم يكن معصوماً لكانت الحاجة إلى إمامٍ معصومٍ آخر[3].

ويمكن الرد على الشيعة بأن وظيفة الإمام وواجبه حفظ مصالح الأمة وتطبيق شرع الله فيها عن طريق إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام ودرء المفاسد وهذا كله لا يحتاج إلى عصمة من يقوم به. أما الذي يحفظ الشريعة ويقوم عليها،

---

(١) كتاب الشافي، ص٤٠، انظر أيضاً: عقائد الإمامية، ص٦٧.

(٢) الشيعة في الميزان، ص٣٨-٣٩.

(٣) الطوسي، كتاب الغيبة، ص١٥.

بعد النبي ﷺ، فهم علماء الأمة وذلك عن طريق الدراسة والاجتهاد وفقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[2].

هذا بالإضافة إلى أن الأئمة الذين نسبوا لهم العصمة قد باشروا كثيراً من الأعمال فكانت أعمالهم واضحة للناس بعضها صواب وبعضها خطأ. فلم يكن هناك مجال لادعاء عصمتهم بل إنهم هم أنفسهم قد شهدوا باحتمال الخطأ منهم... إذ أنه روى عن علي رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست آمن أن أُخطئ[3]. وما ورد من أن الحسين كان يظهر الكراهية لصلح أخيه الحسن مع معاوية، وأبدى لومه لأخيه على ذلك، بل وحثّه على قتال أهل الشام[4]. ولو كان علي معصوماً من الخطأ أو عالماً بالغيب كما قالوا -ما قبل التحكيم-. ولو كان الحسين كذلك لما انتهى إلى المصير الذي انتهى إليه. وتاريخ أئمة الشيعة مليئ بالأحداث والمواقف التي جانبهم الصواب فيها، مما يدل على عدم عصمتهم وأنهم كغيرهم من البشر عرضة للخطأ والصواب. وعلى كل فإن العصمة بهذا المفهوم الشيعي غريبةٌ على التصور الإسلامي بعيدةٌ عن تعاليم القرآن الذي لم ينسب العصمة إلا للأنبياء. لأن العصمة المطلقة بعيدة عن الطبائع البشرية التي رُكِّبت فيها الشهوات، ورُكِّب فيها الخير والشر. والذي

---

(١) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٧٩)، انظر مختصر التحفة الإثني عشرية، ص١٢١.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص١٠٢.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص١٦ و١٥٠.

يبدو أن الأئمة الأولين كعلي والحسن والحسين لم تعرف لديهم العصمة التي ادعاها الشيعة ونسبوها لهم كما يتضح من أقوالهم التي سبق أن أشرنا إليها.

بل إن بعض الشيعة، لا سيما المعاصرين منهم، أدركوا خطأ هذا التصور للعصمة، ومن ثم حاولوا تأكيد أن الأئمة كغيرهم من البشر في طبائعهم وغرائزهم وصفاتهم، وما لديهم من سمو ورفعة إنما نالوه بتقيدهم بأوامر الله ونواهيه، "فالصفات التي ينطلق منها الإنسان إلى المعاصي كالرضا والغضب والشهوة وغير ذلك موجودة في الأئمة والأنبياء، كما هي في سائر الناس، فمع أنهم يحبون ويكرهون ويرضون ويغضبون، لكن في حدود أوامر الله ونواهيه فحبهم للدنيا ومظاهرها وشهواتها مغلوب دائماً لرضاء الله المسيطر على نفوسهم وقلوبهم، الذي حبب إليهم الطاعات، وأبعدهم عن الفسوق والنفاق". ووفقاً لهذا، فإن العصمة ليس لها مفهوم يتخطى إمكانيات الإنسان بنحو يكون هذا المخلوق البشري إنساناً آخر له طبيعة غير طبائع الناس، بل إن المعصوم إنسانٌ يغضب ويرضى ويحزن ويفرح ويتلذذ ويتألم ويحب ويكره إلى غير ذلك من صفات الإنسان. وهذه الحالات وإن كانت من شأنها أن تسيطر على الإنسان وتسوقه إلى المعاصي والمنكرات واتباع الشهوات والملذات، إلا أنها في الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، تكون مغلوبة للقوة الخيِّرة التي تصرفهم إلى الطاعات، وتسيطر على الدواعي التي تحرك إلى المعصية بنحوٍ تصبح معه تلك الدواعي معدومة التأثير وكأنها لم تكن"(١). وقد استنكر هذا الكاتب الزعم بأن الأئمة يستحيل صدور المعصية عنهم والذنوب واعتبر هذا نوعاً من المبالغة

---

(١) الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص٢٠٤-٢٠٥.

والغلو لأن ذلك يؤدي كما يقول إلى الإلجاء وعدم استحقاقه للمدح والثواب على أفعاله، لأنها لم تصدر عن إرادة واختيار، هذا بالإضافة إلى أنها لو كانت بهذا المعنى لم يبق لتعلق النهي بالمحرمات أثر، لأن الأفعال المنهي عنها لا تدخل تحت قدرة المعصوم بناء على هذا التفسير"[1].

الولاية:

تُعَرِّف الكتب المدرسية لمرحلة الابتدائي مفهوم الولاية بالطاعة الكاملة لله ولرسوله والأئمة المعصومين، حيث أن الطاعة تظهر الحب لهم[2].

ولكن ما هو الدور الذي يجب على الشيعة القيام به حسب الكتب المدرسية الإيرانية؟

أ. نحصن أطفالنا تجاه هذه الأفكار.

ب. عدم تهاون المسئولين عن الثقافة الإيرانية بشأن الغد، وأن يفكروا "بواقعية" و"مستقبلية" بشأن مستقبل الشيعة أصحاب "إمام الزمان" المهدي المنتظر.

ج. العودة لحياة البساطة واتخاذ المهدي وحياته أسوةً للجميع.

إن عقيدة الإيمان بـ "المهدي المنتظر" صارت تمثل حالةً ثقافية شاملة داخل إيران يطلق الإيرانيون عليها مصطلح "ثقافة الانتظار"، هذه الثقافة تقوم في

---

(١) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢) كتاب هديه هاى آسمان، تعليم وتربيت اسلامى، بنجم دبستان، جاب ششم، ١٣٨٩، حاشيه، ص٨٧.

الأصل على:

أ. تحقيق حياة خالدة وشريفة.

ب. إحياء الأمل في الحياة، وإقامة العدل والانتصار للمستضعفين.

ج. الوقوف بقوة وثبات دائم ضد أية مطامع أو تهديدات.

إن ذكرى ميلاد "إمام الزمان" هي تجديد للبيعة والعهد بالسعي إلى القضاء على "الكبر" و"الظلم" في العالمين وهي أيضا إحياء لسنة البيعة للولي الفقيه، وأخيراً هي عامل محفز للتحرك الدائم.

*** أسطورة العداء والعزلة والشعور بالاضطهاد:**

إن المتتبع لتاريخ العلاقات العربية ـ الفارسية يؤكد حقيقة متوافرة عبر الحقب التاريخية المختلفة، تؤيدها شواهد التاريخ وأحداثه، وهي أن هذه العلاقات اتسمت بروح العداء الفارسي للعرب، والنزعة التوسعية على حساب أراضيهم وبلادهم، والرغبة الشديدة التى تصل إلى حد الهوس للسيطرة عليهم وإذلالهم والانتقاص من مكانتهم ودورهم الإنساني.

مظاهر العدوان العسكري المسلح كان هو السلوك الثابت للفرس تجاه العرب ولا يزال هو العدوان العسكري المسلح.. إذ كانوا يشنون عدوانهم كلما وجدوا لديهم قدرة الفعل العسكري، وكلما رأوا الدولة العربية في العراق أو الخليج العربي تعاني من الضعف.. لقد أصبح العدوان والتوسع أشبه ما يكون بالقانون الثابت لدى الفرس، واستقراء التاريخ في الحقب القديمة والحديثة والمعاصرة يوفر لنا الأدلة القاطعة على هذا السلوك.

استقر الفرس في الهضبة الإيرانية حوالي ٩٠٠ ق م [١]، ثم بدؤوا يهيئون أنفسهم للانقضاض على الدولة البابلية وتحينوا فرصة ضعفها، فغزوا الدولة البابلية سنة ٥٣٩ ق م بقيادة كورش الأخميني ودمروا مظاهر تحضرها ومؤسساتها وآثارها وأعملوا بسكانها القتل والإبادة. ودامت فترة سيطرتهم على وادي الرافدين حوالي قرنين من الزمن(٥٣٩- ٣٣١ق م)[٢]. رغم ذلك فإن العرب لم يخضعوا خضوعا تاماً للفرس، مما دفع الملك -كما قال هيردوت- إلى التعاون مع العرب وكسب ودهم لاحتلال مصر في عهد الملك قمبيز الثاني، فمنذ أكثر من ألفي عام والفرس يتطلعون إلى توسيع نطاق هذه الإمبراطورية وتهديد حدود الدولة المصرية[٣]. إلى أن تم احتلالها من قبل الفرس على يد قمبيز بحدود ٥٢٥ ق م[٤]. وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الجيش المصري والتي توجت بطرد الفرس من مصر، إلا أن الأطماع الفارسية لم تنته في المنطقة، لذا غزا سابور شرق الجزيرة العربية وقتل الآلاف من سكانها، وكان يربطهم من أكتافهم ومن هنا جاء لقبه (سابور ذو الأكتاف)[٥]. وفي سنة ٥٤٠م غزا كسرى أنو شروان بلاد الشام. وفي سنة ٦٠٢م قتل الفرس النعمان ابن المنذر ملك الحيرة لعدم موافقته على زواج ابنته من كسرى[٦].

(١) بارندر، المعتقدات الدينية، ص١١٥.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١، ص٦٢٨.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١، ص٦٢٨؛ سوسة، حضارة وادي الرافدين، ج١، ص١٦٩.

(٤) للمزيد من المعلومات حول الاحتلال الفارسي لمصر، انظر: فخري، مصر الفرعونية، ص٣٤١-٣٤٧.

(٥) المسعودي، مروج، ج١، ص٢٦٥-٢٧٠.

(٦) الطبري، تاريخ، ج١، ص٣١٦، المسعودي، مروج، ج١، ص٢٧٠.

ويبدو أنّ الإمبراطورية الفارسية نظَّمت المجتمع الفارسي ليكون مجتمع حرب، فاعتمدت نظامًا أسريًا وإقليميًا يرتكز على أربع وحدات "البيت (غانة) والقرية (ويس) والقبيلة (زنتو) والإقليم(دهيو)"[1]. كان رؤساء القرى يضطلعون بدور أساسي في هذا التنظيم، "فهم كانوا كبار أمراء الملك...، وكانوا يُنشّئون رعاياهم على الحرب"[2].

خضع تركيب المجتمع الفارسي إلى النظم الإقطاعية والطبقية لكي يأتي متوافقًا مع النظم الحربية للدولة. ويشير تنسر إلى تقسيم الهيكل الاجتماعي الذي كان سائدًا أيام الساسانيين "إلى أعضاء أربعة منهم الملك: العضو الأول هو أهل الدين (آثروان(Athravan ، والعضو الثاني المقاتلة (إرتشتاران Rathaestar والعضو الثالث الكتَّاب (دبيران) والعضو الرابع المهنة (الفلاحون (وستريوشان) والصناع (هو تخشان) [3].

وظهرت في الدولة الساسانية تقسيمات اجتماعية أخرى منها ما أورده الجاحظ في كتابه "التاج" بقوله: "جعل أردشير الناس على أقسام أربعة، وحصر كل طبقة على قِسْمَتِها: فالأول الأساورة من أبناء الملوك، والقسم الثاني النسّاك وسدنة بيوت النيران، والقسم الثالث الأطباء والكتاب والمنجِّمون، والقسم الرابع الزرّاع والمهان وأضرابهم ومهما كانت تسمية الطبقات التي اعْتُمِدَتْ في فارس فإنّ هذا التنظيم أوحى بالطبيعة الحربية التي بُنِيَتْ عليها دولة الفرس. فالملك الذي كان يقف على رأس هذه الطبقات، كان عسكريًا بطبعه وتربيته،

---

(١) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٧.

(٣) تنسر، كتاب تنسر، ص١٢.

ويقول كريستنسن "إن أكثر ملوك الساسانيين شغوفون بالحرب واشتركوا فعلاً في أعمالها"[1].

بعد أن استكمل الفرس وحدتهم وسيطرتهم على إقليم إيران، أخذوا بالتخطيط لوضع إستراتيجية لدولتهم مستمدة من تاريخهم، وحروبهم مع اليونان والروم... وأصبحت سياسة الفرس منذ عهد أردشير وخلفائه الأوائل متجهة إلى حماية الحدود من الشرق والشمال والغرب والتي كانت على ما يبدو مهدَّدة بصورة دائمة بحيث وجّهوا "عنايتهم كلها إلى غزو الروم وقتالهم، ولن يستريح ملكهم ما لم ينتقم لدارا من الإسكندريين"[2].

واهتم الفرس بتنظيم "جيش إمبراطوري قوي"، وربطوا وجود دولتهم بقوته وتماسكه، فأغدقوا المال على إعداده متبعين سياسة أنوشروان: "الملك بالجند والجند بالمال"[3]. وفي هذا الإطار كان جيش فارس يشمل الصنوف المتعارف عليها كافةً في ذلك العصر. يشير المسعودي إلى تنظيم الجيش الفارسي في وصفه لاستعراض أبرويز لصفوف جيوشه بقوله "وقد صُفَّت له الجيوش والعدد والسلاح فيما صُفَّ له ألف فيل، وقد أَحدَقَت به خمسون ألف فارس دون الرجّالة"[4].

لقد شعر ملوك الفرس أن سياستهم العدوانية تجاه الجيران ستخلق لهم الأعداء، وبالتالي فإن حياتهم كانت بخطر، لذا حرصوا على إحاطة أنفسهم بقوات متميزة ومدربة لحماية الملك الفارسي. كانت هذه الفرقة تحيط بالملك بهدف

---

(١) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص١١٩.

(٢) تنسر، كتاب تنسر، ص ٦٨.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٦١.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ٢٩٠.

الدِّفاع عنه وحراسته، ويفيد كريستنسن "أنّ رئيسهم يتمتَّع بأوسع جاهٍ في البلاط، وفي أيام كسرى كانت وظيفة "الهزاربد" رئيس الألف رجل ثم أصبح رئيسًا للحرس الملكي"[1]. ويذكر ديورانت "أن هذه الفرقة كانت أم فرق الجيش وكانت مؤلفة من ألفين من الفوارس وألفين من المشاة كلهم من الأشراف"[2].

وفي ضوء هذه السياسة الحربية، لم يُغفل ملوك الفرس إعداد البلاد لمواجهة الطوارئ، والتعامل مع الحوادث المفاجئة. لقد خصصوا احتياطًا ماليًا في خزائنهم لتغطية النفقات الحادثة من جراء عدوان مفاجئ على الحدود أو كوارث تصيب الثغور، على نحو ما نقل الطبري عن سياسة كسرى أنوشروان: "قد رأينا أن تُجمَع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من ثغورنا، أو طرف من أطرافنا فتق أو شيء نكرهه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه ببذلنا فيه مالاً، كانت الأموال عندنا معدّة، موجودة"[3].

وفيما تبدو صورة المجتمع الحربي الفارسي ظاهرة في ترتيب طبقاته، يأخذ التقسيم الإداري لبلاد فارس طابعًا عسكريًا واضحًا باعتماده "نظام المرازبة الأربعة". وفي هذا الإطار حفظ لنا تنسر تنظيم الدفاع عن فارس بتطبيق "نظام الثغور" مستندًا إلى قول أردشير: "لا يجوز أن يُطلَق لقب المَلِك على أحد من غير أهل بيتنا عدا أصحاب الثغور، وهي الآن وناحية المغرب وخوارزم وكابل"[4]. ويطلق المسعودي على حكام الثغور لقب "أصبهبذ" و"جعل الأصبهبذين أربعة "الأول بخراسان والثاني في المغرب، والثالث ببلاد الجنوب، والرابع ببلاد الشمال،

---

(١) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص ٣٧٩.

(٢) ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٢، ص ٤١٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٢، ج١٥٠.

(٤) تنسر، كتاب تنسر، ص ٢٩.

فهؤلاء هم أصحاب تدبير الملك، كل واحد منهم قد أُفرِد بتدبير جزء من أجزاء المملكة، وكل واحد منهم صاحب ربع، ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الأربعة"[١].

ويشير الطبري إلى أن تنظيم الثغور الأربعة جرى زمن كسرى أنوشروان حين ألغى رتبة "إيران - سباهبذ" بقوله: "وكان يلي الأصبهبذة –الجنود – قبل مُلكِهِ رجل، وكان إليه أصبهبذة البلاد، ففرّق كسرى هذه الولاية والمرتبة بين أربعة إصبهبذيين، منهم إصبهبذ المشرق وهى خراسان وما والاها، وإصبهبذ المغرب، وإصبهبذ نيمروز، وهي بلاد اليمن، وإصبهبذ أذربيجان وما والاها، وهي بلاد الخزر وما والاها، لما رأى في ذلك من النظام لملكه[٢]".

والواقع أنّ ملوك فارس ميّزوا رجال الجيش لأن وظيفتهم القتال، وجعلوهم أعلى درجةً من باقي الجماعات، كما ألزموا المَهَنة أن يؤدوا لرجاله التحية وأن يسجدوا لهم[٣]. واتخذ الأكاسرة تدبيرًا استثنائياً في إدارتهم قضى بخلع لقب "ملك" على أصحاب المقاطعات التي كانت في موقع اشتباك دائم مع العدو لتمييزهم عن باقي المرازبة، ومكافأةً لهم لدفاعهم عن دولتهم، كما هي حال أصحاب الثغور الأربعة وملوك الحيرة وفق ما جاء في كتاب تنسر: "لا يجوز أن يطلق لقب الملك على أحد من غير أهل بيتنا عدا أصحاب الثغور"[٤].

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٥٣ .

(٢) الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٧٦-١٧٧.

(٣) تنسر، كتاب تنسر، ص٤٨.

(٤) تنسر، كتاب تنسر، ص٢٩.

وكما أن الدولة بحاجة إلى جيش قوي ومدرب يستطيع حسم المعركة عندما تبدأ لصالحه، فقد كانت بحاجة إلى جهاز استخباراتي تستطيع القيادة العسكرية من خلاله استطلاع أوضاع أعدائها، ونقاط القوة والضعف عندهم. كان الاستطلاع من أبرز المجالات التي عمل الفرس من خلالها على جمع المعلومات عن عدوهم فأرسلوا السرايا الاستطلاعية، ليس بهدف القتال فحسب، وإنما بهدف جمع أخبار العدو ومعرفة ما عزم عليه. وكانت مهمة الاستطلاع توكل إلى مقدمة الجيش وطلائعه، وفي هذا السياق يشير الطبري في روايته لمعركة القادسية إلى أن رستم قائد الفرس "أمر الجالنوس قائد مقدمته بالتقدم إلى الحيرة، وأمره أن يصيب له رجلاً من العرب. فخرج هو والآزاذمرد سرية في مئة حتى انتهيا إلى القادسية، فأصابا رجلاً فاختطفاه"[1].

إذا كان الاستطلاع خاص في حالة الحرب وتقدم الجيوش، فإن الجواسيس والعيون لعبوا دوراً أوسع وأشمل.. شمل جمع المعلومات المختلفة في الداخل والخارج، بما يهدف لخدمة واستمرارية النظام. اتخذ الفرس الجواسيس عناصر قتاليةً لكشف خطط العدوّ ونواياه ومعرفة جواسيسه وعيونه، كما كلّفوا معرفة معارضي الدولة في الداخل وكشف مناوئيها. ويصف تنسر نظام التجسس الذي نظّمه الفرس الساسانيون بقوله: "إنّ الملك قد نَصَّبَ على أهل المملكة الجواسيس والمُنهين، وإنّ الناس منهم في رعبٍ وحيرة. فاعْلَمْ أنّه لا خوف على الأبرياء والمخلصين من هذا، فإنّ عيون الملك والمنهين إليه لا يُعَيَّنون إلاّ إذا كانوا من الصالحين الأتقياء الأمناء العلماء المتديّنين الزاهدين، ليَصْدُرَ ما

(١) الطبري، تاريخ، ج٣، ص٥٠٧.

يعرضون على الملك عن ثبت ويقين". ويبدو أن نظام الجاسوسية كان ثقيلاً ومخيفًا فجاءت تطمينات الدولة بأن المكلفين بهذه المهمة من ذوي الأمانة والضمير الحيّ، يكتبون عن الناس بالحق، وقد عبّر عن ذلك تنسر بقوله: "يجب أن يَتَنَبَّه الملك فلا يستمع لمن لا يعتمد عليه ولا يوثق به"[1].

إن اهتمام ملوك فارس بالتجسس دفع البعض إلى القيام بهذه المهمة – رغم خطورتها- بأنفسهم. يذكر المسعودي أن سابور بعد أن اجتاحت قواته بلاد الشام أراد استطلاع أوضاع بلاد الروم بنفسه[2].:" ثم طالبته نفسُه بالدخول إلى أرض الروم متنكراً ليعرف أخبارهم وسيرهم، فتنكر، وسار إلى القسطنطينية، فصادف وليمةً لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم، فدخل في جملتهم، وجلس على بعض موائدهم، وقد كان قيصر أمر مصوراً أتى عسكر سابور فصوَّره له، فلما جاء قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة، وأتى من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس، فنظر بعض الخدم إلى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل له على المائدة، فعجب من اتفاق الصورتين، وتقارب الشكلين، فقام إلى الملك، فأخبره... ".

واهتم ملوك الفرس بجمع المعلومات عن إداراتهم وشرائح شعبهم في مختلف أنحاء فارس، "فكانت الحكومة المركزية ترسل المراقبين يراقبون الإدارات المحلية، وقد دُعي هؤلاء عيون الملك وآذانه. فكان المراقبون ينظمون التقارير عن مشاهداتهم، ويرفعونها إلى الإدارة المركزية لدراستها[3].

(١) تسنر، كتاب تسنر، ص٥٠.

(٢) مروج الذهب، ج١، ص٢٦٦.

(٣) تسنر، كتاب تسنر، ص٤٦.

وطال نشاط جواسيس الفرس بلادَ الروم فقد استفاد الأكاسرة من نصارى إيران ونجحوا في إطلاق بعضهم إلى داخل بلاد الروم وجمع المعلومات عنها، وينقل كريستنسن "إن عيشوييه، الذي عيّن جاثليقًا برضى الملك، كان مُقَرَّبًا جدًا عنده وكان يؤدي إليه خدمات طيبة إذ يوقفه على حركات البيزنطيين"[1]. وبالمقابل يبدو أن الروم استفادوا كثيرًا من النصارى المنتشرين في فارس إلى حد جعل هرمز ملك الفرس يقول: "لا قِوام لملكنا ولا ثبات له، مع استفسادنا من بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا"[2].

لكن الهوس الذي تمكن من الفرس لتوسيع إمبراطوريتهم انتهى بهم إلى الوقوع تحت الاحتلال المقدوني؛ ثم وقعت هذه البلاد تحت الحكم الساساني إلى أن فتحها العرب المسلمون بعد انتصارهم التاريخي في معركة القادسية سنة ٦٥١م.

لقد كان لمعركة ذي قار التي انتصر بها العرب على الفرس، أثرها في نفوسهم، حتى أن كسرى مات كَمَداً وقهراً حين هزمَ العربُ جيشه في المعركة[3].

ويظهر أن عقدة الخوف من مستقبل العرب استقرت في أنفسهم منذ زمن بعيد، وقد كانت فكرة الغلبة للعرب قد ترسخت في معتقداتهم منذ القدم. ولعل في الحوار التالي الذي دار بين سابور وعمرو بن تميم بن مـر أحد زعماء

---

(١) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص ٤٢٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٧٤.

(٣) وعن هذه المعركة فقد قيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال حين بلغه نصرُ العرب فيها على الفرس: " هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم، وبي نصروا". أبو نعيم، معرفة الصحابة، رقم ١١٢٠.

وشيوخ القبائل العربية عندما اجتاحت جيوش الفرس بلاد البحرين دليلا على ذلك. يقول المسعودي[1]: "وقد كان سابور في مسيره في البلاد أتى على بلاد البحرين، وفيها يومئذ بنو تميم، فأمعن في قتلهم، وفرت بنو تميم، وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مر،..... فأخذوه، وجاءوا به إلى سابور، فلما وضُع بين يديه نظر إلى دلائل الهرَم ومرور الأيام عليه ظاهرة، فقال له سابور: مَنْ أنت أيها الشيخ الفاني. قال: أنا عمرو بن تميم بن مر، وقد بلغت من العمر ما ترى، وقد هرب الناس منك لإسرافك في القتل وشدة عقوبتك إياهم، وآثرتُ الفناء على يديك ليبقى مَنْ مضى من قومي، ولعل الله ملك السماوات والأرض يُجري على يديك فرجهم، ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم، وأنا سائلك عن أمر إن أذنْتَ لي فيه، فقال له سابور: قل يُسْمع منك، فقال له عمرو: ما الذي يحملك على قتل رعيتك ورجال العرب؟ فقال سابور: أقتلهم لِما ارتكبوا من أخذ بلادي وأهل مملكتي، فقال عمرو: فعلوا ذلك ولست عليهم بقيم، فلما بلغت وقفوا عما كانوا عليه من الفساد هيبةً لك، قال سابور: أقتلهم لأنا ملوكَ الفرس نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب ستُدال علينا، وتكون لهم الغلبة على ملكنا، فقال عمرو: هذا أمر تتحققه أم تظنه، قال: بل أتحققه ولا بد أن يكون ذلك، قال له عمرو: فإن كنت تعلم ذلك فلم تسيء إلى العرب؟ والله لأن تُبْقِي على العرب جميعاً وتحسنَ إليهم فيكافئون عند إدالة الدولة لهم قومَكَ بإحسانك، وإن أنت طالت بك المدة كافئوك عند مصير الملك إليهم، فيبقون عليك وعلى قومك، وإن كان الأمر حقاً كما تقول فهو أحزم في الرأي، وأنفع في العاقبة، وإن كان باطلًا فلم تتعجل الإثم وتسفك دماء رعيتك؟. فقال سابور:

---

(١) مروج الذهب، ج١، ص٢٦٥-٢٦٦.

الأمر صحيح، وهو كائن لكم، والرأي ما قلتَ، ولقد صدقتَ في القول، ونصحت في الخطاب".

فالفرس بحكمائهم وفلاسفتهم أدركوا أن المستقبل للعرب بعد حين من خلال الإرهاصات الأولى في بلادهم التي كانت تشير إلى قرب ظهور النبوة في جزيرة العرب. ففي أيام أبرويز كانت حوادث تنذر بالنبوة وتبشر بالرسالة، لذلك "أنفذ أبرويز عبد المسيح بن بقيلة الغساني إلى سطيح الكاهن، فأخبره برؤيا الموبذان وارتجاج الإيوان، وغير ذلك من أخبار فيض وادي السماوة وما كان من بحيرة ساوة"[١].

كان الفرس في تاريخهم القديم "أمّة مسلحة"، ولذلك تمكّن الأشكانيون "نظرًا إلى تربيتهم العسكرية من الاستيلاء على "بارتا"، ثم خلقوا بالغزو دولة إيرانية جديدة أسموها "الدولة البرتية". واتخذوا دامغان عاصمةً لهم[٢].

وليس هناك ما هو أكثر دلالة على العمق التاريخي لحالة الصراع بين الفرس والعرب مما ورد في السيرة النبوية للذهبي الذي أشار إلى أن ولادة النبي محمد في عام ٥٧٠ م أدى إلى سقوط أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى وأطفأ النار التي كان يعبدها المجوس[٣].

قد يعلل أحدهم أن هذا الموقف العدائي كان وقتياً تتطلبه مرحلة الصراع ولا يعبر عن الوجدان الفارسي. نقول ربما يكون ذلك صحيحاً لو لم تتوفر لنا مصادر أخرى تؤكد النزعة العدائية للعرب. وكما قالوا كتب الأدب مرآة

(١) مروج الذهب، ج١، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٢) كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص٥-٦.

(٣) السيرة النبوية، ج١، ص٤٢-٤٣.

الشعوب والمعبرة عن ضمير المجتمع. لذا فإن قراءة الأدب الإيراني القديم والذي عبّر عنه أديبهم المشهور الفردوسي ليؤكد تأكيدا قاطعاً أن العداء للعرب مستحكم في الوجدان الفارسي عامةً. فالشهنامة -ملحمة الفردوسي الشهيرة- تنتهي صفحاتها بقدوم العرب المسلمين والقضاء على إيران الساسانية واحتلالها. وقد تم تصوير العرب فيها على أنهم أقل مدنيَّة من الفرس. فها هو (رستم) قائد الجيش الفارسي يرسل رسالة إلى سعد بن أبي وقاص (قائد الجيش العربي) يقول فيها: "على من تنشد الانتصار أيها القائد العاري لجيش عار؟ رغيف خبز يشبعك ورغم ذلك تبقى جائعًا. ليس عندك فَيلة ولا منابر ولا مؤن ولا تجهيزات. إن وجودك فقط في إيران يكفيك من حليب النوق والسحالي، جاء العرب إلى هنا طامحين لعرش. أليس في وجوهكم حياء. ليس هذه فحسب، بل وصف العرب بأبشع الصور: فهم "البدو المتوحشون الذين يطاردون السحالي في الصحراء".

لم يقبل الفرس العرب في القديم، فكيف يقبلون بهم بعد أن نزلت الدعوة بين ظهرانيهم، لذ نجد أن كسرى عندما أرسل له الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، استشاط غضباً، فقد قام بتمزيق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]؛ وذاك حينما استمع لأول الخطاب يذكر اسم نبي الرحمة – صلى الله عليه وسلم – قبل اسمه! فغضب حينها وقام من فوره بتمزيق الكتاب وقال: عبدٌ حقير من رعيتي يذكر اسمه قبل اسمي. ثم إنّه قد بالغ في الاستعلاء الفارسي؛ فأمر عامله على اليمن (باذان) أن يبعث برجلين شديدين إلى المدينة ليحملاه له [2].

(١) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص١٩٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص١٩٩؛ الكلاعي، الاكتفاء، ج١، ص٨٥.

فلم تمض إلا سنوات قلائل حتى استطاعت جيوش المسلمين القضاء على أسطورة الدولة الفارسية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –. ولعل هذا يُفسر للجميع سبب هذا الحقد الأسود في قلوب الفُرس على عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ إذ أنهم يرونه قد أسقَطَ حضارتَهم ودمّر مملكتهم. فلا غرابة أن يُقتل على يد أبي لؤلؤة المجوسي[1].

لقد أحدث الانتصار العربي الإسلامي استفزازا لدى الفرس. لذا فتش الفرس عن سر انتصار العرب، وحاولوا أن يفهموا كيف أن دولة العرب الفتية بإمكانياتها البسيطة استطاعت أن تسقط الدولة الفارسية. وقد استطاعوا تحديد ذلك بأنه العقيدة والقيادة المخلصة للدين، لذا نشطوا في ابتكار وسائل وطرق مختلفة استهدفت العقيدة والقيادة: كما انتبهوا إلى إحياء ديانة إيرانية قديمة لتلازم الفارسية وترتبط بها مقابل التلازم بين العرب والإسلام الذي كان سببا في نهضة العرب، لذا ظهرت الزندقة[2].

لكن مع دخول الإسلام إلى إيران، تمسك الفرس بكل عناد بثقافتهم الفارسية ولغتهم ووضعوا قوميتهم في موازاة ديانتهم وربما حتى فوقها وقبلها. وهو ما يكشف بجلاء عن ظاهرة العداء المتأصلة في بنية العقل الفارسي الإيراني ضد العرب رغم أنه كان من المفترض إنهاء هذا الصراع التاريخي بعد دخول الاثنين في كنف الدين الإسلامي.

كان الفتح الإسلامي لبلاد فارس أثره العميق في النفسية والعقلية الفارسية المجوسية، والذي بدوره شكل عُقدة نفسيّة مؤلمةً هي " المجدُ الخالد للفرس".

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٩٠-١٩٢.

(٢) جميل، الشعوبية، ص٢٣-٢٤.

فالفرس حتى ذلك التاريخ كانوا يعتبون أنفسهم سادة العالم. ارتبط في العقلية الفارسية منذ القدم الرغبة في السيطرة، بل التفرد بها، ونفوذها السياسي يسيطر على أراضي إيران، والعراق، وشرق الخليج، وبعض غربه، واليمن. وقد خلق ذلك للفرس ما يمكن تسميته بالنظرة الاستعلائية على كل الشعوب بمن فيهم العرب. إن تقديسها للنار يعبر عن أقوى الكائنات. تمثل النار في الزرادشتيّة مصدراً للطهر والنقاء في الوجود، فكما ورد في الزرادشتيّة، "أنّها مخلوقة من ضياء العرش الأعلى، وتجسّدت على الأرض... هي سرّ الحياة وروح العالم، رمز القوّة الإلهيّة في الوجود، وأصل جوهر البشر، فأصل كلّ المخلوقات من ماء إلا الإنسان المخلوق من النار... ولكن للنار تدخّلها في كلّ عناصر الوجود، فقد امتزجت بالماء والنبات فاكتملت ملامح الخلق، ونمت الأعشاب.. وتكوّنت السحب وهطلت الأمطار.. فكان الكون"[1].

وبعد أن فشلت جهودهم العسكرية في التصدي للعرب المسلمين، نجد الفرس يتخذون منهجاً آخر لمقاومة الدين الجديد والقائمين على نشره من خلال ما عرف بالحركة الشعوبية التي تمثل واحدة من فصائل مخطط المؤامرة على الإسلام. وقد عمدت الشعوبية إلى مهاجمة العرب حملة لواء الإسلام وأصحاب الدولة الإسلامية في تاريخهم وأسلوب حياتهم، ومهاجمة التاريخ الإسلامي واللغة العربية، والطعن في أصول القيم الإسلامية وجذورها. كذلك عمدت الشعوبية إلى إذاعة المجون والشراب والمجاهدة بالخلاعة والانحراف الجنسي، واعتبرت ذلك نوعًا من التحرر والظرف.

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام ص٢٧٦-٢٧٨.

ويذكر الدكتور الدوري في مقدمة كتابه" الجذور التاريخية للشعوبية": أن حاضر الأمة نتاج سيرها التاريخي وبداية طريقها إلى المستقبل، ولذا فلا انقطاع في التاريخ، ولا ظاهرة تبدو فيه دون جذور وتمهيد، ويضيف قائلاً: لكل هذا نريد إلقاء نظرة علمية نقدية على جذور الشعوبية في المجتمع العربي، ولا حاجة بنا إلى وصف الشعوبية المعاصرة، بل يكفينا أن نفهم الجذور فهمًا عامًّا سريعًا يرسم الخطوط، ويكشف الخيوط، وكلنا ثقة بأن الروح العلمية خير سبيل لفهم الذات ولمعرفة النفس، ومن عرف نفسه وعى تجربته وأدرك طريقه ويبدأ الكتاب بالحديث عن بذور الحركة الشعوبية. ثم عن البيئة العامة للشعوبية وبداياتها وتطورها ورجالها ومخططها الفكري. ويرى الدكتور الدوري أن المنطقة التي نشطت فيها الشعوبية نشاطًا خاصًّا هي العراق وإيران والأندلس[1]. ويرجع الأستاذ الدوري السبب في نشاطها هذا إلى أن الإسلام قد قضى في هذه البلاد على حضارات كانت قائمة، فعزَّ على شعوب هذه المناطق خضوعها للعرب، وارتفعت أصوات تدعوا إلى نبذ التراث العربي والاستهانة بالثقافة العربية الإسلامية[2].

وبيَّن الدكتور الدوري أن هذه الحركة الشعوبية قد بدأت في العصر الأموي مستترة بستار إسلامي، فقد دعت إلى مساواة الموالي بالعرب، واستندت في دعوتها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد ساعد الشعوبيين في دعوتهم هذه أن بعض الأحزاب السياسية العربية قد نادت بوجوب تحقيق المساواة التي جاء بها الإسلام، كالخوارج مثلاً، ومثل هذه المطالبة تبدو معقولة لو كانت بعيدة عن الهوى، ولكن يبيِّن الدوري بجلاء أن هذه الدعوة إلى المساواة لم تكن إلا ستارًا

---

(١) الجذور التاريخية للشعوبية، ص١١-١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٢ -٢٣.

يخفي وراءه كراهية العرب، كما يورد الشواهد التي تدحض مزاعم القائلين بانعدام المساواة[1].

كما أشار العلامة الدوري إلى أن العصر العباسي شهد ألوانًا من الشعوبيين، فهناك العامة وهم جلُّ هذه الفئة، وهناك دهاقين الفرس من أمثال آل برمك وبني سهل وطاهر بن الحسين والأفشين، وهناك الحركات الدينية الإيرانية كالخرمية والمانوية والزرادشتية وغيرها، وهناك الشعوبيون من الأدباء والكتّاب، وهَمّ هذه الفئة جميعاً هو الدعوة إلى إزالة السلطان العربي وإحياء مجد الفرس ومحاربة الإسلام والعودة إلى المجوسية، وقد انتشرت هذه الحركات الشعوبية في إيران في المناطق التي تكثر فيها الجماعات غير المسلمة، وهي مناطق واقعة على الأطراف مثل خراسان وأذربيجان وما وراء النهر. ويرى الدكتور الدوري أن الشعوبيين ركزوا هجومهم بادئ ذي بدء على العرب قبل الإسلام، فهاجموهم في أسلوب حياتهم وفصاحتهم وأساليب قتالهم وأنسابهم وعلاقاتهم الاجتماعية وكرمهم ومروءتهم ومقاييسهم الخلقية، وقد يظن المرء أنهم تعففوا عن تهجمهم على العرب في ظل الإسلام تقديرًا منهم لدورهم الحضاري فيه، ولكن الصحيح أن سكوتهم هذا إنما كان خوفًا من سطوة السلطان والمتدينين، ولكن التستر لم يطل، فامتد هجومهم إلى فترات التاريخ الإسلامي وشوّهوا هذا التاريخ[2]".

ويجد الباحث نفسه أمام حقيقة ثابتة تؤكدها المصادر التاريخية بأن شعب إيران الذي يعتز بقوميته الفارسية وأنه جنس آري أنه خليط من عدة شعوب. إن نظرة إجمالية على الحالة الإثنية وهوية القوميات المتنوعة القاطنة في إيران

(١) المرجع نفسه، ص٣٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٦ وما بعدها.

ترينا بوضوح إن إيران بلد متعدد القوميات، فسكان إيران هم مزيج من شعوب شتى، فهناك شعب يسمى " كاس سو" كان يقطن غرب إيران، ولا يعرف إلى أي جنس ينتمي[1]. وأما في الجنوب الغربي فكان يعيش العيلاميون[2]، أما الأجزاء الباقية فكان يقطنها الأحباش أو جماعات من السود[3]. لم يبق الحال على ذلك بل وفد إلى بلاد إيران الآريون التابعون للجنس الأبيض[4] لذلك يقال أن الإيرانيين من الجنس الآري.

حاول الآريون بعد سيطرتهم على مقدرات البلاد دمج المكونات المختلفة للمجتمع الإيراني من خلال صبغها بالطابع الآري، ليشكل هؤلاء جميعا قوة تخدم الحكام الجدد ومصالحهم المختلفة. ويبدو أن هؤلاء (الآريون) لم يجدوا أفضل من خلق عدو خارجي(العرب المجاورين لهم) كي يتناسى أبناء القوميات المختلفة طموحاتهم بالاستقلال والتحرر من سيطرة الآريين. وبالتالي يتنازلون عن تطلعاتهم وينشغلوا بمقاومة العدو(العرب). والذي يظهر أن مفهوم تصدير الأزمات الذي كانت تعاني منه إيران هو الأساس الذي اعتمدته الثورة الخمينية لتصدير ثورتها وأفكارها إلى المناطق العربية المجاورة.

إن المشروع الصفوي في جوهره هو مشروع قومي لا علاقة له بالدين، يهدف إلى إعادة بناء إيران على أسس قومية فارسية تميز نفسها عن العرب وعن الخلافة الإسلامية التي ترتكز على الإسلام السني.

(١) بيرنيا، تاريخ إيران القديم، ص١٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٦.

(٣) المرجع نفسه، ص١٧.

(٤) عبد القادر، زرادشت الحكيم، ص٨.

والآن كما كان في الماضي، ما تزال الروح القومية الفارسية هي العامل الأول والمهيمن الذي يسبق كل اعتبار آخر، بما في ذلك عامل الانتماء المشترك للدين الإسلامي، ويبدو هذا التناقض واضحا بشكل جلي في تظاهر حكام إيران بإقامة نظامهم السياسي على أساس الالتزام الدستوري بالإسلام فيما يزداد في الواقع عداؤهم للمحيط العربي الإسلامي وسعيهم الدؤوب لبسط نفوذهم السياسي وهيمنة مذهبهم الديني على جيرانهم العرب.

والحقيقة أن الفرس ظلوا منذ اللحظة الأولى وحتى الآن يرفضون الاندماج الكامل في الهوية الإسلامية الجامعة، وسعت دائما ولا تزال إلى الثأر من هزيمتها التاريخية أمام العرب، ولهذا تهافتت بسرعة لتبنّي الدعوة الصفوية التي حولت إيران من دولة سنية المذهب إلى أول دولة شيعية في التاريخ الإسلامي. استمر السلوك العدواني وبغض النظر عن طبيعة الحكم في فارس.

كان قيام الدولة الصفوية في إيران يمثل مرحلة خطيرة منمحاولة الحكام الإيرانيين المؤامة بين الدين والسياسة خاصة أن هؤلاء الصفويين لم يكون من الفرس أصلا[1]. وكانت أولى الخطوات في هذا الصعيد الادعاء بالنسب العلوي. ولتوضيح ذلك لا بد من تعرض سريع لتاريخ قيام الدولة والظروف والملابسات التي رافقت ذلك.

فالصفوية بدأت طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ صفي الدين الاردبيلي (ت٧٣٥ هـ- ١٣٣٤م) الذي اشتهر في مدينة أردبيل بإيران وعرف عنه الوعظ

(١) فقد اختلف المؤرخون حول الأصل العرقي للصفويين فغالب المؤرخين يذهبون إلى أنهم من القبائل التركمانية.

والإرشاد حيث كان مريدوه يعرفون (بالإخوان) وقد ازداد عددهم في أذربيجان ثم انتشروا من هناك إلى الأناضول[1].

لم يكن الشيخ صفي الدين الأردبيلي من ذوي الطموحات السياسية ولم يستغل الدين لأغراض دنيوية وكذلك كان ابنه صدر الدين، إلا أن أول من استغل الدين لتحقيق مكاسب سياسية من هذه الأسرة هو الشيخ جنيد بن علي بن صدر الدين الصفوي الذي رفع شعار التشيع لآل البيت للتمويه على أهدافه ومخططاته. وقد أصبح لهذه الطريقة الصفوية تنظيمات ومراتب فكان الأتباع والمريدون يدعون بالدراويش ويضعون على رؤوسهم قلنسوة مخروطية مصنوعة من الجوخ الأحمر ولذلك عرفوا (بالقزل باشية). ويُعد الشاه إسماعيل بن حيدر بن جنيد الصفوي مؤسس الدولة الصفوية في إيران التي تبنت التشيع بطبيعته الصوفية.

فبعد أن سيطر الشاه عباس على الحكم في إيران سنة ٩٠٧ هـ/ سنة ١٥٠١م أعلن المذهب الإمامي مذهباً رسمياً لدولته لأسباب سياسية ومصلحية بحتة رغم أن أكثر سكان إيران كانوا على المذهب الشافعي، وقد أنذر الناس بقوله: "إنني لا أخاف أحدا.. فإن تنطق الرعية بحرف واحد فسوف امتشق الحسام ولن أترك أحداً على قيد الحياة".

لقد استطاع الصفويون تأسيس دولة إيران ومعنى ذلك أنهم سخَّروا كل الإمكانات المادية والبشرية والاقتصادية لدى شعوب إيران لخدمة أغراضهم وسياساتهم. كما أن الصفويين رفعوا شعار "التشيع لأسباب سياسية كذلك فحرفوه وأساؤا إليه تماماً كما فعل الباطنية والغلاة قبلهم. ومن المعروف أن

(١) أبو مغلي، إيران، ص ٢٤٤.

الصفويين ليسوا فرساً بل من قبائل التركمان في أذربيحان وشمالي غربي إيران وشرقي الأناضول ولكنهم ما أن سيطروا على مقاليد الحكم في إيران حتى تبنوا العقدة الفارسية ضد العرب فكانت سياستهم في عهود ملوكهم معادية للعراق والأحواز وعرب الخليج العربي. كما أنهم من جهة ثانية أكدوا على المفهوم الفارسي للتشيع وجعلوه مذهباً رسميا لهم بل أكثر من ذلك أدخلوا عليه طقوساً وتقاليد وبدعاً جديدة فوسعوا الشقة بينه وبين التشيع العربي أكثر مما فعل البويهيون والإسماعيلية قبلهم. ومن هنا كان العدوان على العراق ومنطقة الخليج العربي سياسةً دائمةً لكل حكام إيران عبر العصور وقد استمر هذا النهج كما أشرنا حتى يومنا هذا[١].

فقد كان إسماعيل الصفوي ينشر بين مريديه من القزل باش أنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة ولهذا فإن أفعاله وأقواله معصومة عن الخطأ. وزعم أنه ليس بينه وبين المهدي حاجز وادعى أنه هو المقصود بالآية القرآنية: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ..﴾! وكان من المغالين في الإمام علي رضي الله عنه وادعى بأن علي بن أبي طالب قد تنبأ بظهوره وولايته وأفسح في المجل لأتباعه أن يغلوا فيه إلى حد العبادة والسجود له[٢].

الواضح أن الذين يعتقدون بانتساب الصفويين إلى آل البيت، أرادوا أن يُكسبوا الأسرة أحقيتها في الحكم، وقد حدث ذلك بتوجيهٍ من جانب أفرادها، وأما الذين يعتقدون بانتساب الصفويين للآريين إنما هدفوا إلى تأكيد دور الصفويين في بعث القومية الإيرانية التي ظهرت على أيديهم[٣].

(١) عمر، الخمينية، ص ١١٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٥.

(٣) راجر سيوري، إيران في العصر الصفوي، ص ٦٤

والمعروف أن الصفويين اعتمدوا على فكرة الحق الإلهي للملوك الإيرانيين قبل الإسلام وذلك بوراثة هذا الحق، وعندما تزوج الحسين بن علي بن أبي طالب ابنة يزدجر الثالث آخر ملوك الفرس أنجب منها ابنه زين العابدين علي، فاجتمع عندهم حقان:

الأول: حق أهل البيت في الخلافة وفقاً لنظرية الإمامة عند الشيعة.

الثاني: حق ملوك إيران وفقاً لنظرية الفرس القائلة بالحق الإلهي لهؤلاء الملوك بالحكم. والواقع أن انتساب الشيخ صفي الدين إسحاق إلى الإمام موسى الكاظم، شابهُ الضعف، والشواهد التالية دليل على ذلك:

- إن زوجة الشيخ صفي الدين إسحاق لم تكن تعلم بهذا الانتساب.

- بدأ واضحاً من نصوص ابن بزاز الذي أرّخ له، أنه لما فسر الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[1] التي تردها الشيعة إلى حديث الغدير واستخلاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب من بعده؛ لم يقف الوقفة الشيعية المعهودة[2]، كما لم يقف عند تأويل ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[3] على التفسير الشيعي أيضاً.

- لم يتطرق الشيخ صفي الدين إسحاق إلى ذكر مصنفٍ شيعيٍ واحدٍ في الوقت الذي أشار فيه لمؤلفين سنة مثل: الغزالي والسهروردي وفخر الدين الرازي[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) الشيبي، كامل مصطفى: الصلة بين التصوف والتشيع، ج٢، ص٣٥٥.

(٣) آل عمران: ٧

(٤) طقوس الدولة الصفوية، ص٣٧، نقلا عن صفوة الصفا: ص١٤٠، ١٤٦، ١٥٢.

- لا ينبغي التسليم مباشرة بتشَيُّع الشيخ صفي الدين إسحاق بفعل أن أكثر سكان أردبيل كانوا آنذاك سنة، على مذهب الإمام الشافعي، وهم من مريديه، كما أن عبيد الله خان زعيم الأوزبك كتب في عام (٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م) إلى الشاه طهماسب يعاتبه ويشير إلى أن الشيخ صفي الدين إسحاق كان من أهل السنة والجماعة(١).

- الملفت مع صراحة اتصال سلسلة النسب التي سجّلها أصحاب الكتب في العصر الصفوي، بالحسين بن علي بن أبي طالب، فقد رُوي عن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفي الدين إسحاق ووارثه، أنه لم يكن يدري أحسني هو أم حسيني(٢)، مما يشكك في النسب ابتداء من فيروز شاه، الجد الأكبر للشيخ صفي الدين إسحاق إلى الإمام الكاظم.

- ليس مستغرباً أن يدعي الشيخ صفي الدين إسحاق النسب العلوي في ذلك الوقت، فقد فعل شيخه إبراهيم الجيلاني ذلك، كما فعل ذلك أحفاد عبد القادر الجيلاني، وغيرهم.

وفي المقابل، أورد ابن بزاز أن الشيخ صفي الدين إسحاق علّق على أشعار الرومي والعطار وأوحد الدين الكرماني وفخر الدين العراقي وأحمد الجامي وروزبهان البقلي والسنائي والخاقاني، وشرحها، وروى له أبياتاً فارسية في وحدة الوجود ورباعية واحدة في حب علي بن أبي طالب، وقد يكون ذلك من ابتكار هذا المؤرخ لأن الشيخ صفي الدين إسحاق كان تركياً لم يثبت له من النظم

---

(١) طقوس، الدولة الصفوية، ص ٣٨. نقلا عن المستوفي، نزهة القلوب، ص٨١.

(٢) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج٢، ص٣٥٣، ٣٥٤.

الفارس إلا بيت واحد[1]، وكان الترك بخاصة يعدّونه زعيماً روحياً لهم. ويبدو أنه كان سني المظهر على مذهب الإمام الشافعي، شيعي الميل على مذهب الإمام جعفر الصادق، متأثراً بالظروف الدينية والسياسية التي كانت تمر بها إيران آنذاك، والمعروف أن المغول الإيلخانيين حكام البلاد توزعت ولاءاتهم الدينية والمذهبية على: البوذية (هولاكو- أباقا) والإسلام على المذهب السني (محمود غازان وآخرون) والإسلام على المذهب الشيعي (أولغايتو).

ولا بد لنا من التساؤل في هذا المقام، متى اعتنق شيوخ الأسرة الصفوية المذهب الشيعي؟

الواقع أن الأفكار الشيعية بدأت تتسرب إلى فرق التشكيلات الصفوية في الوقت الذي بدأ فيه التصوف ينتشر في المجتمع الإيراني في عهد الشيخ صفي الدين إسحاق، وذلك ردةُ فعلٍ على حال الفساد الذي تفشى في البلاد من واقع ممارسات أصحاب السلطة من المغول الإيلخانيين ثم التيموريين والأمراء المتغلبين أمثال شروان شاه في شروان، والآق قوينلو في أذربيجان وجزء من غربي إيران، ومراد بك البايندري في يزد، وغيرهم كثير، مما ترك آثاراً مدمرة في نفوس الإيرانيين الذين ضاقوا ذرعاً بالظلم والإجحاف الواقع عليهم. وإذا لم يثبت على وجه اليقين تشيع كل من الشيخ صفي الدين إسحاق وابنه صدر الدين موسى، فإن حفيد الأول خواجة علي سياه بوش جاهر بالدعوة الشيعية[2]، وأدرك حفيده الجنيد مدى الاستفادة السياسية من واقع تحويل الدعوة المذهبية إلى حركة

---

(١) طقوس، الدولة الصفوية، ص٣٨.

(٢) طقوس، تاريخه الدولة الصفوية، ص٣٨، نقلاً عن أبدال، حسين بسر: سلسلة النسب صفوية، ص٤٦.

سياسية تعتمد في إثبات وجودها على الأعداد الضخمة من المريدين. وأكد ابنه حيدر صلة نسب أجداده بالإمام موسى الكاظم وألبس أتباعه قبعة حمراء ذات اثنتي عشرة ذؤابة، رمزاً إلى اعتناق المذهب الشيعي على المذهب الاثني عشري[1].

ويبدو أن هذا التحول إلى المذهب الشيعي كان يهدف إلى استقطاب الشيعة في إيران وتوسيع قاعدتهم الشعبية وبخاصة السربداريين المعارضة للحكم الإيلخاني، والمعروف أن المعارضة للإيلخانيين اعتمدت على العناصر الشيعية، وأدى ذلك إلى تحول الصفويين من التوجه الصوفي المحض إلى العمل السياسي والذي تُوّج بتأسيس دولة صفوية شيعية المذهب على يد إسماعيل الصفوي[2].

ويظهر تأثير الجانب الصوفي على الحركة الصفوية، فقد زوّد الفكر الصفوي بالمنامات والكشوفات، فيذكر الصفويون أن أحد مشايخ الصوفية وهو الشيخ (زاهد الكيلاني) والذي تربى على يده جدهم "صفي الدين الأربيلي" تنبأ على أثر رؤية لصفي الدين الأردبيلي "أن أولاد هذا الزعيم سيملكون العالم، ويترقون يوماً بعد يوم إلى زمان القائم المهدي المنتظر[3].

وللرؤى والكشوفات تأثير ساحر في عالم التصوف، لذا فقد أثرت هذه النبوءة على (القزلباشية) وكانوا يتصورون أن مُلك الصفويين سيستمر حتى ظهور "المهدي" لذا اهتزت هذه النظرية بعد خسارتهم في موقعة "جالديران" بين الشاه إسماعيل والسلطان العثماني سليم سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٢م)، وهزيمة الشاه

---

(١) طقوس، تاريخ الدولة الصفوية، ص٣٨.

(٢) طقوس، تاريخ الدولة الصفوية، ص٣٨.

(٣) راجر سيوري، إيران في العصر الصفوي، ص٢٢٦.

إسماعيل، فبدأ الصراع يدبّ بين (القزلباشية) ونشأ تقاتل بينهم بعد اهتزاز هذه العقيدة في عقولهم[1].

بعد أن تسلم الصفويون الحكم في إيران أخذت سياسة العداء والتوسع في التطبيق العملي، حيث قام إسماعيل الصفوي باحتلال بغداد سنة ١٥٠٨م[2]. لم يتوقف الأمر عند الاحتلال فقط، فلأجل المصالح السياسية، نجد الصفويين يتحالفون مع البرتغاليين ويعقدون معهم اتفاقية عام ١٥١٥ تنص على جعل السفن البرتغالية تحت تصرف الفرس في شن هجماتهم على البحرين والقطيف[3]. وفي سنة ١٦٢٢ قام الشاه (عباس الصفوي) بغزو العراق وقام بأعمال تخريب وهدم[4].

إن إيران الحالية في ظل نظام العمائم هي امتداد طبيعي يجسد روح الاستعلاء الفارسي على العرب والعروبة، وحتى على الشيعة العرب أنفسهم، لأن الإيرانيين لم يعتبروا أبدا دخول الإسلام على بلدهم فتحاً إسلامياً، بل اعتبروه غزواً عربياً؛ ولذا يمتنعون عن تعلم العربية أو التحدث بها ويمعنون في الاعتماد على اللغة الفارسية حتى يتميزوا بشكل استعلائي على العرب باعتبارهم آريين وفرساً في المقام الأول الذي يسبق حتى انتمائهم إلى الإسلام.

ويلعب النظام في إيران على ثلاث هويات مختلفة فهو فارسي في الأصل،

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٩.

(٢) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق، ص١٨.

(٣) للمزيد: انظر: بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص٦٣؛ طقوش، الدولة الصفوية، ص٨٤؛ مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص٨٠-٨٢.

(٤) الدجيلي، العلاقات العراقية الإيرانية، ص٢٦.

ويدعي أنه إسلامي بشكل عام، ويتعصب للمذهب الشيعي في جوهر تحركاته وتوجهه، وفي الإطار الثقافي الإيراني العام ما تزال ملحمة الشهنامة – التي ألفها الفردوسي- تحتفظ بمكانة عالية في صدر التراث الشعري الإيراني الفارسي وهي تمجد ملوك الفرس مقابل تحقير العرب والاستخفاف بهم، وتصفهم بالأعراب الحفاة ولم تستثنِ في ذلك حتى قائد معركة القادسية سعد بن أبي وقاص، ولم تقتصر هذه النزعة العنصرية الاستعلائية إلى العرب على الماضي الفارسي لإيران لكنها ما تزال سارية المفعول حتى الآن، وما تزال الثقافة الإيرانية المعاصرة تحط من قدر العرب وتحقر صورتهم في الأدب الفارسي الحديث ولا تعترف الجمهورية الإيرانية للعرب الأهوازيين بحقهم الطبيعي في استخدام لغتهم العربية بعد أن فرضت اللغة الفارسية على كل القوميات الأخرى، وهي تواصل بذلك نفس النهج الشاهنشاهي الذي ابتدعه الإمبراطور رضا شاة البهلوي.

إن إصرار الحكومة الإيرانية على تسمية الخليج العربي بالخليج الفارسي، لدليل واضح على النظرية التوسعية التي عاشت بها إيران في الماضي وتعيشها اليوم. خاصة بعد رفض الخميني رفضا قاطعا الصيغة التي وضعها المؤتمر الإسلامي لتجاوز الخلاف على تسمية هذا الخليج واقترح تسميته بالخليج الإسلامي. كما تواصل إيران احتلالها الاستعماري للجزر العربية الإماراتية الثلاث، وهو ما يتنافى تماما مع الخطاب الدعائي الإيراني الذي يزعم مواجهته للاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية.

لقد انعكس كل ما سبق في بناء الشخصية الفارسية الشيعية، والتي تحولت مع الأيام إلى شخصية اضطهادية. تعاني من النقص والخوف والشعور بالضعف والاغتراب والقلق. لا تعرف الوسطية، ولا تعرف التعايش مع الآخر. فإما أن تأكله، وإما أن يلجم فمَها ليستمر.

لقد وجد هؤلاء الفرس في حادثة كربلاء حدثاً يمكن توظيفه لخدمة أهدافهم ومصالحهم. لذا فلا يمكن فهم الجوانب النفسية لأتباع المذهب الشيعي دون الرجوع إلى حادثة كربلاء التي استشهد فيها الحسين رضي الله عنه وعدد كبير من آل بيت النبي، حيث تعتبر هذه الحادثة من اللحظات شديدة التكثيف والترميز والإيحاء والتأثير، فهذه لحظة فاصلة تتحدد من خلالها قيمٌ ومعانٍ هائلة تؤثر في التاريخ الإسلامي بل والتاريخ الإنساني كله. ومما يزيد من كثافة هذا الحدث وعمقه غدر أهل الكوفة الذين وعدوا الحسين رضي الله عنه بالنصرة ثم خذلوه وتركوه هو وعدد من خيرة آل بيت النبي يواجهون الموت في الصحراء عطشاً وجوعاً.

لقد رسخ هذا الحدث في الوجدان الشيعي الشعور الشديد بالذنب تجاه الحسين رضي الله عنه فهم يشعرون أنه قتل وحيداً ولم يهبوا أو يهب أحد غيرهم لنصرته، وأنهم تركوه يلاقي هذا المصير المؤلم وحده بيد عدوٍ لدودٍ لم يرع فيه إلاً ولا ذمة وهو مَن هو فى شرف النسب ونبل المقصد.

لذا فإن ما نراه حتى اليوم مما يسمى إحياء يوم عاشوراء بالشكل الشائع - أي رواية سيرة الحسين في محافل شعبية- ابتدعه الصفويون بعد أن سيطروا على إيران، واتخذوا من التشيع عقيدة رسمية لدولتهم، واتخذ الاحتفال بذكرى استشهاد الحسين صفة رسمية[1]. وإلى جانب مواكب العزاء... تقام مجالس العزاء العزاء في بيوت الوجهاء من الناس، حيث يقوم خطيب بقراءة قصة من قصص واقعة كربلاء ويستمد الخطيب معلوماته عن الواقعة من كتاب مشهور عندهم يدعى (روضة الشهداء). وهو أول كتاب مشهور عندهم، من تأليف حسن

(١) الحيدري، تراجيديا كربلاء، ص١٣٨.

واعظ كاشفي المتوفى سنة ٩١٠هـ. ثم أخذت المجالس بالتطور والانتشار حتى أقيمت الحسينيات لذلك. وخلال المائتي سنة الأخيرة نمت الاحتفالات بعاشوراء وتوسعت، وأخذت أبعاداً شعائرية وطقوساً، وتحولت المواكب بالتدريج إلى مسرحيات دينية شيعية، حتى عُد مسرح عاشوراء بداية المسرح الشعبي في إيران[١].

لم تحظ ذكرى عاشوراء وواقعة كربلاء بإحياءٍ واهتمامٍ حيوي في أي مكان كما حظيت به في إيران، فمنذ أن ظهرت الدولة الصفوية واتخذت التشيع مذهبًا رسميًا لها، أضحت عاشوراء وواقعة كربلاء الحدث التاريخي العظيم طقساً مذهبياً دينياً وطابعاً شيعياً في صدر اهتمامات الدولة، وقد أفرطت الدولة في ذلك الاهتمام والاعتناء بالذكرى والواقعة واستغلالها لإرساء قواعد سيطرتها على الشعب، وربما كان من نتائج ذلك: الإفراط في تشديد الخلافات بين أهل السنة والشيعة في المجتمع الإيراني.

وتولد عن ذلك الحزن الذي لا تخطئه العين في وجوه أتباع المذهب الشيعي، وقد عبر علي بن الحسين (زين العابدين) عن ذلك حين سأله الناس عن سر ذلك الحزن فقال: " إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ولم يعلم أنه مات، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يُذبحون في غداة يوم واحد، أفترون حزنَهم يذهب من قلبي[٢] ".

لم يتوقف تأثير مقتل الحسين رضي الله عنه في الوجدان الشيعي على ذلك، بل تعداه ليكوِّن عقدة الإحساس بالظلم والغدر والشعور بالمرارة تجاه ما حدث

(١) المرجع نفسه.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٢٨١.

والرغبة في الثأر ممن فعلوا ذلك أو تواطؤا فيه أو سكتوا عنه. وفي الوقت نفسه الخوف من الآخر والتشكك فيه واعتباره قابلاً للغدر في أي لحظة، وأخذ الحيطة والحذر إلى أقصى حد ممكن ليس فقط في الأفعال ولكن حتى في الكلام، وهذا ما نشأ عنه مبدأ " التقيّة " الشهير في السلوك الشيعي.

التصقت التقية، في تاريخ المذاهب الإسلامية، بالشيعة. التقية تتأسس على الخوف والتستر على خصوصيات المعتقد خشية الأذى والضرر. وصارت شعار المغلوب على أمره أمام الغاشم. أما مبناه الفقهي فمنتزع في العقل الشيعي من الآية القرآنية" من كفر بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" التي نزلت في سياق القصة المعروفة المتمحورة حول موقف الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه، وكيف أُكره تحت التعذيب على قول شيء ما كان يود قوله. من هنا راح العقل الشيعي يدور حول الآية ويناقش سبب نزولها وكيف يمكن اعتبارها مبنىً أصولياً أو فقهياً مقبولاً لتعليل التقية بعد أن عاش الشيعة قروناً من الضغط والملاحقة، فكانوا يحتمون بها حتى صارت شعاراً يحفظونه عن ظهر قلب[١].

فالتقية تولدت وترسخت من عقدة الاضطهاد المتغلغلة عميقاً في نفسية الفارسي- والتي انتقلت إلى كل شيعي – جعلت الشيعة في شعور دائم بالظلم والغبن، وصبغت نفوسهم بالحزن والأسى، وعبأتها بالانفعالات المتأججة والمتحفزة للثورة في كل حين. فكل شيعي يشعر بأنه مظلوم، مضطهد، مستضعف، مغتصب الحقوق. وقد دفعه ذلك إلى البحث عما ينفس عن كربه وأحزانه، خاصة أنه استقر في نفوسهم الإثم الذي ارتكبه آباؤهم وأجدادهم في حق آل

(١) الأسدي، أزمة العقل الشيعي، ص٣٠-٣١.

البيت وخاصة الحسين رضي الله عنه، فكانت النياحة على "الحسين المظلوم" خير وسيلة لتحقيق ذلك. إنه في الظاهر يبكي على الحسين، لكنه في الحقيقة إنما يبكي على نفسه الحزينة إلى حد العقدة، التي ورِثت الحزن من عقدة الاضطهاد الفارسية، التي لبست آثارُها ثوب الدين لتظهر بالشكل المعلوم.

لقد خلقت العناصر السالفة أثرها في الشخصية الشيعية الفارسية، فمالت إلى الانطواء والعزلة عن سائر جماعة المسلمين، فعلى الرغم من اشتراك الشيعة في كثير من شعائر الإسلام مع السنة إلا أنهم معزولون عقائدياً ووجدانياً عنهم. وقد فشلت محاولات متكررة في مراحل تاريخية مختلفة لكسر هذه العزلة وإيجاد صيغة للتقارب أو التفاهم أو حتى التعايش بين السنة والشيعة وكان وراء هذا الفشل عوامل نفسية ممثلة في حالة التشكك والتوجس تجاه الآخر.

إذاً، فالشخصية العدوانية المسيطرة اليوم في "المجتمع الإيراني" هي ثمرة طبيعية من ثمرات "التربية والتعليم " للثورة الإيرانية.

وإنّ دراسة الشخصية الإيرانية، تفرض علينا إظهار الجوانب العدوانية والعنصرية، التي جرى التركيز عليها في مدارسهم ومناهجهم التعليمية دون غيرها. وبذلك تحوّلت في أذهانهم وعقلهم الواعي والباطن، وفي ممارستهم اليومية في داخل مجتمعهم، مؤسساتهم ومع الآخرين إلى عقيدة راسخة، إلى سمةٍ نمطيةٍ قولبت حياتهم ومسلكهم ومواقفهم. وبفهم ومعرفة الشخصية الإيرانية.

وبالرغم من ظهور قوىً وتيارات في "المجتمع الإيراني" تنادي بحوار المذاهب، الأديان، الحضارات، إلاّ أن هذه القوى مازالت غير مؤثرة في مؤسسات صنع القرار الإيراني، حيث مازالت القوى المذهبية والقومية مازالت هي الأقوى في توجيه القرار السياسي، لأنها هي القوى الوحيدة المعبّرة عن رسالة الثورة الإسلامية العالمية.

* تحليل النصوص التي تحكم الشخصية الإيرانية في الكتب المدرسية الإيرانية:

من النظريات المهمة التي تحكم الشخصية الإيرانية من خلال ما ورد سابقا في الكتب المدرسية الإيرانية نلاحظ ما يلي:

١- نظرية المصالحة مع التاريخ والتي تقوم أساسا على إخفاء الجانب السيئ أو الشرير في أحداث التاريخ الإيراني سواء بعدم التركيز عليه أم بعدم ذكره، أو بتفسيره بحجج تدعو إلى التعاطف والشفقة، وأحيانا بتحوير بعض الوقائع بشكل يغير مفهومها أو مضمونها، وبذلك يخلو التاريخ الإيراني في المصادر الإيرانية من أية سلبيات، ويعتمد الإيرانيون في كتابة التاريخ على منهج يقسم الفترات الزمنية على أحداث بعينها ويُصاغ من خلال النظريات التي تحكم الشخصية الإيرانية، حيث يقسم الإيرانيون الكتابة التاريخية إلى قسمين: قسم يسمونه بالتاريخ العام ويتناول الأحداث التاريخية منذ خلق العالم حتى العهد الذي يعيشه المؤرخ، وهو رغم عموميته يبدو خاصاً لأنهم يربطون بداية العالم ببداية تاريخ إيران ويستمرون في الربط إلى التاريخ المعاصر، وهم خلال ذلك يركزون أحيانا على ذكر تفاصيل دقيقة حول بعض العهود التي ترضى نظرية المصالحة أو يهملون فترات لا تتوافق معها.

والقسم الثاني يسمونه بالتاريخ الخاص ويتناول أحداثا تتعلق بدولة من الدول المحلية أو ظاهرة من الظواهر التاريخية أو فرقة من الفرق السياسية أو المذهبية، ومن الأشياء الجديرة بالملاحظة معالجة الإيرانيين لتاريخ الحركات الخارجة على الإسلام والخلافة بشكل يحسب لها ولا يدينها، وقد انعكست هذه النظرية في قوة الانتماء والوحدة الوطنية والاجتماعية.

٢- كذلك من النظريات المهمة التي تحكم الشخصية الإيرانية نظرية الاغتراب، فالاغتراب ليس مجرد حالةٍ نفسية استشعرها الإيرانيون عبر العصور عندما كانت بهم النكبات أو تدهمهم الأحداث، بل هو صدى للتجارب الحزينة التي عاشوها طوال تاريخهم إلى حد التمزق، والتي كان قوامها ذلك الوعي الشقي بأن حياة كل منهم غريبة عنه وليست ملك يديه، ولعل مبعث ذلك الإدراك هو ظروف البيئة الإيرانية وضغوطها الهائلة مع تراكم المحن، فخرج الاغتراب من الإطار المجرد للأحاسيس إلى السلوك العملي للفرد والمجتمع، فصارت الغربة اتجاهات متوازية في الشخصية الإيرانية، حيث يستشعر كل إيراني الغربة خاصيةً فيه فيسلك الاتجاه الذي يرضيه ويمارس الأسلوب الذي يوافقه، فأصبح الاغتراب مذهباً بين الواقع الروحي وأشكال الحياة وليس ضعفاً ولا عجزاً، بل هو أشبه بالبكاء تحت شتات الحياة تدفع للإصلاح، فلم يكن الاغتراب فراراً بالدين أو من الدين وإنما كان مع الدين، كان اغتراباً عن النفس أو ترك الوطن إلى بلاد أخرى أحيانا أو إلى الصحارى أحياناً أخرى أو التجمع في تجمعات صغيرة ظاهرة أو متخفية، أو الاستتار في الجبال أحيانا وفي التصوف أحيانا أخرى، وقد أفرز الاغتراب حركة الشعوبية وعدم الثقة في الغير ورفض الذوبان في الشعوب الأخرى، أو التجنس في تجمعات صغيرة ظاهرة أو متخفية، أو الاستتار في الجبال أحيانا وفي التصوف أحيانا أخرى، وقد أفرز الاغتراب حركة الشعوبية وعدم الثقة في الغير ورفض الذوبان في الشعوب الأخرى، أو التجنس في أجناس أخرى أو الاندماج في الحضارات الإسلامية أو حتى أهل السنة والجماعة تحت شعار غربة الإسلام وغربة القرآن الذي حول الاغتراب الذاتي إلى مفاهيم إسلامية لا تنسحب على الناحية النفسية فحسب بل على المفهوم الاجتماعي والإيراني كذلك.

٣-في ضوء ما سبق يتبين أن التربية في إيران تسعى من خلال المواد الاجتماعية وتنطلق إلى ترسيخ الثنائية القائلة " شيعة إيران والعالم، وتضع الإيرانيين في المرتبة الأولى، ويليهم شعوب الأرض، كما تحاول أن تضع الطالب الإيراني في صورة ضرورة توحيد أركان الدولة وبقائها، إذ لا يمكن ضمان وجوده دون إيران، وأنه يجب أن يقوم بكل ما تطلبه منه الثورة دفاعا عن وجوده.

٤-تطالب الكتب المدرسية الطالب الإيراني بالتضامن والتأثر بالشخصيات الإيرانية ثم بالشخصيات العالمية، ولكنه غير مطالب بالتضامن مع الشخصيات العربية والعلماء العرب.

٥- التأكيد على عقدة الأمن عند الشيعة، وتعظيم فكرة الخطر الخارجي الذي ينبغي الاستعداد له، وتجسيد فكرة الاغتراب عن المجتمعات الأخرى نتيجة خصوصية المذهب، وأن فكرة الخلاص تكمن في الحضارة الفارسية الشيعية(١).

٦-الحرب المقدسة القادمة: تسعى إيران بجهد وقوة لأن تصل في أسرع وقت ممكن إلى وضعٍ يكون الجيش الإيراني فيه جاهزاً ومستعداً للحرب النهائية الإلهية.

أما استحقاقات هذه الحرب المقدسة، فهي إيجاد جيلٍ مؤمنٍ قد اكتمل إعداده نفسياً، وبدنياً، وروحياً لخوض هذه الحرب، فمن المؤكد أن "الحرب المقدسة" تتمخض عن ترسيخ عدد من المسلمات غير قابلة للنقاش، حيث انشغلت الكتب المدرسية الإيرانية، في تحليل أسباب هذه الحرب، والتحولات

(١) سنبحث هذا الموضوع بشكل مفصل من خلال كتاب عسكرة التعليم المدرسي في إيران.

التي سوف تحدثها، وفي ما يلي بعض الأفكار التي طرحتها الكتب المدرسية الإيرانية:

أولاً: ستُحدث هذه الحرب تغييراً كبيراً في العالم، وهي "فرضية" اعتمدت عليها إيران في بناء إستراتيجيتها التعليمية، باعتبار أن العالم العربي والإسلامي سيعلن "استسلامه" التام للقدر الإيراني الإلهي، ولا يمكن أن يفكر أي نظام بمواجهة هذه الحرب، لتزحف إيران بقيادة المهدي لخوض هذه الحرب، وإقامة مملكة العدل على الأرض.

ثانياً: نلاحظ أن إيران من خلال تحليل محتوى المناهج التعليمية قد انتقلت بالطالب الإيراني من مرحلة الدفاع عن النفس وردّات الفعل إلى مرحلة من المبادأة والمبادرة، واختيار التوقيت المناسب لها للتحرك على نحو فوري لتثأر دفاعا عن الإسلام، تحت راية صاحب الزمان..

٧-تدعيم دولة إيران القائمة على فكرة إمامة المهدي في تحقيق الخلاص النهائي، استجابة للأمر الإلهي الذي فرض على الإيرانيين الشيعة أداء وظيفة حضارية تتمثل في قيادة الإنسانية المعذبة نحو الكمال الروحي، والثورة ذات جوهر ومضمون ديني لا يملك سوى أن تنصاع لهذه الرسالة الإلهية.

وهي خلافا للعقائد الأخرى فهي لا تخاطب فقط شيعة إيران، ووظيفتها لا تقف عند ذلك، بل ترى أنها موعودة لأن تؤدي وظيفةً دينية، وأن تقود الإنسانية خلال المستقبل. وموجز القول أن الثورة الإيرانية لم تكن مجرد نظرة شاملة، أو مفهوماً أيدولوجياً، أو مذهبياً، أو سياسياً، مستقلاً عن الزمان والمكان والمتغيرات بل كانت فلسفة ثورية في جوهرها، تناضل من أجل البقاء، والاستمرار مهما كلف ذلك، وتسعى لإيجاد جنسية مذهبية لشعبٍ يعيش على أرض الإمبراطورية الشيعية الموعودة.

٨- إنكار الثورة الإيرانية لوجود الأقليات وذواتها القومية والكيانية، وقد سعت الحكومات الإيرانية المتعاقبة في عهد الثورة إلى تنمية ودعم الاتجاهات بين السكان حتى لا يهتموا بالأقليات ولا بمشكلاتهم، ولا حتى بأبسط خصوصياتهم، بحيث أصبحت لا مبالاتهم بها اتجاها راسخا.

٩-تحديد الأهداف المرحلية، وتوضيحها والالتزام بها، والتحرك على مختلف الساحات، وعدم الاعتراف بالحدود السياسية للدول.

١٠- اعتمدت الثورة الإسلامية في اتصالاتها على مبدأ براغماتي مذهبي- قومي، يقوم على أساس المصلحة، وتأليف القلوب، ولهذا نجحت في فتح العلاقات ومخاطبة الأحزاب، الأقليات، والحكومات على حدٍ سواء.

١١-العنف والتآمر، ولو على الشيعة أنفسهم، فالاغتيال، التصفيات، والتضحية بالشيعة، يكاد يكون وسيلةً مشروعةً لدى حكومة ولي الفقيه في إيران.

المصادر التي استفدنا منها في تحليل الدراسة

- أجروال، دنيش. العدد ٢٣٨ - الجمعة ٠٢ مايو ٢٠٠٣م الموافق ٢٩ صفر ١٤٢٤هـ
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- ابن بابويه، محمد بن علي، كتاب من لا يحضره الفقيه، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٩٣هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٨.
- ________ منهاج أهل السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية، مكتبة الرياض، الرياض.
-ابن حزم، الفصل في الأهواء والنحل، مكتبة المثنى، بغداد.
- ابن حنبل، أحمد، المسند، المكتب الإسلامي للطباعة، بيروت(د ت).
- ابن كثير، أبو الفداء، البداية والنهاية، تحقيق محيي الدين ذيب وآخرين، دار ابن كثير، بيروت- دمشق، ٢٠٠٧.
- ________ تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩.
- ابن سعد، محمد بن سعيد، الطبقات الكبرى، ط٣، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني

معرفة الصحابة، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، ط١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩ هـ

- أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة، القاهرة.
- اسماعيل، نوري، الديانة الزرادشتية، ط٥، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٣.
- الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف الملين، ط٣، ١٩٨٠.
- الألباني، ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٩.
- الألوسي، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.
- الباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة، تحقيق محمود الخضري ومحمد أبو ريدة، دار الفكر، بيروت، ١٩٤٧م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح الإمام البخاري، دار الفيحاء- دمشق، دار السلام- الرياض، ١٤١٩هـ
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧.
- الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤٩.
- السقاف، أديب، الدين في الصين والهند وإيران، مطبعة العصور الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- الشهرستاني، أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا، وعلي فاعور، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م.

- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.

- الشيبي، كامل، الصلة بن التصوف والتشيع، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢.

- الشيخ المفيد، محمد بن النعمان، تقديم فضل الزنجاني، مطبعة رضائي، طهران، ١٣٧١هـ

- الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، دار المسيرة، بيروت، (دت).

الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٣.

ـ ______، الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٢.

- الجاحظ، أبو عثمان، كتاب التاج، أحمد زكي باشا، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية بالقاهرة

- الخميني، الحكومة الإسلامية، دروس ألقيت في النجف، تحت عنوان ولاية الفقيه، ١٣٨٩هـ

- السقاف، أديب، الدين في الصين والهند وإيران، مطبعة العصور الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- السواح، فراس، آرام دمشق، منشورات علاء الدين، دمشق، ١٩٩٥.

- السوارجي، بهمن، الديانة الزرادشتية أو اليزيدية، ترجمة توفيق الحسيني، مكتبة لورين، دمشق، ١٩٩٦.

- الشناوي، أحمد وآخرين، دائرة المعارف الإسلامية، مكتبة الاعتماد، القاهرة.

- الشهرستاني، أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا، وعلي فاعور، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م.

- الشيبي، كامل، الصلة بن التصوف والتشيع، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢.

- صعب، أديب، الأديان الحية نشأتها وتطورها، دار النهارن بيروت، (د ت).

- الأسدي، مختار، أزمة العقل الشيعي، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٩.

- الدجيلي، حسن، العلاقات العراقية الإيرانية خلال خمسة قرون، دار الهدى، بيروت.

- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج، منشورات دار النعمان، النجف، ١٩٦٦.

-الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠.

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، (د ت).

- الطوسي، محمد بن الحسين، تلخيص الشافي، النجف، ١٩٦٣.

- الطوسي، محمد بن الحسين، كتاب الغيبة، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٥هـ

- الطرابيشي، جورج، مذبحة التراث، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٣.

- الكلاعي أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ

- المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة.

-النشار، علي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١ ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٨١.

- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه وقدم له مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

- ــــــــــ المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ط٣، المطبعة الحيدرية، النجف، (د ت)

- ــــــــــ، أخبار الزمان، دار الأندلس للطباعة ن بيروت، ١٩٨٧.

- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨١هـ

- المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة.

- الندوي، محمد، الهند القديمة حضارتها وديانتها، دار الشعب، ١٩٧٠.

-النشار، علي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١ ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٨١.

- الهواري، حسن، الأديان القديمة، ط٢، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٩٢.

- آل كاشف الغطاء، محمد، أصل الشيعة وأصولها، ط٣، ١٩٤٤.

- أمين، أحمد، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

- ــــــــــ، فجر الإسلام، مكتبة النهضة، القاهرة.

- باقر، طه، ملحمة جلجامش، ترجمة طه باقر، وزارة الإرشاد العراقية، بغداد، ١٩٦٢.

- بارندر، جفري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح، عالم المعرفة، القاهرة، ١٩٩٣.

- بدوي، أمين عبد المجيد، جولة في شاهنامة الفردوسي، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧١.

- براون، تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، ترجمة احمد حلمي، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤.

- بركات، عبدالله، المدخل لدراسة الأديان، دار الامام، القاهرة، ١٩٩٣.

- بطروشوفكي، الإسلام في إيران، ترجمة د. السباعي محمد السباعي، دار الثقافة، القاهرة، (د ت).

- العربي، محمد، الديانات الوضعية، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

- الغزالي، نوح، فلسفة التبشير، مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٨٧.

- بيرنا، حسن، تاريخ ايران القديم، ترجمة محمد نور الدين، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٢.

- بيومي، عبد المعطي، جذور الفكـــر المادي، دار الباعة المحمدية، القاهرة، (د ت).

- جميل، صبحي، وآخرون، الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر العربي الإسلامي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٨.

- جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

- جولد تسهير، العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في الحديث، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ضمن التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، ط٤، وكالة المطبوعات الكويت.

-حلاوي، يوسف، الأسطورة في الشعر العربي المعاصر. الطبعة الأولي. بيروت: دار الآداب. ١٩٩٤م.

- حميد، فوزي، عالم الأديان بين الاسطورة والحقيقة، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ١٩٩١.

-خطاب، محمود شيت، قادة فتح بلاد فارس، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤.

- دويدار، بركات، غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام، ط١، ١٩٨٨.

- ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب، ومحمد بدران، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠١.

- سباهي، عزيز، أصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم الدينية، المدى، دمشق، ١٩٩٦.

- سعفان، كامل، معتقدات آسيوية، دار الندى، القاهرة، ١٩٩٩.

- طرابيشي، جورج، مذبحة التراث، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٣.

- عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د ت).

- عبد القادر، حامد، زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة النهظة، مصر، (دت)

- عبد المنعم، نبيلة، نشأة الشيعة الأمامية، مطبعة الإرشاد بغداد، ١٩٦٨.

- عبد الواحد فاضل، عشتار ومأساة تموز، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق: والتوزيع، ١٩٩٩

- عبد القادر، حامد، زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة النهظة، مصر، (دت)

- عبد الواحد فاضل، عشتار ومأساة تموز، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق: والتوزيع، ١٩٩٩

- عمر، فاروق، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٥.

- عياد، محمد، تاريخ اليونان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠.

-غانم، خالد، الزرادشتية تاريخا وعقيدة، دار خطوات، دمشق، ٢٠٠٩.

-غانم، خالد، الزرادشتية تاريخا وعقيدة، دار خطوات، دمشق، ٢٠٠٩.

- فخري، أحمد، مصر الفرعونية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (د ت)

- فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى سقوط الدولة الاموية، ترجمة أبو ريدة، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٨.

-كاير، جوزيف، حكمة الأديان الحية، ترجمة حسين الكيلاني، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤.

- كريستنسن، آرثر، تاريخ إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت.

- طقوس، محمد سهيل، الدولة الصفوية في إيران، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٩.

- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٠.

- مظهر، سليمان، قصة الديانات، الوطن العربي، القاهرة، ١٩٨٤.

- حسن نعمة، مثولوجيا وأساطير الشعوب، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤.

- كريستنسن، آرثر، تاريخ إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت.

- مصطفى، أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦.

- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٠.

- نغرين، ماني والمانوية، ترجمة سهيل زكار، دار التكوين، دمشق.

- وافي، عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر، (د ت)

- نعمة، حس، مثولوجيا وأساطير الشعوب، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤.

- نغرين، ماني والمانوية، ترجمة سهيل زكار، دار التكوين، دمشق.

فهرس المحتويات